النساء في الإسلام

د. إبراهيم عوض

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النساء فى الإسلام

نسْخ التفسير البطرياركى للقرآن

أَسْما بارْلَس

(النص الإنجليزى مع دراسة موازية)

د. إبراهيم عوض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

1432هـ - 2011م

الإهداء

إلى الفيلسوف الصغير

خالد علاء الدين

آخر إنتاج الأسرة

جاء بشيرًا بنسيم الحرية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كلمة تقديم

كاتب هذه السطور منفتح منذ وقت بعيد، دون تلجلج أو تحرج، على كل الاتجاهات والمذاهب والفلسفات والأديان يقرؤها ويفكر فيها ويقارن بينها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبين الدين الذي يؤمن به، فقرأت فى شبابى، ولا أزال أقرأ حتى الآن، عن الشيوعية والوجودية والوضعية المنطقية والبراجماتية واليهودية والنصرانية وأديان الهند والشرق الأقصى، وقرأت ولا أزال أقرأ حتى الآن للمؤمنين والملحدين والمتشككين والمتحمسين للإسلام والمتحمسين ضده سواء كانوا من أبنائه أو من غير أبنائه، واجدا لذة، وأى لذة، فى هذه القراءة وفى تلك المقارنة. ذلك أننى أومن بأنه لا بد من الاطلاع الواسع والعميق على كل ما أستطيع الوصول إليه فى هذا الميدان من أجل أن يكون اختيارى لما أومن به قائما على بصيرة وأساس. وقد كنت دائما أخرج من قراءاتى بمزيد من الاطمئنان للدين الذى وُلِدْتُ عليه. لكن هناك فرقا هائلا بين إيمان موروث وإيمان يستند إلى التفكير والمقارنة والتأمل العميق. وبطبيعة الحال كثيرا ما انتابتنى الحيرة وثارت فى ذهنى الأسئلة من كل شكل ولون، إلا أننى كنت دائما أواجه كل ذلك بشجاعة، مطمئنا إلى أن الله معى يرقبنى ويوفقنى ويأخذ بيدى ما دمت أسعى لبلوغ الحق، بعدما كنت قد مررت فى البداية بتجربة قيض الله لى فيها من يبصّرنى بما ينبغى أن أفعل ويفهّمنى أن التساؤل هو من الإيمان فى الصميم، وأنه لا خوف أبدا منه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتفصيل ذلك أننى، حين كنت طالبا فى التوجيهية عام 1965-1966م، قد انتابتنى على مدار عدة أيام بعض الخواطر والتصورات التى رأيت أنها لا تليق بالألوهية، فشعرت أن الدنيا قد اسودت فى عينى. وكنت أجوب مدينة طنطا، وقد ارْبَدَّت الآفاق أمامى رغم أننا كنا فى عز النهار... إلى أن فاض الكيل بى، وشعرت أنه لا بد من الإفضاء بألمى لمن يمد لى يد العون وينتشلنى من الهوة التى ابتلعتنى، فانتهزت فرصة رؤيتى فى فناء المدرسة الأحمدية الثانوية بطنطا لأستاذى العظيم الذى كان يدرس لنا مادة اللغة العربية والذى كان يحبه ويحترمه الطلاب جميعا، الأستاذ سيد أحمد أبو رية، رحمه الله وبَوّأه عُلْيَا الجِنَان، وأقبلتُ عليه خائفًا رغم ذلك أن ينهرنى عن مثل تلك الخواطر والأفكار، وشرحت له على قدر ما يمكننى المصارحة فى مثل تلك المسألة ما كان يعذبنى آنذاك متوقعا أن يهبّ فى وجهى صارخا معنفا. وإذا بالرجل يبتسم لى فى حنان ويربّت على كتفى قائلا إن هذا هو صريح الإيمان. فقلت له: كيف؟ قال: إن الإمام أبا حامد الغزالى قد مر بشكوك عنيفة هزته هزا، إلا أنه لم ينهزم أمامها، بل أخذ يقلّبها ويدرسها حتى وصل إلى بر اليقين، فكان كتابه: "المنقذ من الضلال".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معقول؟ نعم معقول ونصف. ومن يومها وأنا، بحمد الله، لا أخشى التفكير فيما فى جعبتى الإيمانية من بضاعة دينية بفضل ذلك الأستاذ العظيم، الذى انعقدت بينى وبينه إلى وفاته منذ عدة سنوات صداقة متينة، فكنت أزوره دائما فى بيته، الذى فتحه لى كأننى ابن من أبنائه: أبيت عنده وآكل معه وأناقشه فى كل شىء، شاعرا دائما بالسعادة فى وجوده رغم فارق السن الكبير بيننا، رحمه الله رحمة واسعة جزاء عطفه علىَّ وفتحه قلبه وبيته لى، ومعاملته إياى كأننى أحد أبنائه، وسعة أفقه العجيبة فى المناقشات الراقية الممتعة التى كنا نقضى فيها وقتنا كلما التقينا.

وفى الكتاب الذى فى أيدينا الآن وجهة نظر فى تفسير القرآن جديدة وغريبة، إذ ترى المؤلفة أن التفاسير القرآنية تعكس منذ نشأتها حتى الآن فكر الرجال، ولا تهتم بالنساء ولا بحقوقهن أو وجهة نظرهن، مما أدى إلى القول بأشياء فيها ظلم للمرأة، ثم نسبتها للإسلام رغم أنها ليست من الإسلام فى شىء. ولهذا نراها قد سمت كتابها: "نَسْخ التفسير البطياركى للقرآن"، أى التفسير الأبوى. والمقصود به التفسير الذكورى أو الرجولى، على اعتبار أن التفسير يعكس، فيما يعكس، النوع الذى ينتمى إليه صاحبه من ذكورة أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنوثة، وهو ما يهمنا هنا فى المقام الأول. وقد أقبلتُ بعقل مفتوح على الكتاب، الذى أرادت فيه صاحبته أن تعالج التفسير القرآنى من وجهة نظرٍ نسويةٍ فأتت بآراء لم يسبق للمفسرين ببعضها عهد، متصورة أنها بذلك تحق الحق وتبطل الباطل، باطل الرجال بطبيعة الحال، فقرأتُه ثم ناقشتُ أهم ما فيه، فوجدتُنى أوافق المؤلفة فى أمور، وأختلف معها فى أمور: اختلافا هادئا أو شديدا حسب الأحوال. وكتبت ذلك كله فى الدراسة التى صَدَّرْتُ بها الكتاب. وأرجو ألا أكون قد أخطأتُ كثيرا، وإن كان عذرى فى كل حال أننى بذلت كل ما عندى من جهد فى القراءة والفهم والدرس، وهو ما أرجو أن يكون شافعا لى عند الله وعند القراء الأعزاء. وأنا، بعد هذا وقبل هذا، بَشَرٌ لا أَدَّعِى لنفسى شيئا سوى أننى أجتهد ولا آلو.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسما بارلس

أسما بارلس أستاذة جامعية باكستانية مسلمة، تعمل بكلية إثيكا كولدج فى مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية. وأهم ما تكتب فيه، فيما يهمنا نحن المسلمين، هو تأويل القرآن. ولها فى هذا المجال عدة دراسات منها كتابها الذى بين أيدينا الآن: "النساء المؤمنات فى الإسلام- نَسْخ التفسير البطرياركى للقرآن: "Believing Women" in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an". وهى من مواليد عام 1950م، وتركتْ باكستان فى عهد الرئيس ضياء الحق. وها هى ذى ترجمتها بشىء من التفصيل نقلتُها للقارئ الكريم من النسخة الإنجليزية لموسوعة " Wikipedia: ويكيبيديا"، وفيها عرض للشهادات التى حصلت عليها، والمناصب التى تولتها، والكتب والدراسات التى وضعتها، والمواقف السياسية والفكرية التى تتبناها، وغير ذلك من النقاط الهامة فى مسيرة حياتها:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"Asma Barlas is an academic educated in Pakistan and the United States. She is the Director of the Center for the Study of Culture, Race, and Ethnicity of the department of politics at Ithaca College, New York. Her specialties include comparative and international politics, Islam and Qur'anic hermeneutics, and women and gender.

Barlas was named to the prestigious Spinoza Chair at the University of Amsterdam in the Netherlands for "her prominent contributions to discussions about women and Islam".

Her views and interpretations of Islam have been called "Islamic feminism," but she herself rejects this term, unless it is defined as "a discourse of gender equality and social justice that derives its understanding and mandate from the Qur'an and seeks the practice of rights and justice for all human beings in the totality of their existence across the public-private continuum."

Biography:

Born in Pakistan in 1950, Barlas was one of the first women to be inducted into the foreign service. Her diplomatic career was ended, when General Zia ul Haq dismissed her from the Foreign Service on two charges; for calling him a "buffoon" in her personal diary

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(leaked by her former in-laws) and for having said at a private dinner at the home of Pakistan's ambassador to the Philippines, "that the judiciary in Pakistan was neither free and nor fair", She joined the paper, The Muslim, as assistant editor, but eventually had to leave Pakistan for reasons of personal safety in 1983 and later received political asylum in the U.S.

Barlas is former chair of the Department of Politics and founding director of the Center for the Study of Culture, Race, and Ethnicity at Ithaca College. She has a B.A. in English Literature and Philosophy, an M.A in Journalism from Pakistan, and an M.A. and Ph.D. from the Graduate School of International Studies at the University of Denver in Colorado.

Research:

In her recent work, she has focused on the way Muslims produce religious knowledge, especially patriarchal exegesis of the Qur'an, a topic she has explored in her book, "Believing Women" in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an. She has also written numerous editorials for The Daily Times, Pakistan.

Books:

“Women‟s and Feminist Readings of the Qur‟an,” in Jane McAuliffe (ed.), Cambridge

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

Companion to the Qur‟an (Cambridge University Press, 2006).

“Reviving Islamic Universalism: East/s, West/s, and Coexistence,” in Abdul Aziz Said and Meena Sharify-Funk (eds.), Contemporary Islam: Dynamic, not Static (Routledge, 2006).

“Globalizing Equality: Muslim Women, Theology, and Feminisms,” in Fera Simone (ed.), On Shifting Ground: Muslim Women in the Global Era (NY: Feminist Press, 2005).

Islam, Muslims, and the U.S.: Essays on Religion and Politics (India, Global Media Publications, 2004)

“Amina Wadud‟s Hermeneutics of the Qur‟an: Women Rereading Sacred Texts,” in Suha Taji-Faruqi (ed.), Contemporary Muslim Intellectuals and the Quran: Modernist and Post Modernist Approaches (Oxford: Oxford University Press, 2004).

"Believing Women" in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an (University of Texas Press, 2002).

Democracy, Nationalism, and Communalism: The Colonial Legacy in South Asia (Westview Press, 1995)".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النسوية

"النِّسْوِيّة هي مجموعة مختلفة من النظريات الاجتماعية والحركات السياسية والفلسفات الأخلاقية التي تحركها دوافع متعلقة بقضايا المرأة. ويتفق النسويون والنسويات على أن الهدف النهائي هو القضاء على أشكال القهر المتصل بالنوع الجنسي ليسمح المجتمع للجميع نساءً ورجالاً بالنمو والمشاركة في المجتمع بأمان وحرية. ويهتم معظم النسويين بشكل خاص بقضايا عدم المساوة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين النساء والرجال،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مؤكدين أن مفاهيم النوع الاجتماعي والهوية تبعا للجنس إنما تحددها البنية الإجتماعية. ويختلف النسويون حول السبب في انعدام المساواة بين الجنسين، وكيفية التسوية بينهما، وكذلك المدى الذي يجب أن يصل إليه التشكيك في التعريفات المبنية على أساس الجنس والنوع الاجتماعي. وكأي أيديولوجية أو حركة سياسية أو فلسفية ليس هناك صيغة عالمية موحدة للنسوية تمثل كل المنضوين تحت رايتها.

وتأخذ نشاطات النسوية السياسية غالبا شكل حملات كما في قضايا الحقوق الإنجابية، التى تشمل الحق في اختيار إجهاض آمن وقانوني، وقضايا منع الحمل، ونوعية الرعاية الصحية المتوفرة للأمهات، والعنف في العلاقات الأسرية، والتحرش الجنسي، والتحرش في الشوارع، والاغتصاب، والتمييز، وعدم المساواة بين الجنسين في الأجور.

و يؤكد كثير من النسويين اليوم أن النسوية حركة شعبية تهدف إلى تخطي الحواجز التي تتعلق بالمرأة في المجتمع والمبنية على العِرْق والمكانة الاجتماعية والثقافة والدين، وتهتم بقضايا مثل الاغتصاب وزنا المحارم والأمومة وتأثيرها على المجتمع العالمي. ومن الموضوعات التي تركز عليها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النسوية: المجتمعات البطرياركية، والتَّشْيِيء، والتشييء الجنسي (أي تحويل المرأة إلى سلعة جنسية)، والاضطهاد.

وهناك حركات نسوية متعددة منها:

النسوية الاشتراكية والماركسية: وترى قضايا المرأة كجزء من المجتمع الرأسمالي ونتيجة له، وأن قهر المرأة مرتبط بالاستغلال وقوة العمل عن طريق تحقير المجتمع لقوة عمل المرأة وإنتاجها في العمل مدفوع الأجر والعمل غير مدفوع الأجر (المنزلي). ويكمن الحل للنسويات الاشتراكيات في العمل على تغيير المجتمع بصورة كلية، وبالتالي تغيير وضع المرأة.

النسوية الراديكالية: وترى النسوية الأصولية أن مشكلة المرأة تكمن في تنظيم المجتمع البطرياركي، الذي يستند على أفضلية الرجل. ومن تلك النظرة يصبح حل مشاكل المرأة هو هدم النظام البطرياركي وتحويله إلى نظام يساوي بين الناس بغض النظر عن نوعهم الجنسي، وذلك يبدأ بتحدي الأشكال المستقرة لأدوار الجِنْدَر (النوع الجنسي)، وأنه لا أمل في التغيير بدون إنهاء شكل التنظيم المجتمعي الحالي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النسوية الليبرالية: ويرى هذا الاتجاه أن حل مشكلة المرأة يكمن في تغيير القوانين والسياسات بصورة إصلاحية. لذلك فمن الممكن حل مشكلة المرأة بدون إحداث أي تغيير جذري في المجتمع. فكل ما نحتاجه هو تغييرات إصلاحية. وينظر النسويون والنسويات ذوو الاتجاه الليبرالي لقضية المرأة من منظور فردي. وعندهم أن كل امرأة قادرة على تحقيق ذاتها والتساوي بالرجل حتى في ظل المجتمع الذكوري. وفي النسوية الليبرالية لا يُنْظَر للطبقة أو الإثنية أو الجنسية الخاصة بالمرأة كعامل ذي أهمية كبيرة، فكل امرأة قادة على الاختيار والتغيير حتى تصبح مساوية للرجل.

نسوية الجنوب: تهتم نسوية ما بعد الاستعمار (نسوية الجنوب) بقضايا المرأة بصورة عالمية، وتنتقد الاتجاهات النسوية في الشمال بأنها تصدّر نظرتها لمشاكل المرأة في المجتمعات المرفهة بوصفها مشاكل المرأة بصورة عالمية. وتهتم نسوية ما بعد الكولونيالية بالتلاقي بين الإيدلولوجيات الذكورية والاستعمار والعنصرية، وتنتقد تصويرَ النسوية الغربية للنساء في الجنوب بوصفهن ضحايا سلبيات في مقابل تصوير النساء في الشمال بأنهن متعلمات، وفي مواقع شبه متساوية مع أقرانهن من الرجال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نسوية بيئية: هي اتجاه نسوي يرى أن هناك ارتباطا وثيقا بين اضطهاد المرأة والقضايا البيئية، إذ يرى النسويون أن كلا من التدمير البيئي وقهر المرأة ناتج عن استغلال الرجل لمحيطه. فالرجل في النظام البطرياركي يملك الأرض ويستغلها ويقهر المرأة. هذا التاريخ المشترك من القهر على يد الرجل يخلق تشابها بين المرأة والطبيعة.

نسوية لاسلطوية: تجمع النسوية اللاسلطوية فى إهابها بين اللاسلطوية والنسوية، وتعارض المفهوم التقليدي للأسرة والتعليم وأدوار الجنسين.

نسوية إلحادية: تؤكد النسوية الإلحادية على المساواة بين الرجل والمرأة، وتَعُدّ الدين مصدرا رئيسيا لاضطهاد المرأة وعدم المساواة بين الجنسين.

نسوية يهودية: النسوية اليهودية حركة تسعى إلى تحسين الوضع الديني والقانوني والاجتماعي للمرأة، وإعطاء حق القيادة للمرأة اليهودية. ويطالب النسويات والنسويون اليهود بالحقوق المتساوية في الزواج، والسماح بالطلاق، والسماح للمرأة بتولي المناصب القيادية في الكنيس اليهودي وأن تكون حاخاما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نسوية نصرانية: وتسعى النسوية المسيحية إلى المساواة بين الرجل والمرأة أخلاقيا واجتماعيا وروحيا، إذ يؤمن النسويون والنسويات النصارى بأن الله لا يميز بين الناس على أساس الجنس والعرق. وفي كثير من الأحيان نراهم يعتمدون على أدلة مأخوذة من الكتاب المقدس، ويدعون إلى المساواة والعدل في الحقوق والواجبات، ويطالبون بحق العمل وغيره من الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية بما فيها حق المرأة في أن تكون في قيادة الكنيسة.

نسوية إسلامية: ينتقد النسويون والنسويات الليبراليون تعدد الزوجات ويطالبون بمنعه. كما يطالبون بالمساواة في الإرث، ويؤمنون بأن المرأة تستطيع قيادة الدولة، ولا ينبغي أن تكون معزولة عن الرجال. كذلك يسمحون للمرأة أن تؤدي الصلاة في مجموعة مختلطة بدلاً من أن تؤديها في أماكن مخصصة لها في المسجد، سواء كانت هذه الأماكن المخصصة وراء الرجال أو في مكان منفصل عن الرجال. ويطالبون بحق المرأة في العمل والتصويت واختيار الزوج، وحق الزواج بغير المسلمين لفتح باب واسع من أبواب العلاقات الإنسانيه المختلطه الشاملة، وأن يكون الطلاق في المحكمة، ويعارضون الزي التقليدي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للنساء المعروف باسم "الحجاب" و"النقاب"، على أساس أن أية ملابس محتشمة تكفي إسلاميا لكل من الرجال والنساء.

قضايا:

حقوق مدنية: هي حقوق المرأة كمواطنة في الدولة، ومنها حقها في التصويت الانتخابي، وحقها في شغل المناصب العامة، وحقها في التعليم، وحقها في عائدٍ مساوٍ لعائد الرجل من العمل، وحقها في الإرث، وحقوق أخرى. وهذه الحقوق بصورة عامة هي الحقوق المعنيّة بمساوتها كمواطنة مع مواطني وطنها من الذكور.

حقوق إنجابية: هي الحقوق المتعلقة بالصحة الإنجابية والإنجاب. ويقر إعلان طهران لحقوق الإنسان في مادته السادسة عشرة أن "حرية الأبوين في تقرير عدد أبنائهما والفترات الفاصلة بينهم بروح المسؤولية هو حق إنساني أساسي لهما".

وتهتم النسوية بقضايا إنجابية مثل حق المرأة في الحصول على معلومات جنسية وتناسلية صحيحة، وحقها في الحصول على موارد طبية تسهّل لها التحكم في حياتها الإنجابية (أدوات تنظيم النسل)، وحقها في إجهاض قانوني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وآمن متى اختارته، وحقها في الحماية من تشويه الأعضاء التناسلية، والحق في الحمل والولادة، والحق في عناية صحية جيدة للأم والطفل، والحماية من التعقيم الإجباري وتحديد النسل الإجباري، والحق في الحصول على الحماية من الأمراض المعدية جنسيا .

النسوية المعارضة للإباحة: ويعارض هؤلاء النسويون المواد الاباحية قائلين إنها استغلال وإذلال وقهر للمرأة، ويطالبون بمنعها .

العنف ضد المرأة: هو مصطلح للتعبير عن مجموعة مختلفة من التصرفات العنيفة الموجهة تجاه المرأة لكونها أنثى. ويعرّف الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، الصادر عن الأمم المتحدة في 1993، "العنف ضد المرأة" بأنه أي عنف بدني أو جنسي أو نفسي يستهدف النساء في الأسرة أو المجتمع بصورة عامة (الشوارع، أماكن العمل، المؤسسات التعليمية. . .)، أو العنف الموجه ضد المرأة من الدولة" .

(مادة "نسوية" فى النسخة العربية من موسوعة "الويكيبيديا")

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دراسة كتاب بارلس

فى كتابها: "Believing Women" in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'ān: النساء فى الإسلام – نَسْخ التفسير البطريركى للقرآن" (University of Texas Press, 2002) تؤكد د. أسما بارْلَس (Asma Barlas) المتأمركة ذات الأصل الباكستانى (وبالمناسبة فـ"بارلس" هو اسم القبيلة المغولية التى كان ينتمى إليها جنكيز خان وتيمورلنك كما جاء فى كل من مادة " Tamerlane" بـ"موسوعة الإنكارتا" الإنجليزية، ومادة " Barlas" بـ"موسوعة الويكيبيديا" الفرنسية) أن القرآن لا يعكس من خلال نصوصه وجهةَ نظرٍ بطريركيةً، إلا أن تفسيره قد خضع رغم ذلك لتأثير المجتمع البطريركى الذى نزل فيه، فكان لزاما عليها، كما تقول، أن تُنَقِّىَ التفسير من تلك التأثيرات البطريركية (ص XI). هذا ما قالته بارلس: فأما أن القرآن لا يعكس وجهة النظر البطريركية فهو أمر طبيعى، إذ هو من عند الله رب البشر جميعا، أى رب الرجال والنساء معا لا رب الرجال وحدهم، مثلما هو سبحانه وتعالى ليس رب النساء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحدهن. ومن ثم لا يمكن أن يحابى جنس الرجال أو جنس النساء، بل يعاملهما جميعا بالعدل بل بالإكرام، معطيا كل ذى حق حقه وزيادة.

ثم تضيف قائلة إنها أَلَّفَتْ هذا الكتاب لتبين للمرأة المسلمة أنها تستطيع المناضلة من داخل الإسلام نفسه ضد الظلم الواقع عليها على عكس ما يعتقد المحافظون والتقدميون على السواء، وإنها لتشعر بالإحباط جَرّاء ما تسمعه من بعض الناس من أن "الإسلامية هى الإسلامية"، بمعنى أنه لا أمل فى أن تحصل المرأة المسلمة على حقوقها من داخل الإسلام، إذ ترى أن الربط بين الإسلام وظلم المرأة هو انعكاس للقراءة الخاطئة للقرآن المجيد والاعتقاد بأنه لا بد من وجود علماء دينيين يؤخَذ عنهم تفسير كتاب الله. على أنها ترى مع ذلك أن الأمر لن يكون سهلا بحال فى ظل تحكم "الظلاميين" فى أمور الدين رغم تأكيدها المتكرر بأنه ليس من حق أحدٍ ادعاءُ احتكار الفهم الصحيح للدين، وكذلك فى ظل عمل الدول الإسلامية وبعض علماء الدين على منع المسلمين من القراءة. تقصد، فيما أتصور، منعهم من قراءة القرآن والعمل على فهمه فهما مستقلا. وهو ما يشكّل، كما تقول، مفارقة مضحكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فى ظل ما نعرفه من أن أول آية نزلت على النبى الأمى هى الأمر بالقراءة: "اقرأ".

ونحن معها فى أن عزوف المسلمين بوجه عام عن القراءة يشكل مفارقة تبعث على الغيظ والإحباط، إذ إن أول آية نزلت من كتاب الله على رسولنا الكريم كما هو معلوم للجميع هى قوله عز شأنه: "اقرأ باسم ربك الذى خَلَق". فكيف وصل الحال بأمة الإسلام إلى أن تكره القراءة كل هذه الكراهية رغم ما للعلم وللسعى فى سبيل تحصيله فى الإسلام من مكانة لا تكاد تدانيها مكانة حتى إن الإسلام ليفضل العالم على العابد تفضيلا كبيرا، وحتى إن الشىء الوحيد الذى أُمِر الرسول الكريم بالاستزادة منه هو العلم: "وقل: ربِّ، زدْنى علما"، بل حتى إن السعى وراء تحصيل العلم هو فرض واجب يأثم المسلم بإهماله، وليس مجرد حق من الحقوق يمكنه أخذه أو تركه؟ أما أن هناك دولا إسلامية تمنع الناس من قراءة القرآن وفهمه فلا أدرى عن أية دولة أو دول تتحدث الكاتبة، إذ لم أسمع يوما بشىء من هذا. اللهم إلا إذا كانت تقصد أن العلماء قد يبدون استنكارهم حين يرون شخصا غير مؤهل، على الأقل: فى نظرهم، يتصدى للحديث والفتيا فى أمور الدين. فإن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان الأمر كذلك لقد كان يجب عليها، وهى الأستاذة الجامعية، أن تعرف أن التخصص أمر لا بد منه إذا أراد الإنسان أن يَزُجّ بأنفه فى قضية ما . أليس كذلك؟ وليس شرطا أن يكون الإنسان متخرجا من كلية دينية حتى يكون متخصصا . ذلك أنه من الممكن جدا تعويض هذا بالقراءة الواسعة العميقة والمثابرة ومدارسة العلماء والانشغال بالأمر انشغالا جادا والمراجعة المستديمة له، فضلا عن أن يكون الشخص مؤهلا للفهم السليم العميق والتفكير المستقل . . . إلخ.

ثم تمضى قائلة إنها، حين ألفت كتابها هذا، لم تضع فى ذهنها أنها تخاطب المسلمين وحدهم، بل المسلمين ومن يعيشون معهم فى نفس المجتمع، وهو ما جلب عليها العداوة طول الوقت. تقصد عداوة قطاعات من المسلمين الذين يَرَوْن، حسبما وَضَّحَتْ، أنهم شىء مختلف عن الآخرين وأن هناك حدودا حاسمة تفصل بينهم وبين أولئك الآخرين، إذ يؤمنون بأن هؤلاء الآخرين لا يشتركون معهم فى أى شىء، على عكس ما تعتقد هى. فأما أن المسلمين متفردون بأشياء فهذا صحيح، فهم الوحيدون فى العالم الآن الذين يوحدون الله حق توحيده، وهم الوحيدون الذين لم يمدوا أيديهم إلى كتابهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدس فيحرفوه كما فعلت أمم أخرى عبثت بكتابها، أو نسيته وأهملته فضاع فى أطواء التاريخ. كما أن دينهم دين عالمى. لكنهم من جهة أخرى بشر من البشر لا يفترقون فى هذا عن أية أمة أخرى من الأمم. بيد أن قولها إنها، حين ألفت كتابها هذا، قد وضعت غير المسلمين فى اعتبارها فأخشى ما أخشاه أن يؤثر ذلك على عرضها للإسلام فتعمل على تقريبه ممن يُوجَدُون حولها من غير المسلمين. فنرجو التنبه إلى هذا حتى لا تنزلق قدم الواحد منا إلى ما لا تُحْمَد عُقْبَاه.

أقول هذا وفى ذهنى ما صنعته د. لالَة بختيار، وهى أستاذة إيرانية (متأمركة أيضا) تخطت الستين بأعوام، إذ نراها، فى ترجمتها للقرآن الكريم، تستعمل على سبيل المثال كلمة" submission: الخضوع" بدلا من" Islam: الإسلام"، و" ungrateful: منكر للنعمة" بدل "disbeliever: كافر"، و" way of life: طريقة حياة" مكان "religion: دين" . . . وهلم جرا، كل ذلك كى لا تؤذى غير المسلمين فى مشاعرهم حسبما تقول، وهو ما يفسد الأمور إفسادا شديدا دون أى وجهٍ سوى الشعور بالنقص ومحاولة التقرب إلى الآخرين على حساب الإسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفسه. ولو كان هذا الذى صنعته تلك السيدة صحيحا، فكيف لم يفعله الله سبحانه وتعالى؟ أتراها تعدّل ما عمله الله؟ لكنْ هل ما عمله الله خطأ حتى تأتى هى فتستدرك عليه؟ الواقع أنه لو فعل كل أصحاب دينٍ هذا الذى صنعته ما بقى هناك دين على حاله ولصارت الأديان شيئًا آخر غير ما هى عليه. فما بالنا بالإسلام، الذى جاء كى يكون مهيمنا على الكتب الدينية الأخرى ويصحّحها لا أن يصحَّح ليتطابق معها ؟

جدير بالذكر أن د. بختيار هى ابنةُ طبيبٍ إيرانيٍّ تلقى تعليمه فى أمريكا وممرضةٍ أمريكيةٍ بروتستانتيةٍ. وقد تربت تربية أمريكية كاثوليكية ثم تحولت إلى الإسلام بعدما كبرت وتزوجت ورجعت إلى إيران، وإن كانت قد طُلِّقَتْ وعادت من جديد إلى الولايات المتحدة عام 1988م حيث خلعت الحجاب بعد أن ظلت ترتديه فترة طويلة، وذلك تجنبا للفت الأنظار واستعراض تمسكها بالإسلام بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر 2000I حسبما أخبرتنا. وقد وفرت لها دار النشر التى أصدرت الترجمة المذكورة كل وسائل الراحة المادية والمعنوية كى تنجز ترجمتها، التى أرجو أن أتمكن من الحصول على نسخة منها عما قريب وأن تتاح لى الفرصة لدراستها دراسة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مفصلة قبل أن أصدر حكمى عليها (انظر هذا الرابط:

http://www.asmasociety.org/news/ct.pdf) . وإذا كان الشىء بالشىء يُذْكَر فقد جرى محمد أسد فى ترجمته للقرآن المجيد، التى أصدرها فى ثمانينات القرن الماضى، على شىء مثل هذا، وهو ما نبهتُ إليه فى كتابى: "فكر محمد أسد (ليوبولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون" . والغريب أن الحجة التى استندت إليها السيدة بختيار لتسويغ فعلتها هى أن الإسلام دين عالمى يخاطب الناس جميعا . ذلك أن ما صنعته إنما يتناقض مع تلك العالمية، إذ بدلا من دعوة الناس للدخول فى دين الله وتغيير أنفسهم حتى تتسق حياتهم معه نراها تغير الدين نفسه ومفاهيمه حتى تتسق مع أوضاع غير المسلمين. وهَبِ الأمر كما تقول، أيصح أن أُهْمِل المسلمين وأَضْبِط أمرى على أوضاع غيرهم؟

وهذا نص كلامها فى الموضوع (وهو موجود على الرابط التالى:

http://www.sublimequran.org/):

"In addition to the translation being unbounded by time, in several sensitive cases, the word chosen to translate an Arabic word is also of a universal rather than a particular nature. This then broadens the perspective and

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

scope of the Quran so that it becomes inclusive rather than exclusive to one particular group of people. In other words, in this way a larger audience can relate to its message. Examples of this would be the translation of the derivatives of k f r, literally meaning: To hide or cover over something. Most English translations use the verb "to disbelieve" making the active participle "one who disbelieves" or "one who is an infidel." In the present translation the more inclusive viable terminology is used, namely, "to be ungrateful," the active participle being "one who is ungrateful."

The Quran itself declares its timelessness and universality. Therefore, its understanding or interpretation must also be eternal and for all time, inclusive of all of humanity rather than exclusive to one group of people. Applying the above criterion to the word aslama, "he who submits," in the eight times that it appears in the form of islam, it is translated according to its universal meaning as "submission," and the forty-two times that its form is muslim, it is translated according to its universal meaning, "one who submits." Or the word for religion, a word clearly misunderstood and even denigrated by some, the word din actually

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

means "way of life" in its universal sense and is so translated in the Sublime Quran".

وعَوْدًا إلى د . أسماء بارْلَسْ نراها تطرح عددا من التساؤلات من بينها السؤال التالى: هل الإسلام يدعو إلى ظلم المرأة أو على الأقل: يرضى به؟ أم هو على العكس من ذلك يشجع حرية النساء ؟ وهل الله فى الإسلام أب يميل إلى الذكور، وله علاقة خاصة بهم، ويرى فيهم تجسيدا لصفاته الإلهية، وينظر إلى النساء على أنهن ضعيفات نجسات خاطئات؟ وهل يرى فى إدارة الذكور لشؤون الأسرة أمرا ينبغى استمراره بوصفه قاعدة خالدة كما يقول البطرياركيون؟ وهل الإسلام يقيم فروقا بين الجنسين وانحيازا إلى الذكور وتفضيلا لهم على أساس الاختلافات البيولوجية بينهم وبين النساء أو إن تعاليم القرآن تنتصر للمساواة والتشابه بين الجنسين؟

فأما أن القرآن يحابى الرجال فكلا ثم كلا، فليس الله ذكرا ولا أنثى حتى يقال إنه يميل ناحية جنسه، أستغفر الله تعالى! لكنى فى ذات الوقت لا أفهم كيف يشجع الله حرية النساء، إذ ما المقصود بالحرية هنا؟ الواقع أنه ما من دين، بل ما من فلسفة أو نظام إلا وله قيوده التى لا بد لأتباعه أن يتقيدوا بها . هذه هى الحياة، وتلك هى أوضاعها، ولا محيد عن ذلك أبدا . ومن ثم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا الرجل ولا المرأة حُرّان تامّا الحرية، إذ هناك الحلال والحرام والأعراف والتقاليد واللائق وغير اللائق. . . إلخ، ولا مناص من مراعاة ذلك كله، وإلا فالحرية المطلقة إنما هى وهم لا وجود له فى أى مكان فى الدنيا لا فى السماوات ولا فى الأرضين. فنحن مخلوقون، وكل أمورنا نسبية بما فيها بل على رأسها الحرية. والله سبحانه وتعالى لا يرى فى الرجال تجسيدا لصفاته الإلهية، إذ هذه نظرة وثنية لعلاقة الله بعباده، نعوذ بالله منها . وهناك دائما ذلك الفرق بين الله ومخلوقاته، وهى أن كل ما فى أيديهم أو يتصفون به هو هِبَةٌ من الله لا كَسْبٌ أنجزوه بأنفسهم من العدم، كما أن كل ما يتمتعون به من صفاتٍ هو نسبىٌّ محدودٌ له بداية ونهاية، على حين أن صفات المولى مطلقة لا تُحَدّ، فليس لها من ثَمَّ بدء ولا انتهاء .

ثم إن الرجل والمرأة يستويان فى خضوعهما لتلك القيود، أى فى نسبية الحرية. ونفس الشىء يقال عن قيود الدين، أى أوامره ونواهيه، إذ هى تلزم الجنسين جميعا لا النساء وحدهن. وبناءً عليه إذا كان الإسلام مثلا يحرّم على المرأة الزنا، فهو يحرّمه أيضا وبنفس القوة على الرجل. وعلى ذلك فَقِسْ كل أوامر الدين ونواهيه بالنسبة إليهما . لكن لا بد فى نهاية المطاف أن نكون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على ذِكْرٍ من أن للرجل على المرأة درجة بنص القرآن المجيد: "ولهنَّ مِثْلُ الذى عليهن بالمعروف. وللرجال عليهن درجة" (البقرة/ 228). والمفهوم أن هذه الدرجة هى درجة القِوَامة، التى أعطيت للرجل من دون المرأة، إذ ما من مؤسسة أو شركة إلا ولها رئيس يقوم بمسؤوليتها ويتحمل أعباءها، وإن لم يترتب على هذا أن يكون هناك سادة وعبيد، بل هى مسألة تنظيمية بحتة. وهذا هو حكم القرآن، فلا مُشَاحَّة لمسلم فى هذا. ثم إن الرجل والمرأة فيما وراء ذلك حُرَّانِ (حرية نسبية طبعا)، فيمكنهما أن ينتجا ويبدعا ويستمتعا بالحياة طعاما وشرابا وجنسا وسماعا وقراءة وترحالا وبيعا وشراء وعملا ونوما واسترخاء واسترجاعا للذكريات وتطلعا إلى المستقبل وتربية للأولاد وتزويجا لهم مع مراعاة أحكام الشريعة ومواصفات الخلق الكريم وقواعد اللياقة والذوق السليم وما إلى ذلك...

وتجرى الأحاديث التالية فى نفس المجرى الذى تَجْرِى فيه الآية: فعن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " ألا أخبركم بخير ما يكنز؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سَرَّتْه، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته"، وعن أبى هريرة "أنه سُئِل عن خير النساء فقال: التي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تطيع زوجها إذا أمر، وتسره إذا نظر، وتحفظه في نفسها وماله"، وعنه رضى الله عليه أيضا: "قيل: يا رسول الله، أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا في ماله بما يكره"، على حين أن ما أوجبه صلى الله عليه وسلم على الرجال تجاه النساء هو تلبية حاجاتهن مثلما يلبون حاجات أنفسهم والرفق بهن ومعاملتهن معاملة كريمة: "أيها الناس، إن النساء عندكم عَوَانٍ، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. ولكم عليهن حق، ومن حقكم عليهن ألا يُوطِئْن فُرُشَكم أحدا، ولا يعصينكم في معروف. فإذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف"، "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي. ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم"، "عجبت من قضاء الله للمؤمن: إن أصابه خير حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر. فالمؤمن يُؤْجَر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته". فمن الواضح من هذه الأحاديث أن للرجل حق القوامة، وإلا ما كان لأمره صلى الله عليه وسلم للزوجة بطاعة زوجها ولا لأمره إياه بالرفق بها والإحسان إليها معنى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما قول السيدة بارلس: هل ينظر الله إلى النساء على أنهن ضعيفات نجسات خاطئات؟ فالجواب عليه هو أن الله قد خلق البشر جميعا ضعفاء: الرجال منهم والنساء على السواء. يقول المولى جل جلاله: "وخُلِق الإنسان ضعيفا". إلا أننا نرى بأعيننا ونلمس بأيدينا ونشعر فى قرارة قلوبنا ونستنتج بعقولنا التى فى رؤوسنا ونسمع بآذاننا ونحس فى أعماق ضمائرنا صوت الواقع الحاضر والتاريخ الماضى مؤكدا أن مُنَة النساء أقلّ من مُنَة الرجال رغم ما قلناه من أن الجنسين جميعا قد خُلِقا منذ البداية الأولى ضعيفين كما ورد فى القرآن الكريم. ذلك أن الرجل أقوى عضليا من المرأة، كما أنه أقدر على تحمل مصاعب الحياة ولا ينهار أمامها بسهولة، أو على الأقل: لا يسارع إلى البكاء إزاءها كما تفعل المرأة. ودعنا من أن إنجازاته العقلية أغزر وأعمق من إنجازات شقيقته فى الإنسانية وتوأم روحه ومكملة وجوده وجاعلة حياته ذات طعم ومعنى، أو (إن كان لابد من القفشة هنا) محوّلتها جحيما لا يطاق حسب اختلاف الظروف. أما إنْ لَجَّ بعض الناس وقال بغير ما هو مشاهد معلوم لا ينكره إلا معاند عريق فى المِرَاء فشأنه وذاك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإذا كان جون ستيوارت مِلْ مثلا ينكر أن يكون للتفوق العضلى أى قيمة فى هذا السبيل بحجة أن الفيل أقوى عضليا من الإنسان، ومع هذا فليست قوة عضلاته ميزة يمتاز بها عليه، فالرد سهل جدا لمن يريد . فنحن لا نقول إن الرجل لا يملك مثل الفيل سوى القوة العضلية، ثم تتفوق المرأة عليه بعد ذلك بعقلها كما يتفوق الإنسان على الفيل بعقله، نحن لا نقول هذا، وإلا لكانت المرأة تلقائيا هى صاحبة القوامة مثلما أن الإنسان هو الذى يقود الفيل حسبما يريد ويستخدمه فى أعماله لا العكس رغم تفوق الأخير على الأول فى الحجم والقوة الجسدية. ذلك أن العبرة فى تلك الحالة بالفكر والذكاء والدهاء والتخطيط، بخلاف الأمر فى المقارنة بين الرجل والمرأة، اللذين لو قلنا فَرْضاً بتساويهما التام فى العقل والذكاء والاختراع والإبداع وسائر الصفات المعنوية لبقى أن الرجل يمتاز عليها بالقوة العضلية، وهى عاملٌ مرجِّحٌ شديد الأهمية، إذ هو فى نظر النسويين والنسويات السبب فى تسيّده عليها منذ فجر التاريخ حتى عصرنا هذا، وليس ذلك بالشىء القليل.

وهذه عبارة الفيلسوف الإنجليزى، وهى مأخوذة من كتابه: " The Subjection of Women": " But (it is said) there is anatomical evidence of the superior mental

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

capacity of men compared with women: they have a larger brain. I reply, that in the first place the fact itself is doubtful. It is by no means established that the brain of a woman is smaller than that of a man. If it is inferred merely because a woman‟s bodily frame generally is of less dimensions than a man‟s, this criterion would lead to strange consequences. A tall and large-boned man must on this showing be wonderfully superior in intelligence to a small man, and an elephant or a whale must prodigiously excel mankind."

كذلك فجون ستيورات مل، فى ذات الكتاب، يصف عمل المرأة داخل البيت بأنه يحولها إلى خادمة للرجل، على حين أن عملها خارج البيت يصيّرها شريكة له، والشريكة غير الخادمة. وهذا خطأ فى الوصف والتشخيص، إذ بهذه الطريقة ينبغى أن نقول عن الرجل، الذى "يطفح الدم" كى يأتى آخر الشهر فيضع فى يد زوجته ما كسبه كله أو معظمه لتنفق منه عليه وعلى نفسها هى والأولاد، إنه يشتغل خادما بل عبدا عندها هى وأولادها. وهو ما لا نقوله ولا يقوله عاقل. ثم إن الناس، رَضُوا أم كرهوا،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هم بعضٌ لبعضٍ، وإن لم يشعروا، خدمٌ. خدمٌ بالمعنى الواسع النبيل، إذ عليهم التعاون معا، وإلا استحالت الحياة والحضارة. أليس كذلك؟

ثم ما الذى فى قيام المرأة مثلا بتعليم أبنائها فى البيت مِنْ عيبٍ ينتفى عند تعليمها أبناء الآخرين فى المدرسة إذا اشتغلت مدرّسة، وكثيرا ما تشتغل؟ أو ما الذى فى قيام المرأة بتمريض أبنائها فى البيت مِنْ عَيْبٍ ينتفى عند تمريضها أبناء الآخرين فى المستشفى إذا اشتغلت ممرضة، وكثيرا ما تشتغل؟ أهى معاندة لمجرد المعاندة، والسلام؟ هذا، ولا بد أن نوضح أن إنفاق الرجل على زوجته ليس تفضلا منه يستطيع إيقافه متى أراد، بل هو واجب عليه دينا وعقلا وعدلا. أليست تشتغل فى البيت؟ فهذا مقابل لعمله هو خارج المنزل. فهى، حين تأخذ منه مصروف البيت وثمن ملابسها وزينتها ونزهتها، إنما تأخذه بوصفه حقا لها لقاء ما تؤديه من أعمال داخل البيت.

أنا لا أقول إنه يجب على المرأة أن تعود إلى البيت حتما، لكنى شخصيا أوثره على عملها خارج المنزل. وقبل أن يذهب وهم بعض القراء بعيدا أود أن أبين أن زوجتى حاصلة على الماجستير، ولولا مؤامرة سخيفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصغيرة تمت فى غيابنا خارج مصر لكانت قد حصلت أيضا على الدكتورية. ومع هذا فقد اتفقنا منذ البداية على أن تبقى معززة مكرمة داخل المنزل، فأعطانا هذا الفرصة للسفر إلى كثير من المدن والقرى المصرية للفرجة والمتعة وتوسيع المدارك والتغلب على الملل. وقد عملتُ كل ما فى وسعى لتقرأ كثيرا وعميقا، فاستجابت إلى حد رائع، وإن كانت قد أخلدت فى السنوات الأخيرة إلى الاكتفاء بمطالعة الكتب السهلة. وكثيرا ما بيضت لى مسودات كتبى على خير وجه، وكانت تتقاضانى مالا على ذلك فأعطيها إياه وأنا أضحك. وكثيرا أيضا ما علقتْ على ما أكتب، وكان لها بعض المقترحات التى أخذتُ بعضها بعين الاعتبار ونفذته دون تأفف أو غضاضة.

وهناك من النسويات المنتسبات إلى الإسلام من ترفض أن يكون للرجل أى تفوق على المرأة، وتنظر إلى من يقول به على أنه مثل إبليس، الذى دفعته غطرسته إلى رفض السجود لآدم بحجة أنه مخلوق من نار، وآدم من طين، والنار أسمى من الطين كما جاء فى القرآن الكريم. وصاحبة هذا الكلام هى د. عزيزة الهِبْرى، وهى متأمركة عربية الأصول. وهى تسمى منطق القائلين بأن الرجل متفوق على المرأة بـ"المنطق الإبليسى". والحق إنى لأخشى أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكون المنطق الإبليسى هو منطقها هى، فنحن حين نقول بهذا لا نقصد أن الرجال كلهم فى الجنة، والنساء فى النار، بل نقول إن الرجل هو قائد الأسرة، وهذا كل ما هنالك. وشتان بين هذا وبين ما تقوله الهبرى. ثم هل نفهم من كلامها عن غطرسة إبليس ورفضه السجود لآدم أنه ينبغى أن يسجد الرجل للمرأة، وإلا كان مصيره هو مصير أبى الشياطين؟ لا ريب أن هذا منتهى الخلط والتلبيس. ونحن نؤكد أن من المحتمل جدا أن تدخل كثير من النساء الجنة، ويُلْقَى بأزواجهن رغم ذلك فى قعر الجحيم، إذ لا نقول بتفوق الرجل بالضرورة على نصفه الحلو من الناحية الأخلاقية، بل من الناحية العضلية والعقلية، وهى الناحية التى تؤهله أفضل من المرأة للإمساك بزمام الأسرة. لكن ليس معنى هذا أن كل زوج لا بد أن يكون متفوقا على امرأته، بل يمكن جدا أن تتفوق امرأة على رجلها فى الشخصية وفى التفكير. إلا أن هذا ليس هو القاعدة، فلا يُعْتَدّ به من ثم. ثم ما دامت السيدة عزيزة الهبرى قد استشهدت بالقرآن فى قصة آدم وإبليس، فكيف تجاهلت أن القرآن أيضا هو الذى منح الرجال القوامة على النساء، وجعل لهم عليهن درجة؟ أم تراها تؤمن ببعض الكتاب وتتنكر لبعض؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويجد القارئ عرضا لكلام الهبرى بقلم أسماء بارلس فى ص 260 من الفصل الذى عقدته لهذا الموضوع بعنوان "Women‟s readings of the Quran" فى كتاب "The Cambridge Companion to the Quran". وهذه عبارة بارلس فى نصها الإنجليزى: "The point of departure for al-Hibri‟s reading of the Quran‟s position on sexual equality is different. To her, it is the principle of God‟s unity, or tawhıd, that „provides the basis for the fundamental metaphysical sameness of all humans as creatures of God‟. As she too argues, this sameness is also a function of the fact that all human beings were created from the same nafs. Thus, while differences exist by divine will, as the Quran teaches, the most honoured in God‟s sight is the most pious; as such, gender alone cannot render men superior to women. In fact, al-Hibri derives the same moral from the story of Satan‟s fall from divine grace because of his refusal „to bow to Adam in direct contravention of a divine order‟. Satan‟s disobedience, she points out, stemmed from his belief that he was better than Adam „because God created him from fire and Adam from clay‟. She calls „this mode of arrogant reasoning...“Satanic logic”‟ and maintains that

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

it also underpins patriarchies. Early Muslim jurists, unaware of this logic, readily accepted „the central thesis of patriarchy, namely, that males were superior to females". She thus rejects patriarchal readings of Muslim law on the grounds that „they are based on Satanic logic and conflict with tawhıd". Since such interpretive reasoning was a product of its own time, al-Hibri believes that it needs „to be reexamined in light of the change in human consciousness".

وأما تساؤل بارلس عن نجاسة النساء فلا موضع له فى الإسلام، إذ المؤمن لا يَنْجُس أبدا بنص كلام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. ومثله المؤمنة أيضا، فـ"المؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض" كما جاء فى القرآن المجيد، و"النساء شقائق الرجال" كما ورد فى الحديث الشريف. فعن أبى هريرة قال: "لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة وأنا جُنُبٌ، فاختنست فذهبت فاغتسلت ثم جئت، فقال: أين كنتَ يا أبا هريرة؟ قال: قلت: إني كنت جُنُبًا، فكرهت أن أجالسك على غير طهارة. فقال: سبحان الله! إن المسلم لا يَنْجُس". وعن ابن عباس: "اغتسل بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جَفْنَةٍ، فجاء رسول الله صلى الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليه وسلم ليغتسل منها أو ليتوضأ، فقالت له: يا رسول الله، إني كنت جُنُبًا. فقال: إن الماء لا ينجس". ليس ذلك فحسب، بل إن المسلم إذا مات لا ينجس كذلك، ففى حديث للنبى عليه السلام: "لا تنجّسوا موتاكم، فإن المسلم لا ينجس حيا ولا ميتا".

ولعل الكاتبة تشير إلى ما يعترى النساء من دماء الحيض والنفاس. لكنها ينبغى أن تفهم أن وضع المرأة من هذه الناحية فى الإسلام يختلف تماما عن وضعها فى اليهودية. فالمسلمة لا تنجس أبدا، ولا تنجّس أى شىء تلمسه. وفى حالة حيضها أو نفاسها لا يُطْلَب من أهل بيتها الابتعاد عنها، بل يتعاملون معها بنفس السهولة التى يتعاملون معها فى غير أوقات حيضها ونفاسها، فيؤاكلونها ويشاربونها ويتحدثون إليها ويلمسونها ويتناولون منها ما تقدمه إليهم ويجلسون إلى جوارها كأنها لا حائض ولا نفساء، اللهم ما عدا "معاشرة" زوجها لها فى تلك الفترة حذرا من التعرض لضرر صحى فيما أفهم. وما عدا هذا فيحق لزوجها أن يناله منها دون أى حرج. وهذا كل ما هنالك، فلا نجاسة إذن البتة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما فى شريعة العهد القديم فنقرأ فى الإصحاح الخامس عشر من

سفر "اللاويين" ما يلى: " 16«وَإِذَا حَدَثَ مِنْ رَجُل اضْطِجَاعُ زَرْعٍ، يَرْحَضُ كُلَّ جَسَدِهِ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ . 17وَكُلُّ ثَوْبٍ وَكُلُّ جِلْدٍ يَكُونُ عَلَيْهِ اضْطِجَاعُ زَرْعٍ يُغْسَلُ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ . 18وَالْمَرْأَةُ الَّتِي يَضْطَجِعُ مَعَهَا رَجُلٌ اضْطِجَاعَ زَرْعٍ، يَسْتَحِمَّانِ بِمَاءٍ، وَيَكُونَانِ نَجِسَيْنِ إِلَى الْمَسَاءِ . 19«وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ لَهَا سَيْلٌ، وَكَانَ سَيْلُهَا دَمًا فِي لَحْمِهَا، فَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تَكُونُ فِي طَمْثِهَا . وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ . 20وَكُلُّ مَا تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ فِي طَمْثِهَا يَكُونُ نَجِسًا، وَكُلُّ مَا تَجْلِسُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا . 21وَكُلُّ مَنْ مَسَّ فِرَاشَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ . 22وَكُلُّ مَنْ مَسَّ مَتَاعًا تَجْلِسُ عَلَيْهِ، يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ . 23وَإِنْ كَانَ عَلَى الْفِرَاشِ أَوْ عَلَى الْمَتَاعِ الَّذِي هِيَ جَالِسَةٌ عَلَيْهِ عِنْدَمَا يَمَسُّهُ، يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ . 24وَإِنِ اضْطَجَعَ مَعَهَا رَجُلٌ فَكَانَ طَمْثُهَا عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَكُلُّ فِرَاشٍ يَضْطَجِعُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا . 25«وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمْثِهَا، أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمْثِهَا، فَتَكُونُ كُلَّ أَيَّامِ سَيَلاَنِ نَجَاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طَمْثِهَا . إِنَّهَا نَجِسَةٌ. 26كُلُّ فِرَاشٍ تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ كُلَّ أَيَّامِ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفِرَاشِ طَمْثِهَا . وَكُلُّ الأَمْتِعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمْثِهَا . 27وَكُلُّ مَنْ مَسَّهُنَّ يَكُونُ نَجِسًا، فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ . 28وَإِذَا طَهُرَتْ مِنْ سَيْلِهَا تَحْسُبُ لِنَفْسِهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَطْهُرُ. 29وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ تَأْخُذُ لِنَفْسِهَا يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ، وَتَأْتِي بِهِمَا إِلَى الْكَاهِنِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. 30فَيَعْمَلُ الْكَاهِنُ: الْوَاحِدَ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، وَالآخَرَ مُحْرَقَةً. وَيُكَفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ سَيْلِ نَجَاسَتِهَا . 31فَتَعْزِلاَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْ نَجَاسَتِهِمْ لِئَلاَّ يَمُوتُوا فِي نَجَاسَتِهِمْ بِتَنْجِيسِهِمْ مَسْكَنِيَ الَّذِي فِي وَسَطِهِمْ. 32«هذِهِ شَرِيعَةُ ذِي السَّيْلِ، وَالَّذِي يَحْدُثُ مِنْهُ اضْطِجَاعُ زَرْعٍ فَيَتَنَجَّسُ بِهَا، 33وَالْعَلِيلَةِ فِي طَمْثِهَا، وَالسَّائِلِ سَيْلُهُ: الذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالرَّجُلِ الَّذِي يَضْطَجِعُ مَعَ نَجِسَةٍ»" .

وكان المسلمون على علم بالعَنَت الذى يُعْنِت اليهودَ ونساءَهم بسبب دم الحيض والنفاس: ففى أسباب نزول قوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(البقرة/ 222) نقرأ "أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت، فلم يُؤَاكِلُوهَا ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأنزل الله عز وجل: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ" إلى آخر الآية. . . وقال المفسرون: كانت العرب في الجاهلية إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت، كفعل المجوس. فسأل أبو الدَّحْدَاح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: يا رسول الله، ما نصنع بالنساء إذا حِضْنَ؟ فأنزل الله هذه الآية". وفى تفسير القرطبى "أن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استَنُّوا بسُنّة بني إسرائيل في تجنُّب مؤاكلة الحائض ومساكنتها، فنزلت هذه الآية. . . وفي صحيح مسلم عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهنَّ في البيوت. فسأل أصحابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ" إلى آخر الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اصنعوا كلَّ شيء إلا النكاح". فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يَدَعَ من أمرنا شيئًا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلا خالفَنا فيه. فجاء أُسَيْد بن حُضَيْر وعبّاد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا. أفلا نجامعهنّ؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أَنْ قد وَجَد عليهما. فخرجا فاستقبلهما هَدِيّةٌ من لَبَنٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل في آثارهما فسقاهما، فعرفا أَنْ لم يَجِدْ عليهما. قال علماؤنا: كانت اليهود والمجوس تجتنب الحائض، وكانت النصارى يجامعون الحُيَّض، فأمر الله بالقصد بين هذين".

ويقول العلامة الباكستانى المعاصر أبو الأعلى المودودى فى هذا الصدد لَدُنْ تفسيره للآية 27 من سورة "النساء" فى تفسيره للقرآن، والنص منقول عن الترجمة الإنجليزية لهذا التفسير بقلم ش. محمد أكبر (ط. Islamic Publications (Pvt.) Limited, Lahore):

"The Jews considered the women utterly unclean during the menses. They would not take meals cooked by them nor drink water touched by their hands nor even sit on the same carpet vith them. In short, the women were practically untouchables in their homes. As the Ansār had also adopted the same customs when the Holy Prophet migrated to Madinah, they asked him about the monthly course. In answer to this question, v. 222 of Al-Baqarah was sent down; accordingly

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

the Holy Prophet instructed that during the the monthly course only cohabitation was prohibited and all other relations with the women remain the same as before. At this the Jews raised a great hue and cry, saying, 'This man is bent upon opposing us in everything and making lawful what is unlawful with us and unlawful what is lawful with us'."

ونأتى إلى كلام بارلس عن الخطيئة. والحق أن الأصل فى الإنسان طبقا لعقيدة الإسلام الطاهرة الكريمة هو البراءة، وهو ما لا تختلف فيه المرأة عن الرجل بشىء، فهما بريئان إلى أن يرتكب أحدهما إثما. ورغم هذا فمتى استغفرا الله وجد الله غفورا رحيما. أما إذا كانت الإشارة هنا إلى ما يسمى بـ"الخطيئة الأصلية" فهذا أمر لا يمت إلى دين المسلمين بِصِلَة، إذ الخطيئة الأولى التى اقترفها آدم وحواء قد فُرِغ منها فى التو واللحظة، وطُوِيَتْ صفحتها تماما بتوبة الله على أبينا وأمنا الأَوَّلَيْن، وأصبحت فى خبر كان:

"وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ* فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(البقرة/ 35- 37) . بل إن ههنا شيئًا يلفت النظر فى هذه القضية، ألا وهو أن القرآن، حين يتحدث عن عصيان الإنسان الأول ووقوعه فى الغَوَاية قبل هبوطه من الجنة التى كان يرتع هو وامرأته فى بحبوحتها وخيراتها، لا يذكر إلا آدم، وكأن حواء لم تشاركه تلك المعصية: "فعَصَى آدمُ ربَّه فغوَى* ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهَدَى" (طه/ 121- 122) . وأنا، وإن كنت أعتقد أن آدم المذكور فى سياق العصيان والغواية هو الإنسان عموما لا الإنسان الذكر وحده، أرى أن لهذا الأمر مغزاه الذى لا ينبغى أن يفوت العين الفاحصة.

هذا ما يقوله القرآن، أما ما يقوله الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى فى ذات الموضوع فموجود فى الإصحاح الرابع من سفر"التكوين"، وهذا نصه، ومنه يتبين أن الكتاب المقدس يدين المرأة ويلقى بكل المسؤولية على أم رأسها معفيا الرجل من كل ذنب، وهو ما يختلف فيه الكتاب المقدس عن كتاب الله: "1وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» 2فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، 3وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا» . 4فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«لَنْ تَمُوتَا ! 5بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» . 6فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ . فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيضًا مَعَهَا فَأَكَلَ . 7فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ . فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ . 8وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ . 9فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟» .

10فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ» .

11فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا ؟» 12فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ» . 13فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ» . 14فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ . عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ . 15وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا . هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

16وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا . وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ» . 17وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلا: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. 18وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. 19بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا . لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ»" .

ثم إن د . بارلس تشير إلى ما تقول إنه ممارسة عنف ضد المرأة فى بلاد المسلمين من مشرقها إلى مغربها، لتنتهى إلى تأكيد أن الإسلام ليس دينا ذكوريا أو يكره المرأة، بل يقف مع حريتها بكل يقين. وإذا كان هناك، كما تقول، إسلامان: إسلام يقف فى صف المرأة، وآخر يقف معاديا لها، فإنها فى هذا الكتاب تقوم بما يجب أن تقوم به، ألا وهو قراءة القرآن قراءة سليمة تضع الأمور فى نصابها الصحيح، تلك القراءة التى تستعيد الصوت المساواتى العنيد فى الإسلام (ص2 وما بعدها) .

وكنت أود لو أن د . أسماء بارلس لم تختص البلاد الإسلامية بالكلام عن العنف ضد المرأة، إذ إن هذا أمر لا ينحصر وقوعه فى بلاد المسلمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحدها دون بقية بلاد المسكونة بل يعم العالم كله، وعلى رأسها الدول الغربية، التى ينتشر فيها أيضا، وعلى نطاق واسع، اغتصاب المرأة والمتاجرة بجسدها فى الإعلانات وبيوت الدعارة وشرائط السينما، والتحرش بها فى أماكن العمل رغم ما يشيع فى تلك البلاد من تفلت وشذوذ جنسى بجميع أنواعه مما قد يُظَنّ معه أنه كان ينبغى أن تختفى من المجتمعات الغربية مثل تلك الأمور، علاوة على أن الأب فى بلاد المسلمين، أو الأخ فى حالة موت الأب أو غيابه، عادة ما يحمل عبء الابنة حتى تتزوج، على عكس ما يجرى عليه الأمر فى بلاد الغرب، إذ تُتْرَك البنت لمصيرها متى بلغت الحُلُم فتكدّ وتشقى دون أن يفكر أحد فى مد يد العون لها . وقل مثل ذلك فى مسؤولية الابن تجاه أمه عندنا وعندهم. إلا أن آلة الدعاية الغربية الجهنمية، متى ما أرادت لسبب أو لآخر، وما أكثر أسبابها الإبليسية، قادرةٌ على شيطنة الملائكة ومَلأَكَة الشياطين!

كذلك ليس الظلم فى الأسرة بمقتصر على الوقوع من الرجال ضد النساء، فكثيرا ما تظلم المرأة الرجل وتكيد له مثلما يظلمها هو ويكيد لها، وإن كان الرجال قد درجوا على عدم إثارة تلك المسائل. وما أكثر ما نسمع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن نساء قتلن أزواجهن أو جرجروهن فى المحاكم ظلمًا وافتراءً أو خُنَّ الأمانة التى وضعوها فيهن: سواء كانت أمانة مال أو أمانة عِرْضٍ وشرف. لكن النزعة النسوية تضخم للأسف كل ما يهم المرأة، وتقلل فى ذات الوقت من شأن كل ما يتعلق بحقوق الرجل. والشىء الثالث هو أن النسويات، وكذلك النسويين الذين يلهثون خلفهن، يحاولون أن يقلبوا كل الأوضاع رأسا على عقب متهمين الرجال على الدوام بأنهم يظلمون النساء. فإذا قال المسلم مثلا، طبقا لما يقوله القرآن، إن القوامة فى البيت للرجل ردت النسويات والنسويون بأن هذا إجحاف بحقوق المرأة وظلم لها. وعلى ذلك فَقِسْ.

وفى ضوء هذا يمكننا أن نفهم مغزى السؤال الذى طرحته السيدة بارلس قبل قليل حين قالت: هل يرى الله فى إدارة الذكور لشؤون الأسرة أمرا ينبغى استمراره بوصفه قاعدة خالدة كما يقول البطرياركيون؟ وجوابنا هو: نعم، فهكذا يقول النص الكريم. ألم يقل المولى: "الرجالُ قَوّامُون على النساء" بألف ولام الماهيّة بما يدل على أنه وضع دائم لا مؤقت؟ أما إن كان لها رأى آخر فلتبينه لنا، على ألا تلجأ فى تفسير الآية إلى الألاعيب التى يبرع فيها بعض ذوى النزعة النسوية المتطرفة وذواتها لنصرة مذهبهم وإفساد أوضاع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأسرة ونشر الاضطراب فى بنيانها، وكأنهم لا يَلَذّون إلا الصراع والشقاق بين الزوجين بحجة الوقوف إلى جانب المرأة والقضاء على أسباب شكواها، مع أن الشكوى فى كثير من الأحيان هى مجرد شقشقة فارغة تلوكها ألسنة النساء الفاشلات فى بناء أسر هانئة تتمتع بالسكينة والسلام، فهنّ يردن هدم كل الأسر، متلذذات بإضرام النار فى البيوت السعيدة من حولهن إرضاء لأحقادهن وشرور نفوسهن. وأود هنا أن أكرر أننى إنما أتكلم الآن على المتطرفات من ذوات النزعة النسائية لا اللاتى يعملن على تحسين أوضاع النساء المهضومات الحقوق فعلا لا ادعاء.

وقد تنبه د. محمد محمد حسين من قبل فى كتابه: "حصوننا مهددة من داخلها" إلى مثل هذا الذى ذكرناه فقال: "زعم أعداء المرأة المتسَمَّوْن بـ"أنصارها" أن لزومها للمنزل انتقاص لحقوقها وقتل لشخصيتها واعتداء على كيانها. ومِنْ قَلْب الأوضاع أن نُسَمّىَ المَصُونَ المخدومَ المَكْفِىَّ حاجتَه: "سجينًا"... وقد عاشت المرأة ما عاشت مكرمة معززة مدللة حاكمة على زوجها من خلف ستار، ولم تحس يوما أنها مهضومة الحق أو أنها مضطهدة أو سجينة أو مهدرة الكرامة والشخصية، حتى ظهر ذلك النفر من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكتاب فأحلّ الصراع والتنازع بين الجنسين محل التواد والتراحم. ومن عجبٍ أن الذين حملوا اللواء إلى ما يسمونه: "حقوق المرأة" كانوا من الرجال، ولم يكونوا من النساء. ولم يكن من صنيعهم إلا إفساد الحياة على المرأة والرجل كليهما. ذلك لأن الحياة تحتاج إلى طمأنينة توفر للناس السعادة والاستقرار، وثورةُالرجال والنساء كل منهما على الآخر تُحِلّ القلق والبغضاء محل الطمأنينة والحب بين الجنسين، اللذين أراد الله سبحانه أن يجعل بينهما مودة ورحمة ينبنى عليهما عمران الكون وحفظ النوع البشرى. والمجتمع السليم يقوم على التوادّ والتراحم وعلى إخلاص كل عضو فيه لوظيفته وقيامه بها راضيا لا يملّ ولا يتذمر. فهو كالجسم الذى ينصرف كل عضو فيه إلى أداء عمله ووظيفته، لو توقف أحد أعضائه عن أدائها لتوقف واختل... والرجل الذى يكدّ ويجهد نفسه ويرهقها فى العمل خارج البيت محتاج إلى زوجة متزينة متعطرة ناعمة البال يأنس بها ويسكن إليها مما يجده من عناء، وتُسَرّى عنه بعض ما يعتريه من السأم والإجهاد وما يترك فى نفسه عنف التعامل مع الناس من آثار الضيق والملل. وكدح المرأة فى ميادين الأعمال العامة يصرفها عن رعاية الزوج والولد كليهما لا شك فى ذلك لأنها تعود إلى البيت مكدودة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرهقة كالرجل. فأيهما هو الذى يُسَرِّى عن الآخر؟ وأيهما هو الذى سيتسع صدره لمداعبة البنين واحتمال ما لا بد أن يُحْتَمَل فى تربيتهم من ضجيج مرحهم وأنين ألمهم وصراخ أوجاعهم؟ وهل تصبح الحياة عند ذلك إلا عناء وشقاء للمرأة والرجل كليهما؟ وهل يصبح الفرد، رجلا كان أو امرأة أو طفلا، إلا تُرْسًا من تروس آلة صماء فى حياة لا سكن فيها ولا قرار؟

ويستطيع كل ذى لب وبصيرة أن يدرك آثار الفشل الذى حاق بتجارب المجتمع الأوربى والأمريكى فى هذه الناحية، مع أن هذه الآثار لم تبلغ بعدُ مداها، ولا تزال سائر عقابيلها فى الطريق. فهذا الجيل الغربى من التائهين والضائعين المحطَّمى الأعصاب المبلبَلى الأفكار القلقى النفوس، وهذه النسبة الآخذة فى الارتفاع حسب إحصاء الغربيين أنفسهم للانحراف والشذوذ بكل ضروبه وألوانه، هذه الظواهر والآثار كلها هى من آثار التجربة التى خاضها الغرب فى المرأة، لأن هؤلاء جميعا هم أبناء العاملات والموظفات الذين عانَوْا من إرهاق أمهاتهم وهم فى بطونهن، ثم تعرضوا لإهمالهن بعد أن وضعنهم.

وماذا يبقى للناس من تجربة فاشلة كهذه؟ ألا يتدبرون؟" (د. محمد محمد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حسين/ حصوننا مهددة من داخلها/ ط 6/ مؤسسة الرسالة/ 1401هـ-1981م/ 92- 94).

هذا، ولا أنكر أن المرأة قد تكون فى بعض ا لحالات أقوى من الرجل شخصية وأقدر منه على التصرف وتدبير الأمور. وأذكر فى هذا السياق أنه كانت تسكن بجوارنا فى يوم من الأيام أسرة مكونة من زوج وزوجة وأبناء. وكانت الزوجة أمية، والزوج خريج جامعة، ومع ذلك كان الزوج بوجه عام يخاف مواجهة الناس، وكانت الزوجة هى التى تدبر كثيرا من أمور الأسرة، وكل ما عليه هو أن يعطيها مصروف الشهر وما يحتاجه البيت، والله يحب المحسنين. وفى مثل هذه الحالة تسوّى الحياة أوضاعها حسب ما يجرى فى الطبيعة والواقع، فتكون الإدارة الفعلية بيد المرأة. إلا أن هذا قليل، ولا ينبغى أن يكسر القاعدة العامة التى قررها القرآن الكريم. فمن المعروف أنه ما من قاعدة عامة إلا وهناك حالات تشذ عنها، لكنها لا تهدمها، وإلا لبطلت جميع القواعد والقوانين فى الدنيا. بل قد تكون الزوجة قوية الشخصية، وزوجها قوى الشخصية أيضا، فيستشيرها ولا يجد أدنى غضاضة فى أن يأخذ برأيها، كالذى كان بين أبى العباس السفاح الخليفة العباسى وزوجته أم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلمة بنت يعقوب بن عبد الله المخزومى مثلا، إذ كانت سيدة ذات عقل وحزم غلبت على أمر زوجها غلبة شديدة، فكان لا يقطع أمرا إلا بمشورتها. وكان قد حلف ألا يتزوج عليها أو يتسرى بأَمَةٍ أو يغيّرها، فوفى لها بما حلف عليه (انظر عمر رضا كحالة/ أعلام النساء/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ 2/ 235- 236).

وفى رأى السيدة بارلس أن المشكلة فى الظلم الواقع على النساء لا تعود إلى القرآن ذاته، بل إلى تفسير القرآن تفسيرا خاطئا بسبب الاعتماد على الأحاديث غير الصحيحة التى يظن المسلمون صحتها مع ذلك. ولا بد إذن من إعادة تفسير القرآن من قِبَل المرأة كما تقول. ذلك أنه لا يمكن تغيير وضع المرأة فى المجتمعات الإسلامية إلا إذا انطلقنا من القرآن وتعاليمه وتفسير تلك التعاليم تفسيرا تحرريا، وهو ما يفوت العلمانيين المنتسبين إلى الإسلام، إذ ينطلقون من منطلق آخر، ومن ثم يفشلون فى مهمتهم حسبما تؤكد مؤلفتنا.

وأنا مع السيدة بارلس فى أن القرآن (ومعه السنة النبوية الشريفة) ينبغى أن يكون هو المنطلق السليم لا لمعرفة حقوق المرأة فقط، بل حقوق الرجل أيضا والأمّة كلها، وكذلك الواجبات قبل الحقوق. ذلك أن الحياة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليست حقوقا وحسب، بل حقوقا وواجبات، بل واجبات قبل الحقوق، إذ كيف يحصل الإنسان فردا كان أو جماعة على حقوقه قبل أن يقوم بواجباته؟ ترى هل يمكن أن يتم أى إنجاز يطالب الشخص أو الجماعة بحقوقهما فيه قبل أن يقوما بواجباتهما فينجزاه فعلا، وعلى نحو متقن؟ الواقع أن الواجب لا بد أن يسبق الحق، إذ إن هذا مترتب على ذاك بالبداهة. لكنى لست معها فى أن السبيل إلى ذلك بالضرورة هو قيام النساء بالتفسير، لأنه إذا كان الدافع لها إلى هذا القول هو اتهامها للرجال بالخطإ فى فهم النص القرآنى أو لَيّه عن مقاصده لسبب أو لغيره، فإن النساء لسن أفضل حالا من الرجال، فهن بشر مثلما أن الرجال بشر. وإذا قيل إن الرجال سوف ينحازون فى تفسيرهم إلى جنسهم فيظلمون المرأة من ثم، فإنه يمكن القول من نفس المنطلق بأن النساء سوف ينحزن إلى جنسهن فيزعمن لأنفسهن ما ليس من حقهن من ثَمَّ ويظلمن الرجل. لو أنها قالت إن المطلوب هو تعاون الجميع فى تقديم أفضل تفسير ممكن لما خالفناها فى شىء. فالأمر أولا وأخيرا هو أمر تعاون لا تخاصم ولا تطاحن بين الرجل والمرأة، إذ هما شقيقان كما قال رسولنا الكريم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كذلك فإن قولها إن النساء المسلمات لا يهتممن بمعرفة حقوقهن ولا بالقراءة الصحيحة التحررية للنص القرآنى، بل يقبلن بالقراءة الأبوية لتلك النصوص، وهو ما يؤدى إلى استمرار المعاملة الظالمة لهن، ومن ثم كان لا بد من إظهار وجه الخطإ فى المنهج التقليدى لقراءة القرآن وتقديم منهج آخر تحررى لقراءته، إن قولها هذا يعنى أن جميع التفسيرات القرآنية حتى الآن هى تفسيرات خاطئة تقوم على ظلم المرأة وهضم حقوقها، لا لشىء إلا لأنها مثلا تقول بأن للرجال على النساء درجة. وهذا ما لا نوافقها عليه. كما أن النقطة الذى تبدأ منها هى أن الرجال يكرهون النساء ويعملون دائما على إيقاع الظلم بهن. وكلامها هذا مما ينشر التباغض بين الجنسين ويغرس النفور من الرجال فى نفوس النساء. ونحن فى غنى عن هذا كله، فالمرأة هى أم الرجل وبنته وأخته وزوجته وعمته وخالته وجدته... وليست واحدة من الأعداء. وإذا كان هناك تقصير من الرجال فى حقهن فليس شرطا أن يكون تقصيرا مقصودا، فضلا عن أن هناك أيضا تقصيرا، وتقصيرا كبيرا أحيانا، من النساء فى حق الرجال كما هو مشاهد فى كل مكان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتوضح بارلس دعوتها قائلة إن قراءة أى نص، وبخاصة النصوص الدينية كالقرآن مثلا، لا تعتمد فقط على النص بل على السياق الذى تمت قراءتها فيه. ومن هنا نراها تفرق بين النص القرآنى فى حد ذاته وبين تفسير المسلمين له متأثرين ببيئاتهم وقِيَمهم ونظرتهم للحياة. فهى إذن تدعو إلى التفرقة بين الإلهى والبشرى حسبما تقول. كذلك نراها تؤكد أن أى نص يقبل بطبيعته قراءات متعددة تبعا لتعدد نوعية القارئين. والواقع أن الإنسان يخضع فعلا لمثل تلك المؤثرات، لكن ليس من اللازم خضوعه لها إلى الحد الضار المؤذى الذى يؤدى إلى وقوع الظلم، إذ باستطاعة المفسر عن طريق يقظته ووعيه بتلك المؤثرات ألا يقع فريسة لتأثيرها المجحف.

ولكن من ناحية أخرى نرجو أن تكون د. أسما هى بدورها يقظة وواعية بالمؤثرات التى يمكن أن تمارسها البيئة الأمريكية عليها وهى تفسر القرآن. فنحن نعرف أن هناك صراخا عاليا بل مُصِمًّا للآذان وجالبا للصداع فى الولايات المتحدة يندد بالإسلام وبنظرته إلى المرأة ويدعو إلى إعادة تفسير آياته المتعلقة بالمرأة من جديد. والمقصود بهذا التفسير الجديد هو تبنى الرؤية الغربية، والأمريكية بوجه خاص، لقضية المرأة. فالحذرَ الحذرَ حتى لا تسقط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بارلس وغيرها ممن نشطن فى الآونة الأخيرة إلى تفسير القرآن الكريم فى هذا الفخ المنصوب. وهذه مهمة شاقة، بل هى أشق من مهمة المفسر القديم الذى تتهمه بارلس بالتجنى على المرأة وإنكار حقوقها، بغض النظر الآن عن أنها، فى اتهامها لذلك المفسر القديم، على صواب أو على خطإ. وكل ذلك بافتراض صلاحيتها الأخلاقية والعلمية للقيام بتلك المهمة الخطيرة، فهل تصرفاتها فى هذا المجال تصدّق يا ترى ذلك الافتراض؟

تعالوا نقرأ هذا الخبر الذى لا يمكن أن يخطئ أى إنسان فهمه ولا مغزاه، إذ نشرت "السفير" بتاريخ 2006/8/17 ما يلى: "دعا المفوض الأوروبي للشؤون الداخلية فرانكو فراتيني في لندن أمس إلى تأسيس "إسلام أوروبي" وتنظيم "دورات تأهيل للأئمة على المستوى الأوروبي"، مطالبا في الوقت ذاته المسلمين باحترام "الحق في الحياة". وفي أعقاب اجتماع وزاري أوروبي بحث "السبل الكفيلة بمحاربة التشدد" قال فراتيني: "نريد إسلاما أوروبيا"، موضحا أن أوروبا تريد "أن تثبت أنها تحترم الديانات الأخرى، وتتوقع في المقابل أن تحترم "هذه الديانات" الحقوق والقوانين الوطنية والأوروبية، وقبل كل شيء الحق في الحياة". كما أكّد فراتيني على ضرورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"إقامة تعاون وثيق مع المجموعات المسلمة"، مشددا على ضرورة "معاقبة الجريمة" . . . " . يقول المفوض الأوربى هذا، وكأن المسلمين هم الذين كانوا يستعمرون البلاد الأوربية ويستنزفون ثرواتها ويقتلون أحرارها ويودعونهم غياهب السجون أو يعلقونهم على المشانق، وما زالوا حتى الآن يضعون أيديهم فى أيدى جلاديهم ويتخذونهم سياطا لإلهاب ظهورهم ويعملون على حماية هؤلاء الجلادين كى يكونوا أداة ينالون بها من تلك الشعوب غاياتهم الشيطانية، وكأنهم هم الذين امتلخوا من أوربا قطعة غالية وأَعْطَوْها لليهود ليقيموا عليها دولتهم بعدما طردوا معظم أهلها منها، ويشددون الحصار على من بقى فيها منهم رغم ذلك ولم يهاجر، ويذيقونه أشد ألوان الهوان والعذاب والتضييق، ويهدمون منازلهم، ويبتمون أطفالهم، ويعتدون على أعراض نسائهم. أليس هذا دليلا على فجور هؤلاء المجرمين العالميين، الذين يهينوننا ويحتلون بلادنا ويسرقون مواردنا ويعملون على إفقارنا ويقتلون أحرارنا وينتهكون شرف نسائنا، ثم يستديرون من الناحية الأخرى ويلقون علينا العظات الإبليسية فى كيفية احترام الحياة وحقوق الآخرين والامتناع عن مقارفة الجريمة، على حين لا تمثل حياتنا ولا حقوقنا أية قيمة فى نظرهم؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتمضى أسما بارلس فتؤكد أيضا أن القرآن فى الواقع، وعلى عكس ما هو مشهور بين كثير من الدارسين، يسوّى بين الرجل والمرأة رغم ما يتضمنه من تفرقة فى المعاملة بين الرجال والنساء كما هو الحال فى أمور الزواج والطلاق والشهادة على سبيل المثال، إذ قد تكون المعاملة مختلفة للطرفين، وفى ذات الوقت تكون هناك مساواة بينهما، على حين قد تكون المعاملة واحدة ولا تكون ثم مساواة رغم ذلك (ص 5). صحيح أن القرآن يشرع تعدد الزجات، ويقول بضرب المرأة (المقصود طبعا: المرأة الناشز التى لا صلاح لها بالوسائل السلمية الكريمة)، ويعطى الرجل حق القِوَامة فى المجتمعات الأبوية القائمة فعلا، إلا أنه ينبغى التفرقة بين مخاطبة القرآن لتلك المجتمعات الأبوية وبين اعترافه بما يسودها من أوضاع حسبما تقول الكاتبة، إذ الأمران مختلفان على عكس ما يظن كثير من الناس، فضلا عن أن تعدد الزوجات وضربهن وما أشبه هى تشريعات ذات طبيعة تقييدية لا إطلاقية، وأن القرآن إنما نزل فى بيئة بدوية أبوية تنتمى إلى القرن السابع الميلادى مما يشبه الوضع تحت حكم طالبان فى أفغانستان اليوم. وعلى هذا فإن قراءتنا للقرآن فى ظل هذا السياق الذى نزل فيه يطلعنا على ما فيه من نزعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مساواتية بين الرجل والمرأة لا على ما يُظَنّ أنه يشتمل عليه من ظلم للجنس اللطيف. إلا أنها تسارع فتنبه إلى أن كلامها هذا ليس معناه أن القرآن لا يقصد بنصوصه شيئًا محددا البتة أو أنه يفتقر إلى العالمية أو العمومية بمعنى أن ما فيه من نزعة نحو المساواة بين الرجال والنساء إنما هو كذلك فى سياق القرن السابع الميلادى ليس إلا، على حين أنه ليس كذلك فى عصرنا الحالى.

وتعقيبى على ذلك أنه لو كان الأمر كما تقول بارلس فمن باب الأولى ألا يكون فهم النص فى ضوء ظروف عصرنا ومجتمعاتنا الحديثة هو الفهم الصحيح. ذلك أنه، ما دام القرآن نفسه قد خضع للمجتمع الأبوى فى جزيرة العرب أثناء القرن السابع الهجرى كما تشير الكاتبة بكل وضوح، فمن الحتم الذى لا محيص عنه أن تكون هى بدورها خاضعة فى فهمها لنصوص القرآن الكريم لضغوط المجتمع الأمريكى فى القرن الحادى والعشرين بكل ما يحمله هذا المجتمع فى قلبه من كراهية للإسلام وكتابه ورسوله وتاريخه وقيمه ودعوته وتشريعاته، إذ لا يمكن أن تكون هى بكل ضعفها كبشر وكإنسانة مكتسبة للجنسية الأمريكية لا أمريكية أصيلة كسيدنى شيهان على سبيل المثال، وكسيدة لا رجل قوى كإدوارد سعيد مثلا يستطيع أن يتحمل من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الضغوط ما لا تستطيعه هى، فضلا عن أنها تمثل الجيل الأول من مهاجرى أسرتها وليس لها بَعْدُ جذور بعيدة الغور فى الولايات المتحدة، كما أن بلدها الأصلى ليس بلدا أوربيا قويا عزيز الجانب تَعِزّ بعِزّته وتَقْوَى بقُوّته، بل بلدها هو الباكستان، تلك الدولة الإسلامية الضعيفة التى تتبع أمريكا فى سياساتها المعادية للإسلام وتحارب معركة الولايات المتحدة ضد الإسلام وتزج بنفسها لهذا السبب فى مآزق سياسية وعسكرية واقتصادية هى فى غنى عنها، أقول: إنها لا يمكنها، والحالة هذه، أن تكون أشد استعصاء من القرآن على مراعاة أوضاع المجتمع الذى تعيش فيه. أم تُرَى المجتمع الأمريكى الذى تعيش وتعمل فيه هو مجتمعا من الملائكة الذين لا يسيئون أبدا ولا يمكن أن يمارسوا، ولو عن غير قصد منهم، أى تأثير ضار على من يريد من أفراده تفسير القرآن؟ وفوق هذا فلو أن ما تقوله صحيح لما كان لمجىء الإسلام من معنى، إذ ها هو ذا الإسلام قد راعى ظروف الناس وعقلياتهم عند نزوله، ولم يراع القيم والأوضاع التى جاء داعيا إليها. فما الحكمة إذن من مجيئه أصلا؟ ثم إنه لو كان هذا صحيحا فكيف لم يراع القرآن أوضاع المجتمع العربى الوثنى الأخرى آنذاك، فدعا على العكس من ذلك إلى الوحدانية ونبذ عبادة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأوثان، ونهى عن الربا والزنا والتفرقة العنصرية وشرب الخمر والتفاخر بالآباء والقبيلة وما إلى ذلك مما كان المجتمع العربى آنذاك يمارسه على نطاق واسع ويتمسك به، ويرى خلافه أمرا غير متصور ولا مقبول أبدا ؟ وقل مثل ذلك فيما قاله القرآن عن اليهودية والنصرانية.

وإذا كان المهاجرون إلى الحبشة من المسلمين، وهم قلة ضعيفة من الغرباء يمكن افتراسهم دون أن يسمع بهم، فضلا عن أن يهبّ لنجدتهم أحد، لم يضعوا فى اعتبارهم ما كان الأحباش يعتقدونه آنذاك فى عيسى عليه السلام وصَدَعُوا فى مجلس النجاشى بما يعتقدونه هم دون أن يلجأوا إلى مواراة أو مواربة أو جمجمة بل دون أن يتلفتوا حولهم مجرد التفاتة تشى بقلق أو شعور بالضغط والضيق، فكيف يقال عن القرآن هذا الذى تقوله السيدة بارلس؟ أترى المهاجرين إلى الحبشة كانوا أقوى من الله وأخلص لمبادئه ودعوته، أستغفر الله؟ وهذا مجرد مثال واحد، وإلا فهناك أمثلة أخرى كثيرة كما هو معروف. وإذا كان ما تشير إليه د. بارلس بكل وضوح صحيحا، إذن فمن الواجب أن يراعى المسلمون الأمريكان أو المقيمون فى أمريكا ظروف المجتمع الأمريكى فلا يفتحوا فمهم بكلمة عن التثليث ولا عن الخمر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا عن الإباحية والشذوذ الجنسى ولا عن الهجمة الأمريكية على بلاد المسلمين ولا عن الحشمة فى الملابس ولا عن عالمية الإسلام. . . إلخ.

ثم كيف يكون القرآن عالميا، وبارلس تتهمه بأنه إنما راعى ظروف المجتمع العربى فى القرن السابع بعد الميلاد ؟ إن هذا الكلام لهو ضربة للإسلام فى الصميم، إذ تجرده مما يتميز به عن جميع الأديان الأخرى حسبما نص القرآن المجيد وأكدت الأحاديث المحمدية الشريفة. قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ" (المائدة/ 38)، "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء/ 107)، "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ" (سبأ/ 28)، "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" (الأحزاب/ 40). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فُضِّلْتُ على الأنبياء بِستٍّ: أُعْطِيتُ جوامع الكلم ، ونُصِرْتُ بالرعب ، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض طَهُورًا ومسجدًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافة، وخُتِمَ بي النبيون "، "أُعْطِيتُ خمسا لم يُعْطَهن أحد قبلي: نُصِرْتُ بالرعب مسيرةَ شهر، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدا وطَهُورا ، فأَيُّمَا رجلٍ من أمتي أدركته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصلاة فليصل، وأُحِلَّتْ لي المغانم ولم تحلَّ لأحد قبلي، وأُعْطِيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبْعَث إلى قومه خاصة، وبُعِثْتُ إلى الناس عامة" .

ثم هل كان ضرب الرجال فى الجاهلية لزوجاتهم فاشيا إلى هذا الحد حتى ليراعى القرآن ذلك فى السماح لهم به؟ إنه يرسى حكما جديدا، وهذا الحكم الجديد لا ينحصر فى الضرب، بل ولا يعتمده أول شىء . إنما يؤخره إلى المرتبة الثالثة التى لا يصل الزوج إليها إلا بعد أن يكون قد فاض به الكيل ولم يعد يستطيع شيئا آخر، فقد استنفد الوسائل الأخرى من وعظ وهجر فى المضجع، ولم يعد أمامه إلا إخراج الأمر إلى العلن واللجوء إلى التحكيم، وهو ما من شأنه كشف أسرار البيت وفضح شؤونه الداخلية التى لا يجوز فى الظروف العادية أن يطلع أحد عليها، وفى ذلك ما فيه من الغضاضة، التى لا يُعَدّ تأديب الرجل زوجته شيئا بجانبه. ومع هذا كله فليس الضرب فى الإسلام شيئا مرحَّبا به، بل هو كالدواء المر لا يلجأ إليه الإنسان إلا إذا ضاقت سبل العلاج الأخرى فى وجهه. وقد حذر الرسول الرجال من المسارعة إلى اللجوء لهذا الدواء، وقال كلاما شديدا فى هذا الموضوع، وهو ما يفهم منه أن الضرب دواء، لكنه دواء غير مستحب ولا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يستعمله الشخص إلا فى حالات الضرورة القصوى. ومن حق المرأة أن تثور على تلك الطريقة العلاجية: إما بأن تفىء إلى السلاسة فى تعاملها مع زوجها، وإما بأن تطلب الطلاق أو تمارس حقها فى الخلع، ويا دار ما دخلك شر! أما أن تصر على تنكيد عيش زوجها دون أن تستجيب لأى من العلاجات التمهيدية ثم تصر على ألا يمسها الزوج رغم كل حرونها وتمردها وإساءاتها فهذا ما لا أدرى كيف يكون. وعلى كل حال فالضرب موجود فى كل المجتمعات والثقافات. وفى المجتمعات الغربية يصل الضرب وقسوته مبالغ هائلة لا تخطر على البال. كل ما فى الأمر أننا لا نقرأ كثيرا، فضلا عن أن امتلاك تلك المجتمعات أسباب القوة والتقدم يجعلهم غير مبالين بما يمكن أن يوجَّه إليهم من انتقادات، وتجعلنا بالمقابل غير واثقين بأنفسنا ولا بإصابة انتقاداتنا لأهدافها عندهم.

كذلك فالمفروض لَدُنْ نفسيرنا للنص القرآنى أن نجتهد بكل ما أوتينا من قوة لإبعاد ظروفنا الخاصة حتى لا تؤثر فى ذلك التفسير فينحرف عن مقصود النص بتأثير منها لا أن يراعى مبدع النص القرآنى ذاته سبحانه وتعالى تلك الظروف، وإلا فلن نصل إلى أى معنى محدد للنص، بل يصير نصا مفتوحا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قابلا لكل تأويل إلى أبد الآبدين لا ينغلق أبدا . وحتى لو قلنا إن هذا مقبول فى بعض الأحيان فيما يخص النصوص البشرية فإن النص القرآنى أمره مختلف، إذ هو نص إلهى يعلو على تلك الاعتبارات النسبية. ثم لا ينبغى أن ننسى أن الفهم السليم للنص القرآنى لا يكون بمراعاة ظروف المجتمع والعصر كما تريد بارْلَس، بل بمراعاة الروح العامة للقرآن والإسلام ذاته ومراعاة جميع النصوص المتعلقة بذات الموضوع فى سور القرآن المختلفة مصحوبة بأسباب نزولها وسياقاتها، ومراعاة ما قاله الرسول الكريم فى تفسير ذلك النص كلاما أو سلوكا عمليا، ومراعاة فهم الصحابة لتلك النصوص باعتبارهم الجيل المعاصر لنزولها ولتطبيق الرسول عليه السلام لها، وقبل ذلك كله دراسة اللغة العربية ذاتها دراسة متعمقة فى ضوء النصوص الشعرية الجاهلية والإسلامية وغيرها، وهو ما أظنه ينقص د . بارلس نقصانا شديدا .

وبعد، فهل يمكن د . بارلس أن تدلنا على نص فى القرآن يؤازر ما قالته عن مراعاة كتاب الله لمواضعات المجتمع العربى البدوى فى القرن السابع الميلادى؟ أم هل بمستطاعها أن تبرز لنا نصا للرسول أو لأحد الصحابة يقول فيه، أو على الأقل: يُفْهَم منه، أن كلام القرآن فى هذا الموضوع هو كلامٌ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرحليٌّ لا يُقْصَد به التأبيد بل يُراعِي ظروف المجتمع العربى فى ذلك الوقت، إلى أن تتغير الأمور ويتجاوز العرب المرحلة البطرياركية؟ إن ما تقوله لهو خطير فى منتهى الخطورة. ولنفترض جدلا، وهو ما لا يمكن أن يكون، أن ما تقوله صحيح، فكيف لم يتنبه إلى ذلك علماء الفرس ومصر وما وراء النهر وبلاد المغرب والأندلس فيقولوا بما تقوله بارلس الآن؟ لقد كانوا يعيشون فى مجتمعات زراعية لا بدوية، وأعجمية لا عربية، كما كانوا ينتمون إلى عصور تختلف عن القرن السابع الميلادى. فلم يا ترى ظلوا يقولون بما قاله القرآن؟ أوكانوا هم أيضا يراعون ظروف المجتمع العربى البدوى الذى ينتمى إلى القرن السابع الميلادى والذى تشبه ظروفه، كما تقول هى، ظروف طالبان رغم اختلافها عن ظروف بيئاتهم وعصورهم؟ ولنلاحظ مغزى الزَّجّ فى هذا السياق باسم طالبان، التى ترتبط فى أذهان الأمريكان، بسبب الدعاية الجهنمية، بالتخلف الفظيع والتى تكرهها أمريكا كراهية العمى وتنساق الباكستان وراءها فى محاربتها رغم أن طالبان لم تسئ إليها فى شىء ورغم أن طالبان تنتمى، مثلما تنتمى هى، إلى الإسلام وإلى دول العالم الثالث المتخلف، مما كان ينبغى أن يعطفها عليها ويدفعها إلى التعاون معها لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العكس. وهذا كله يدل بكل تأكيد على أن بارلس، فى اتخاذها هذا الموقف وذلك التفسير، متأثرة بظروف المجتمع الأمريكى ونظرته وقِيَمه الثقافية ومواقفه السياسية، وهو ما حذرنا منه قبل قليل. ثم أين عالمية الدعوة القرآنية من كل هذا إذا كان القرآن فى أول فرصة ينبذها ويتقهقر إلى الإقليمية الضيقة على هذا النحو المخزى؟ أترى أمريكا وبارلس تفهمان الإسلام خيرا من رب الإسلام؟ ألا إن ذلك لغريب!

ولنفترض جدلا مرة أخرى أن الأمر كما تقول بارلس، فكيف يا ترى تفسر لنا نزول الآيات التالية، وهى فى المرأة أيضا، وتضرب الأوضاع البدوية التى كانت مستتبة فى الجزيرة العربية آنذاك فى الصميم؟: "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ" (البقرة/ 232)، "لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (البقرة/ 236- 237)"، "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (البقرة/ 240- 242)، "لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا" (النساء/ 7)، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ . . ."

(النساء/ 19- 24)، "وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا" (النساء/ 128- 130)، "أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى * لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا" (الطلاق/ 6- 7) .

وبالمثل كيف تفسر لنا السيدة بارلس الأقاويل والمواقف النبوية التالية التى تخالف بل تناقض فى كثير من الأحيان أوضاع العرب فى القرن السابع الميلادى؟ لنقرأ معا تلك الأحاديث التى تدل على عكس ما تحاول إيهامنا به من أن الأحاديث النبوية هى المسؤولة عن الظلم الذى كان واقعا فى زعمها على رؤوس النساء المسلمات على طول التاريخ كله: "النساء شقائق الرجال"، أي نظائرهم وأمثالهم، كأنهن شُقِقْنَ منهم. وشقيق الرجل أخوه لأبيه ولأمه، لأن شقَّ نسبه من نسبه. و"عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك" . وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاقّ في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته وتمريضه، وغير ذلك. ونقل الحارث المحاسبي إجماع العلماء على أن الأم تَفْضُل في البِرّ على الأب. ويقول صلى الله وسلم: "الجنة تحت أقدام الأمهات" .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعنه "إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ومَنْعًا وهات، ووَأْد البنات. وكره لكم قِيلَ وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال". ويُرْوَى أنه عليه السلام"كلم رجلا فأُرْعِد، فقال: هَوِّنْ عليك، فإني لست بملِك. إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القَدِيد"، فلم يجد صلى الله عليه وسلم لَدُنْ رغبته فى تطمين الرجل والتعبير عن تواضعه وبشريته سوى الإشارة إلى أمه والطعام الذى كانت تأكله مثل سائر الناس فى مكة لا تمتاز عنهم فى شىء، ولا تعلو فوق غيرها من البشر بشىء. و"عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده إن السِّقْط لَيَجُرّ أمّه بسَرَره إلى الجنة إذا احتسبته". وهناك حديث آخر فى ذات الموضوع، وإن كانت شفاعة السقط لتشمل الأبوين جميعا لا الأم وحدها مما أتصور أنه سيزعج بعض النسويين والنسويات الذين يكرهون الرجال والرجولة ولا يريدون خيرا بالجنس الخشن رغم أنه جنس ضعيف هو أيضا. أليس هو من البشر، وقد خلق الله البشر ضعفاء: نساء ورجالا؟ وهذا نص الحديث، أكتبه وأنا أغالب دموعى لما فيه من رحمة وحنان عجيبين: "عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن السِّقْط ليراغم ربه إذا أدخل أبويه النار، فيقال: أيها السقط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المراغم ربه، أَدْخِلْ أبويك الجنة. فيجرهما بسَرَره حتى يدخلهما الجنة".

ومعنى "يراغم ربه" أنه يجادله بقوة.

ولقد قمت من مكانى الآن وذهبت لزوجتى فى الحجرة الأخرى أبشرها بالجنة لأنها فقدت ابنة لنا كانت توشك أن تضعها منذ أكثر من أربعين عاما، وقرأت عليها الحديث رغم معرفتى بأنها على علم به، وكان صوتى يتهدج من قوة الانفعال، وركزت على معنى المراغمة لما تدل عليه من سماحة الصلة التى تربط الله بعباده على عكس ما يظن معظم الناس، قائلا: أليس عجيبا أن تراغم ربَّها قطعةُ لحم لا تدرك من أمور الوجود شيئًا ؟

فباغتنى زوجتى بشىء جديد فى فهم الحديث لم أتنبه له قبلا، وهو أن السقط، لكونه قطعة لحم لا تدرك شيئًا من أمور الوجود ولا تستطيع من ثم أن تقدّر الله حق قدره، يراغم ربه بحرية واسعة. فازداد جيشان نفسى، ومضيت عنها مسرورا بهذا الفهم الجديد.

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: "جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتُها، فقسمتْها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فقال: من يَلي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من هذه البنات شيئًا فأَحْسَن إليهن كُنَّ له سترا من النار". و"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كانت له جارية فأدَّبها فأحسن أدبها، وعلَّمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران". وقال عليه السلام: "من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات اتقى الله عز وجل وأقام عليهن كان معي في الجنة هكذا. وأشار بأصابعه الأربع". و"عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرَّائهن وسرَّائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن. فقال رجل: أو ثنتان يا رسول الله؟ قال أو ثنتان. فقال رجل: أو واحدة يا رسول الله؟ قال: أو واحدة". و"جاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أبي زوَّجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. قال: فجعل الأمرَ إليها. فقالت: قد أَجَزْتُ ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أنْ ليس إلى الآباء من الأمر شيء". و"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: استوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلِقَتْ من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. فإن ذهبتَ تُقيمه كَسَرْتَه، وإن تركتَه لم يزل أعوج. فاستوصوا بالنساء"، و"عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أحرّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة" . وهو، كما يقول العلماء، مأخوذ من التحريج أو الإحراج. أي أنه، عليه السلام، يضيّق على الناس في تضييع حقهما ويشدد عليهم في ذلك. والمقصود إشهاد المولى عز وجل في تبليغ ذلك الحكم إليهم.

وواضح من زعم بارلس مراعاة القرآن للبيئة العربية الجاهلية فى أحكامه أنه إذا كان علماء القرآن يقولون بعموم اللفظ وخصوص السبب فبارْلَس، كما هو جلىّ، تقول بخصوص السبب واللفظ جميعا . إننى أفهم أن يكون الإسلام قد راعى الظروف المعاصرة لنزوله من حيث الشكل أو الطريقة التى يتم بها تطبيق مبادئه، ذلك الشكل الذى لم يكن من الممكن ولا يمكن أن يكون شكلا عالميا ثابتا إلى الأبد، أما الجوهر والروح فكلا بل ألف كلا. لقد كان الرسول مثلا يأكل بيده وعلى الأرض ودون أطباق وفوط. . . لكنه فى كل الأحوال كان حريصا على نظافة الطعام ونظافة يده وتسمية الله فى البداية وحمده سبحانه فى النهاية. فتناول الطعام باليد ودون أطباق أو مائدة أمر شكلى، أما تنظيف اليد قبل تناوله والبسملة والحمد فهذه هى الأمور الجوهرية. كذلك كان الرسول يحرص على استشارة من حوله، ولكنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يستطيع استشارة كل أفراد الدولة لأن وسائل الاتصال، وكذلك وسائل التنظيم الإدارى والسياسى فى بلاد العرب آنذاك، لم تكن قد تطورت إلى المدى الذى يسمح بذلك. فالشكل التنظيمى هو الذى تغير مع مرور الأيام، أما الجوهر، وهو استطلاع آراء الآخرين الذين يمكنهم إفادة الأمة، فثابت لا يتبدل.

وبالمثل كان القرآن الكريم يراعى ظروف المجتمع العربى آنذاك عن طريق التدرج فى تشريع بعض الأحكام وتطبيقها. أما القول بأنه قد راعى تلك الأوضاع لدرجة التبنى لها فكلا وألف كلا. ومثالا على ما أقول أشير إلى ما صنعه فى تحريم الخمر، إذ المعروف أنه لم يَصْدُر الحكم بتحريمها والنهى عن شربها نهيا قاطعا دفعة واحدة، بل أخذ بعض الوقت حتى انتهى الأمر إلى إصدار مثل ذلك الحكم القاطع، بدءا بقوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا" (البقرة/ 219)، ومرورا بقوله عز شأنه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ" (النساء/ 93)، إلى أن صدر تحريمها قطعيا وإلى الأبد بقوله جل جلاله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ" (المائدة/ 90-92) . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها: "لولا حِدْثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم"، وقوله: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك" .

وعلى أية حال فها هى ذى بعض نصوص الحديث الشريف فى موضوع المرأة: "عن حكيم بن معاوية القُشَيْرِيّ عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : أن تطعمها إذا طَعِمْتَ ، وتكسوها إذا اكتسيتَ، ولا تضرب الوجه ولا تُقَبِّح ولا تَهْجُر إلا في البيت" . "عن عبد الله بن زمعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبدَ ثم يجامعها في آخر اليوم؟ وفي رواية سفيان بن عيينة قال : وعظ النبي صلى الله عليه وسلم الناس في النساء فقال : يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ثم يعانقها من آخر النهار ؟" . "عن عبد الله بن عبد الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بن عمر بن الخطاب عن إياس بن أبي ذباب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تضربوا إماء الله. فجاء عمر رضى الله تعالى عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذَئِرَ النساء على أزواجهن. فأذن لهم فضربوا، فأطاف برسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير، فقال: لقد أطاف بآل محمد الليلةَ سبعون امرأة كلهن يشتكين أزواجهن . ولا تجدون أولئك خياركم" .

وفى الفصل الثانى تقول بارْلَس (ص 7) إن المسلمين المحافظين المتأثرين بالنزعة الأبوية يقرأون القرآن فى ضوئها فيفسرون نصوصه المتعلقة بالجنسين بناء على بعض الآيات فى هذا الصدد دون باقى الآيات الأخرى، وكذلك بناء على معاملة القرآن للمرأة على نحو مختلف عن معاملته للرجل، منتهين من ثم إلى أنهما ليسا مختلفين بيولوجيا فقط، بل أيضا متناقضين (opposites) وغير متساويين، وهو ما انعكس فى قولهم بتفوق الرجل على المرأة ما دامت المرأة قد خُلِقَتْ، فيما يقال، من الرجل أو بَعْد خَلْقه، ومن أجل متعته ليس إلا، إلى جانب تفضيل الله سبحانه وتعالى للرجال، إذ كمّلهم عقولاً وحُسْنَ مشورةٍ وأداءٍ لواجباتهم الدينية، فضلا عما قيل من أنه عز وجل قد فضّل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرجال درجة وجعلهم قوامين على النساء، أو حُكَّامًا عليهن فى بعض التفسيرات. أما المرأة فإن ظروفها البيولوجية لا تسمح لها بأن تكون لها أية وظيفة أخرى غير إنجاب الأطفال، وهو ما يمثل "مأساتها البيولوجية" حسبما يقول المودودى. كما أن ظروفها البيولوجية والعقلية لا تسوّغ فقط اختلافها عن الرجل، بل خضوعَها كذلك له: زوجا كان أو أبا أو أخا. ثم إن فلاسفة أوربا ومفكريها أنفسهم يقولون بتخلفها عن الرجل فى قدراتها وإنجازاتها الجسمية والذهنية جميعا بالغا ما بلغ الجهد الذى تبذله. بل إن بعض المفكرين المسلمين ليذهبون إلى القول بأن تكوين جسم المرأة هو قَدَرٌ مقدورٌ عليها لا فَكَاك لها منه، وأنها من ثم عبء على الحضارة فائضة عنها، بمعنى أنها ليست لها وظيفة بها. وهذا التفسير، حسبما تؤكد بارْلَس، ليس نابعا من تعاليم القرآن ذاتها، بل من آراء المفسرين المستَمَدَّة من أوضاع بيئتهم وعصرهم.

ولا شك أن الله سبحانه قد خلق الرجل والمرأة متقابلَيْن لا متناقضَيْن. فالواقع أن كليهما يكمل الآخر ولا يناقضه. صحيح أن هناك نقاط اختلاف، لكن هناك أيضا نقاط اتفاق، وهذه الأخيرة أكثر من الأولى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأقوى رغم ما قد يبدو للبعض من أن الحقيقة هى على عكس ذلك. أليسا كلاهما إنسانا ؟ أليس لهما كثير من الأعضاء المشتركة، مع انفراد المرأة بأن لها رحما وصدرا ناهدا وردفا بارزا وبشرة ملساء وصوتا ناعما وشعرا غزيرا وطويلا، وانفراد الرجل بأن له جهازا تناسليا مختلفا وشعرا على خديه وصوتا خشنا ؟ وصحيح أن المرأة أكثر عاطفية وأسرع انفعالا، والرجل بوجه عام أملك لمشاعره وعواطفه، إلا أن لكل منهما رغم ذلك انفعالات وعواطف وعقلا وتفكيرا. ثم إن الحياة لا تستطيع أن تمضى وتستمر دون تكاملهما بتكوين الأسرة كما هو معلوم. ولو كانا متناقضين ما قدرا على شىء من ذلك التكامل.

ثم هل حقا هناك نص يقول إن الله قد خلق المرأة من أجل متعة الرجل فقط ؟ صحيح أن متعة الرجل لا تتم إلا بالمرأة، لكن متعة المرأة لا تتم هى أيضا إلا بالرجل، وهذا هو التكامل المذكور. بيد أن هناك أشياء أخرى فى علاقة الرجل بالمرأة غير المتعة الجسدية على أهمية هذه المتعة الجسدية وما تبعثه فى النفس والكيان كله من مسرة وسعادة وراحة واستقرار. من ذلك العشرة والتفاهم والتآنس والتعاون على التخلص من مشقات الحياة والفوز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمسراتها وبهجاتها . فالحياة ليست جنسا وشهوة جسدية فقط كما يتصور فرويد وتابعوه ومرددو أفكاره، بل هى أعقد من ذلك كثيرا جدا على أهمية الجنس كما هو معروف. لكن هل خُلِقَت المرأة فعلا بعد الرجل؟ الواقع أنه ليس هناك نص فى القرآن يقول شيئا من هذا، بل الذى فيه هو أنهما قد خلقا من نفس واحدة: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً" (النساء/ 1)، "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا" (الأعراف/ 189) . لكن بعض المفسرين يذهبون فيروون من التفصيلات ما يستحيل أن يعلم به أحد غير الله، إذ من قال لأولئك المفسرين مثلا إن حواء قد خُلِقَتْ على وجه التحديد من قُصَيْرَى آدم (أى أعلى أضلاعه) وهو نائم، فلما استيقظ قال: "أثا" بالنبطية، بمعنى "امرأة"؟ هل كان أحدهم يقف خلف شجرة هناك مختبئا كى يشاهد ما يجرى ويسجله لنا؟ أم هل خَلَّفَ آدمُ وراءه بعض المذكرات يحكى لنا فيها ما أبصره لدى قيامه من رقاده وما عَلَّق به آنذاك؟ ثم هل كان آدم يتحدث النبطية؟ أما القول بأن حواء قد خُلِقَتْ من ضلع آدم فليس له وجود فى القرآن: لا بصريح اللفظ ولا بتلميح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العبارة. ومعنى الآيتين المذكورتين آنفا أن الله خلق الزوجين، أى الذكر والأنثى، من نفس واحدة، وأنه قد خلقهما ليسكن كل منهما إلى الآخر ويتزوجا وينجبا، وتستمر عجلة الحياة فى الدوران والتقدم إلى الأمام. . . وهكذا دَوَالَيْكَ إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

وإذا كان العهد القديم يقول بأن حواء قد أُخِذَتْ من ضلع آدم فهذا لا يلزمنا نحن المسلمين. يقول كاتب الإصحاح الثانى من سفر "التكوين":

"15وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا.

16وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلا، 17وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ».

18وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». 19وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. 20فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ. 21فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. 22وَبَنَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. 23فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ». 24لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا".

أما إذا فسر بعض العلماء الضلع فى الحديث الشريف الذى يقول: "استوصُوا بالنساء، فإن المرأة خُلِقَتْ من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. فإن ذَهَبْتَ تقيمه كَسَرْتَه، وإن تَرَكْتَه لم يزل أعوج. فاستوصوا بالنساء" بأنه ضلع آدم فجوابنا هو أن الحديث يخلو تماما من أى ذكر أو إشارة إلى أن الضلع هو ضلع آدم. أما أنا فأفهم الحديث على أنه تصوير مجازى لغلبة عواطف المرأة عليها، فهى تنفعل وتتحكم فيها عواطفها أكثر مما هو حال الرجل. وهذا هو اعوجاج الضلع الذى تحدث عنه الرسول، وما أحلاه فى بعض الأحيان من اعوجاج، وأَسْوَأَه وأَذْهَبَه للُبّ الحليم كذلك فى بعض الأحيان الأخرى.

وإذا كان لنا من ملاحظة عارضة هنا فنحب أن نقول إن الكلام الذى ناقشناه فيما مضى ليس كلام بارلس وحدها، بل كلام النسويات كلهن. ففى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقال بعنوان " A Qur'an-only Feminist" يرد به ش. ج. ف. حداد (Sh. G. F. Haddad) على رفعت حسن الباكستانية نراه يذكر كل هذه الشبهات والاتهامات بوصفها شبهاتها واتهاماتها هى لا شبهات بارلس واتهاماتها، وكأنها برشامة غش يتناقلها الطلاب الكسالى فيما بينهم وينقلون ما فيها إلى كراريس إجاباتهم كما هى دون تفكير بل دون إعادة صياغة.

ثم نأتى إلى ما نَسَبَتْه السيدة أسما بارلس إلى أبى الأعلى المودودى من القول بأن الحمل والولادة هما مأساة المرأة البيولوجية. فهل قال المودودى ذلك فعلا؟ لقد نقلته المؤلفة عن كتاب وسيط، ولم تذكر لنا أين نجد ذلك الكلام فى مؤلفات المودودى. وبغض النظر عمن هو صاحب هذه العبارة فلا ريب أنها تفتقر إلى المصداقية إذا أخذناها على ظاهرها، إذ الحمل والولادة ليسا ولا يمكن أن يكونا مأساةً بحال من الأحوال، بل سببا عظيما من أسباب السعادة والرضا عن الحياة. ترى هل يصح أن نقول عن عملية تجدد الحياة إنها مأساة؟ الحق أنه إذا كانت هذه مأساة فلا شك أن بعض هذه المأساة يرجع إلى الرجل، الذى ما إن تقع عينه على النصف الحلو حتى يسيل لعابه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتزيغ عيناه ويشتّ عقله وتفسد أعصابه. . . إلخ. أما إذا قصد صاحب هذه العبارة، أيا ما كانت شخصيته، معنى آخر غير الذى فهمناه، فذلك شأن آخر، إذ السياق مهم جدا، وللأسف لم توضح لنا السيدة بارلس السياق الذى وردت فيه العبارة، مثلما لم توضح لنا أين نجدها.

ترى بالله كيف يقال عن أبنائنا وبناتنا وأحفادنا وحفيداتنا إنهم ثمرة تلك المأساة؟ ألا إن هذا لَكُفْرٌ بأَنْعُم الله يُخْشَى معه زوالها. نعوذ بالله من الكفر والجحود! ثم إن المرأة ذاتها لا ترى فى هذا مأساة على الإطلاق، بل تنتظره بلهفة وشوق بكل خلجة فى كيانها رغم ما تشعر به من إرهاق طوال مدة الحمل، وألم بالغ لدن الوضع. فمن أين تأتى المأساة إذن إذا لم يكن أى من الرجل أو المرأة ينظر إلى الأمر على أنه مأساة؟ ومثل ذلك أيضا القولُ بأن المرأة عبء على الحضارة فائضة عنها ليست لها وظيفة بها. ذلك أن الحياة لا تكتمل إلا بالمرأة والرجل معا. ترى كيف تهنأ الحياة للرجل إذا خلت الحياة من المرأة؟ اللهم إن هذا لخبل فى العقل والنفس والضمير.

إلا أن هذا كله كوم، وإشارتها إلى ما جاء فى سورة "النساء" من قوله تعالى: "الرجال قوّامون على النساء" على أساس أنه قد "قيل" (بصيغة المبنى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للمجهول) لا أنه قد "قاله القرآن" (بصيغة المبنى للمعلوم) هو كوم آخر. وهذا خطأ منها غير هين، إذ لا يصح تجهيل الفعل الإلهى بما يومئ إلى أن صاحبه مجهول وأنه أمر غير متيقَّن منه. ترى هل يليق أن يجترئ مسلم على المقام الإلهى الكريم ويشكك فى نص قرآنى بمثل تلك الطريقة؟

ثم تتابع بارلس قائلة إن النقاد المحدثين يأخذون على المفسرين القدماء عدم نظرتهم إلى النص القرآنى كوحدة مركبة وإهمالهم الظروف التاريخية التى نزل فيها، وأنهم على العكس من ذلك كانوا يقومون بتفسيره تفسيرا تجزيئيا، أى تفسيره آية آية، أو تفسير عدة آيات متتابعة على أكثر تقدير، دون أن يأخذوا فى الاعتبار أبدا أو فى معظم الأحوال ما نزل من آيات مختلفة فى الموضوع الواحد بحيث تُرَاعَى جوانب الموضوع كلها لدن محاولة معرفة ما قاله القرآن بشأنه. وتنقل بارْلَس عن أمينة ودود أنهم، حتى فى المواضع التى يشيرون فيها إلى بعض الآيات الأخرى، لم يتبعوا منهجا تفسيريا يساعدهم على النظر إلى الموضوع من زواياه المختلفة بحيث يربطون بين الموضوعات والتراكيب والمبادئ والأحكام المتصلة بعضها ببعض كى يخرجوا برؤية شاملة لذلك الموضوع، ومن ثم لم يستطيعوا الوصول إلى موقف القرآن المعرفى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المناهض للأبوية (antipatriarchal epistemology) (ص8). ثم تؤكد عن حق أن القرآن هو فى الواقع كل متكامل، وإن كان قد نزل شيئًا فشيئًا مع الأيام ولم ينزل كاملا دفعة واحدة. إلا أنها تضيف إلى ذلك قولها إن التفسير التقليدى يتجاهل هذه الحقيقة، كما يتجاهل السياق الذى نزل فيه كل نص من نصوص الوحى. ومن هنا لم يستطع هذا التفسير فى نظرها أن يتوصل إلى المغزى العميق للقرآن المجيد (ص8– 9).

ثم تمضى قائلة إننا، لكى نصل إلى التفسير الصحيح، لا بد أن نتنبه إلى السياقين جميعا: السياق الذى تم فيه نزول الآيات، والسياق الذى تم فيه تفسير تلك الآيات. وقد كانت التفاسير القديمة والأحاديث التى تصور حياة الرسول تنطلق من تقليل شأن النساء. وهذه التفاسير والروايات الحديثية هى المسؤولة فى الواقع عن التصاق النظرة التحقيرية للنساء بالإسلام حسبما تقول. وبهذا انتصرت فى رأيها النصوص البشرية المستقاة من التاريخ والبيئة والمتأثرة بهما على نصوص الوحى المقدسة. وبالمثل انتصرت رغبات الرجال وحاجاتهم ورؤاهم على رؤى النساء وحاجاتهن وتجاربهن. ورغم ذلك فمن المعروف أن النساء فى السنوات الأولى من تاريخ الإسلام قد شاركن، كما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقول الكاتبة، فى إنتاج المعرفة الدينية، فكان نساء عصر النبوة مثلا يبدين رأيهن بوضوح فى أمور الدين، بل فى آيات القرآن ذاته، وكان الله ورسوله سرعان ما يستجيبان لما يقلن مباركِين حريتهن فى التعبير عما يدور فى أذهانهن. فمن اللازم إذن مراجعة التاريخ لمعرفة ما الذى حصل عبر القرون مما كانت ثمرته استبعاد النساء من ميدان التفسير (ص9– 10) .

وهنا نراها تقرر أن من يخلط بين القرآن وبين قراءاته (أى تفسيراته) إنما يتجاهل ما تنهى عنه الآية 18 من سورة رقم 39 (سورة الزُّمَر) من الخلط بين الأمرين (ص 10)، وهو ما لا وجود له فى الآية المذكورة كما سنبين لاحقا . وتمضى بارلس فتقول إن المحافظين المسلمين يرون أن التفسير الصحيح للقرآن الكريم متاح فقط فى بعض كتب التفسير القديمة، التى يعدونها تفاسير معصومة. أما التفاسير الحديثة والمعاصرة، وبالذات تلك التى كتبتها أقلام نسائية، فهى مرفوضة فى نظرهم. ثم تضيف قائلة إن تفسيرها للقرآن تقليدى وجديد فى ذات الوقت: تقليدى من حيث إنه ينطلق كما هو الحال عند بعض المفسرين الكلاسيكيين من أن القرآن كتاب يسوى بين الرجل والمرأة، وجديد من حيث إنها تستخدم المناهج الحديثة فى قراءة بعض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القضايا التى لم يحاول المفسرون الكلاسيكيون أن يتناولوها . ثم بعد ذلك نراها تؤكد أن القراءات الجديدة للقرآن تواجه خطر الرفض منذ البداية من عدة طوائف: المسلمين المحافظين، والمستشرقين الذين لا يريدون أن يتزحزحوا عن مواقفهم القديمة من القرآن، وأصحاب النزعة النسوية، وكثير أيضا ممن ليسوا بمسلمين. ومع هذا فهى تصر على استعمال المناهج الجديدة لأن القرآن، حسبما تقول، لا ينحصر فى زمان أو مكان أو سياق بعينه.

هذا ما قالته بارلس. ونبدأ بآخر ما تناولته، وهو ما ذكرْته عن عالمية القرآن، التى رأيناها هى نفسها أول من يتنكر لها، إذ رمت بعض أحكامه بأنها راعت ظروف المجتمع العربى فى القرن السابع وبقيت كما هى حتى الآن لم تُنسَخ. ثم ننتقل ثانيا إلى ما زعمته من رفض بعض المسلمين للتفاسير الحديثة والمعاصرة، وبخاصة ما كان مكتوبا منها بأقلام نسائية. وعلى الفور نقول إن هذا غير صحيح، فهاهى ذى كتب تفسير الشوكانى والألوسى ومحمد فريد وجدى والمراغى والشنقيطى وحجازى وابن عاشور وسيد قطب والشيخ شلتوت وبنت الشاطئ وابن عثيمين ووهبة الزحيلى وأبو بكر الجزائرى والسعدى ومحمد الغزالى تحظى بإقبال واحترام شديدين، ولا يجد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القراء المسلمون فى نفوسهم شيئًا من ناحيتها رغم أن كثيرا منها يخالف ما فى الكتب التقليدية أو يختلف عنها على الأقل. فكيف قالت بارلس ما قالته؟ أغلب الظن أنها تخلط بين موقف القراء المسلمين تجاه ما تكتبه هى ونظيراتها ونظرائها من ذوى النزعة النسوية المعادية للرجل ممن يلوون كلام القرآن عن معانيه وبين التفسيرات الحديثة والمعاصرة. ومع ذلك فها أنذا، ولست سوى مجرد مثال، لا أرفض كل ما تكتبه هى، بل أزنه جيدا فى مقابل ما يقوله القرآن والرسول فأَقْبَل بعضه وأُنكِر بعضه وأخطّئه. فهل أنا يا لهمدانَ ظالِم؟ أم تراها تعد نفسها فوق النقد، وما تكتبه معصوما من الخطإ ينبغى أن يقابَل بالتسليم المطلق فنخرّ عليه عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا؟ بل إننى لا أقبل كل ما قالته كتب التفسير القديمة وأختلف مع كثير منه. ومن يرجع إلى الكتب التى وضعتها فى تفسير سور "المائدة" و"التوبة" و"الرعد" و"يوسف" و"طه" و"النجم" و"الرحمن"، وكذلك الكتابين اللذين تناولت فيهما مناهج التفسير ومذاهبه فى القديم والحديث، فلسوف يجد أننى طوال الوقت أُعْمِل جهازى النقدى فلا أتوقف أمام قديم أو جديد ولا أحابى أو أظلم اتجاها لمصلحة أى اتجاه آخر. وهذا ما يفعله أمثالى بوجه عام، وإن كان هناك فى ذات الوقت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من ينقل عن الكتب الأخرى قديمة أو جديدة ولا يضيف من عنده شيئا .

وهذا أمر طبيعى، فالعقول متفاوتة، والأنظار مختلفة، وسوق التفسيرِ وتأريخِه مشحونة بالبضاعة الفكرية من كل لون ومذاق.

أما قولها إن تفسيرها للقرآن تقليدى وجديد فى ذات الوقت: تقليدى من حيث إنه ينطلق كما هو الحال عند بعض المفسرين الكلاسيكيين من أن القرآن كتاب يسوى بين الرجل والمرأة، وجديد من حيث إنها تستخدم المناهج الجديدة فى قراءة بعض القضايا التى لم يحاول المفسرون الكلاسيكيون أن يتناولوها، أما قولها هذا فيحتاج إلى وقفة صغيرة تضع الأمور فى نصابها حتى لا يحدث خلط. فتأكيدها بأن القرآن يسوى بين الرجل والمرأة، وإن كان فى عمومه صحيحا لا مماراة فيه، هو تأكيد يتجاهل رغم ذلك ما قاله القرآن ذاته من أن الرجال قوامون على النساء، وأن لهم عليهن درجة. أم تراها تريد أن تنكر هذا النص الواضح الصريح؟ كما أن إشارتها إلى استخدامها المناهج الحديثة فى تفسيرها للقرآن لا تحسم الأمر لصالحها بالضرورة، إذ ليست العبرة باتباع هذا المنهج أو ذاك، بل العبرة كل العبرة بالتحقق أولا من صحته ووفائه بالمطلوب، ثم بالتطبيق السليم له. لكن يبدو لى أن السيدة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بارلس تتصور أن الجديد دائما على حق. كذلك لا ينبغى أن نغفل شيئا مهما، وهو أنها تطبق المناهج الحديثة تطبيقا آليا، اعتقادا منها، فيما يظهر، أنها مناهج لا يخرّ منها الماء. وهو ما آخذ على عاتقى فى هذه الدراسة شرحه وتوضيحه كما يرى القارئ.

وأما دعواها أن مفسرينا الفطاحل القدماء قد مزقوا القرآن، إذ فسروه تفسيرا تجزيئيا فتناولوه آية آية، أو تناولوا بالتفسير عدة آيات متتابعة على أكثر تقدير، بدلا من تجميعهم معا كل طائفة من الآيات التى تعالج موضوعا واحدا كى يتسنى معرفة رأى القرآن الكريم فى ذلك الموضوع بكل جوانبه بدلا من تشتت الذهن بين الآيات المختلفة التى تتعامل كل منها عادةً مع جانب واحد من ذلك الموضوع فلا نستطيع من ثم أن نلم برأى القرآن الكامل فيه، وهو ما تناولتُه أيضا فى الفصل الذى كتبتُه لـ" The Cambridge Companion to the Quran: دليل كمبردج إلى القرآن"، إذ قالت ما نصه: "

These exegetes, it is argued, adopted a „linear-atomistic“ approach in which they studied „one or a few verses... in isolation from the preceding and following verses“. As a result, they failed to recognise the Quran“s

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

thematic and structural coherence"، أما زعمها هذا فلا يقوم على أساس متين. كيف؟ أولا: إذا ما جرينا على طريقة السيدة بارلس فى النظر إلى الأشياء وجب أن نقول إن أولئك المفسرين المساكين الذين لا يعجبونها لم يكونوا يتناولون القرآن آية آية فى الواقع بل كلمة كلمة وعبارة عبارة، لأنه ما من آية يمكن تناولها دفعة واحدة إلا فى النادر الشاذ الذى لا حكم له. كما أنهم، لدن تناولهم لتفسير القرآن بهذه الطريقة، إنما يتبعون منهجا من مناهج شرح النصوص، منهجا مهما فى غاية الأهمية لا يغنى غيره غناءه، وإن كانت تُكَمِّله مناهج أخرى بطبيعة الحال. إلا أنه هو المنهج الذى ينبغى أن نبدأ به قبل اللجوء إلى تلك المناهج الأخرى، إذ هى كلها تنطلق منه. فنحن لا يمكننا الوصول إلى الطابق الأخير إلا إذا مررنا بالطابق الأول والثانى والثالث... إلخ. أليس كذلك؟ وعلى هذا فليس باستطاعتنا تناول القرآن إجمالا قبل تناوله تجزئة، أو كما تقول هى: تناولا ذَرِّيًا.

ليس ذلك فحسب، بل إن هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين لا يعجبون د. بارلس لم يكونوا يُقْدِمون على الاقتراب من القرآن إلا وهم قد حفظوه مثلما كان يفعل كثير من الناس فى العالم الإسلامى آنذاك، إذ كان حفظ القرآن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتفسيره جزءا أساسيا من المقررات التعليمية التى يتلقاها التلميذ فى ذلك الزمان كما هو معلوم. وعلى هذا فقد كان القرآن كله ماثلا فى ذاكرتهم طول الوقت أمام باصرتهم بحيث إنهم، حين يتناولون آية منه بالتفسير، تكون الآيات الأخرى المتعلقة بذات الموضوع حاضرة فى أذهانهم. وكثيرا ما تقرأ عند الواحد منهم أنه قد سبق أن تناول هذا الموضوع من قبل عند تعرضه للآية الفلانية أو أنه سوف يتناوله فيما يلى عند تعرضه للآية العلانية بما يدل على أنه حاضر الذهن طول الوقت. كما أن كل صاحب مذهب إذا مر بآية تتعلق بمذهبه نجده يفسرها فى ضوء مبادئ ذلك المذهب ولا يغفل عن هذا المنهج عادة، بغض النظر عن موافقتنا على مذهبه أو لا، فهذا شىء آخر. وهناك كتب تتعرض للتوفيق بين الآيات التى تبدو وكأنها متناقضة. فما معنى هذا؟ معناه أنهم لم تكن تستغرقهم الآية التى بين أيديهم، بل كانوا ينظرون إلى القرآن نظرة شاملة محيطة. وإلا فكيف عرفوا أن هذه الآية تبدو وكأنها تعارض تلك الآية وأنّ حَلَّ هذا التعارض يكون بكذا وكذا؟

وقد لمس د. أحمد أمين مثلا هذه النقطة فى حديثه عن الزمخشرى ومنهجه فى تفسير كتاب الله الكريم طبقا لمذهبه فى الاعتزال، إذ قال إنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان يؤوّل كل الآيات التى تتصل بأصول الاعتزال الخمسة كحرية الإرادة الإنسانية ووجوب العدل وتحقيق الوعد والوعيد ووحدة الذات والصفات. . . إلخ حتى تلتئم ومذهبُه، جاعلا مفتاحه قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ" . فالآيات المحكمة هى آيات الأصول الواضحة المعنى مثل قوله تعالى: "لا تُدْرِكه الأبصارُ، وهو يُدْرِك الأبصارَ" . فإذا جاءت آية أو آيات تدل على خلاف ذلك وجب أن تؤوَّل. فالنظر إلى الله مثلا فى قوله تعالى: "وجوهٌ يومئذ ناضرةٌ * إلى ربها ناظرة" معناه أن المؤمنين سوف يحظَوْن برضا الله وينتظرون حصول النعمة الإلهية لهم لا أنهم سوف يَرَوْنه فعلا كما تقول الآية، إذ رؤية الله عندهم مستحيلة فى الدنيا والآخرة. . . وهكذا (انظر د. أحمد أمين/ ظهر الإسلام/ مكتبة النهضة المصرية/ 1952م/ 2/ 41- 42) . وفوق هذا فثمة كتب أخرى يتناول كل منها موضوعا واحدا فى القرآن الكريم ككتاب "القَسَم فى القرآن" لابن القيم مثلا، مما يستلزم تجميع الآيات التى تتناول الجوانب المختلفة للموضوع الواحد فى موضع واحد .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على أن هذا لا يعنى أنهم لا يَسْهُون أبدا، إذ هم فى نهاية المطاف بشر، والبشر سَهّاؤون نَسّاؤون بطبيعة الحال. ومن ذلك ما لاحظته فى تفسير الطبرى والزمخشرى من أنهما فى موضع من كتابيهما قد قالا بحساب الحيوانات، أى وقوفها للمساءلة والحساب فالثواب أو العقاب كالبشر سواء بسواء، مفسّرَيْن حَشْرها فى موضع من القرآن بهذا المعنى، على حين يقولان فى موضع آخر إنّ حشرها هو مجرد جمعها ثم إماتتها بعد ذلك، وهو ما تعرضت له فى الفصلين الخاصين بتفسيرَىْ هذين العالمين الجليلين من كتابى: "من الطبرى إلى سيد قطب– دراسة فى مناهج التفسير ومذاهبه". لكنى إنما أتكلم على القاعدة العامة، ومعروف أنه ما من قاعدة إلا ولها استثناءاتها. ولا ننس أن هؤلاء المفسرين لم يأتوا من عُرْض الطريق بل هم علماء أفذاذ، الواحد منهم بعشرات من مثل أسما بارلس رغم كل الطنطنات التى تطنطن بها عن المناهج الحديثة فى تأويل النصوص وترجمتها، إذ هى أفكار منقولة عن الآخرين، وكل دورها فيها هو التطبيق، وهو تطبيق آلى يفتقر إلى الحاسة النقدية كما أشرت فى هذا البحث، ودعك من الإبداع أو الإضافة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتمثيلا لما أقول أنقل هنا ما كتبه النسفى فى "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" تفسيرا لقوله تعالى فى الآية 62 من سورة "البقرة": " إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ "، إذ فسرها على النحو التالى: " . . . "إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا" بألسنتهم من غير مواطأة القلوب، وهم المنافقون. "وَٱلَّذِينَ هَادُوا": تهوَّدوا. يقال: "هاد يهود وتهوَّد" إذا دخل في اليهودية، وهو هائد، والجمع: هُود. "وَٱلنَّصَٰرَىٰ" جمع "نَصْرَان" كـ"نَدْمان ونَدَامَى". يقال: رجل نصران وامرأة نصرانة. والياء في "نصرانيّ" للمبالغة كالتي في "أحمري". سُمُّوا: "نصارى" لأنهم نصروا المسيح. "والصَّٰبِئِينَ": الخارجين من دين مشهور إلى غيره، من "صَبَأَ" إذا خرج من الدين. وهم قوم عَدَلُوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة. وقيل: هم يقرؤون الزَّبور. "مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ" من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا "وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ": ثوابهم، "عِندَ رَبِّهِمْ" في الآخرة، "وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ". ومحلّ "مَنْ آمَنَ" الرفع إنْ جعلته مبتدأً خبره: "فلهم أجرهم"، والنصب إنْ جعلته بدلا من اسم "إنّ" والمعطوف عليه. فخبر "إنّ" في الوجه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأول الجملة كما هي، وفي الثاني "فلهم"، والفاء لتضمن "مَنْ" معنى الشرط".

وهو نفسه ما قاله فى تفسير الآية 69 من سورة "المائدة"، ونصها: "إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ"، إذ قال: "إنَّ الّذين آمَنُوا" بألسنتهم، وهم المنافقون، ودل عليه قوله: "ولا يَحْزُنْك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا: آمنّا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم" (آل عمران/ 76) "والّذين هادوا والصّبئون والنّصارى". قال سيبويه وجميع البصريين: ارتفع "الصابئون" بالابتداء، وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز "إن" من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى "من آمن باللّهِ واليومِ الآخر وعمل صالحا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون"، والصابئون كذلك. أي من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم. فقدَّم وحذف الخبر كقوله:

فمَنْ يَك أَمْسَى بالمدينة رَحْلُهُ * فإني وقيّارٌ بها لَغَريبُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أي "فإني لغريب، وقيار كذلك". ودَلَّ اللامُ على أنه خبر "إن"، ولا يرتفع بالعطف على محل "إن" واسمها لأن ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر. لا تقول: "إن زيدا وعمرو منطلقان"، وإنما يجوز "إن زيدًا منطلق وعمرو". و"الصابئون" مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: "إن الذين آمنوا" إلى آخره، ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها. وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين، وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالة وأشدهم غيًّا، يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان، فما الظن بغيرهم؟ ومحل "من آمن" الرفع على الابتداء. وخبره: "فلا خوف عليهم". والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط. ثم الجملة كما هي خبر "إن". والراجع إلى اسم "إن" محذوف تقديره: من آمن منهم". هذا، وبين "البقرة" و"المائدة" خُمْس القرآن، وهو ليس بالشيء القليل. كما أن النسفى قد غاص لدن تفسيره لآية "المائدة" فى إعراب مرهق لكل كلمة بل لكل حرف فيها، وهو ما من شأنه أن ينسيه الموضوع الذى تدور عليه الآيتان. ومع هذا لم ينس النسفى ما قاله فى الآية الأولى ولا ما قاله القرآن فى ذات الموضوع فى غير هذين الموضعين ولا الاتجاه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العالم للقرآن الذى يشترط للنجاة يوم القيامة الإيمان بمحمد وكتابه واليوم الآخر وعمل الصالحات.

وبالمناسبة فإن لى تفسيرا آخر مخالفا لما قاله ذلك المفسر الكبير بثثته فى عدد من كتبى ودراساتى الورقية والضوئية: لا أخالفه فيه من جهة الرأى الذى انطلق منه، فكلانا يؤمن أنه لا يدخل الجنة إلا من يؤمن بالله وبالنبى محمد صلى الله عليه وسلم ويعمل صالحا، ولكن من جهة الطريقة التى فسر بها قوله تعالى: "الذين آمنوا" فى الآيتين، إذ أجريتها فيه على أنهم مؤمنون صادقون كما يقتضى منطوق الآية، فاصلا بين "الذين آمنوا" وبقية الطوائف المذكورة بفاصلة بحيث يكون قوله تعالى: "من آمن بالله واليوم الآخر" بدلا من تلك الطوائف الأخرى التى لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر حسب مفهوم القرآن للإيمان. ويكون المعنى حينئذ: إن الذين آمنوا، وكذلك اليهود والنصارى والصابئين إذا آمنوا بالله واليوم الآخر، أى آمنوا بمحمد ودخلوا من ثم فى زمرة المؤمنين المذكورين على رأس الآية، وعملوا صالحا، إن هؤلاء وأولئك جميعا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لأنهم كلهم قد أصبحوا مؤمنين بالله واليوم الآخر، وهو شرط دخول الجنة حيث ينالون أجرهم، ولا خوفٌ عليهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا هم يحزنون. وهذا الذى قلته هنا فى سطور قد قلته هناك فى صفحات. وقد اعتمدت فيه، كما اعتمد النسفى، على ما جاء عن نفس الموضوع فى آيات القرآن المتباعدة، فجمعتها وبرهنت بها على صحة ما قلته.

ولقد كان العلماء المسلمون يشترطون فيمن يريد أن يفسر آية من الآيات، ضمن ما يشترطونه عليه، أن ينظر أولا فى آيات القرآن الكريم الأخرى عن تفصيلِ ما يمكن أن يكون فى تلك الآية من إجمال أو بَسْطِ ما فيها من اختصار مثلا. جاء فى "الإتقان" للسيوطى تحت عنوان "شروط المفسر وآدابه": "قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن: فما أُجْمِل منه في مكان فقد فُسّر في موضع آخر، وما اخْتُصِر في مكان فقد بُسِط في موضع آخر منه". فهذا، أيها القارئ، يريك مدى ما فى كلام أسما بارلس من تجاوز فى حق مفسرينا القدماء. ونصل الآن إلى ما زعمته الكاتبة من أن من يخلط بين القرآن وبين قراءاته (أى تفسيراته) إنما يتجاهل ما تنهى عنه الآية 18 فى سورة "الزُّمَر" من الخلط بين الأمرين. ولن أفعل شيئا أكثر من إيراد الآية المذكورة والتى قبلها معا لأنهما كل واحد. قال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى: "وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ". فأين فى الآيتين، بالله عليك أيها القارئ، ما زعمته المؤلفة عن خلط مفسرينا القدامى بين القرآن وتفاسيره؟ ألا ترى معى أنها تَهْرِف بما لا تَعْرِف؟

وفى الفصل المسمى:" Texts and Textualities" تقول المؤلفة (ص32 وما بعدها) إن أهمية القرآن بالنسبة إلى المرأة تكمن فى تصور المسلمين أن عدم المساواة بينها وبين الرجل فى التشريع إنما يستند إلى ما يقوله القرآن فى هذا الصدد رغم أن هناك بَوْنًا شاسعًا بين تعاليم القرآن فى هذا الموضوع وبين الحكم الفقهى. ثم تنقل عن أحد الكتاب المسلمين قوله إن النص القرآنى غير قابل للتعديل بخلاف تفسيره، الذى لا يقف فى تعدده عند حد، وإن هذه التفسيرات التى تتصف بعدم الدقة وبالنقصان هى التى تقبل الخطأ والانتقاد والنسبة إلى التاريخ، وليس النصَّ الإلهى ذاته. ومع ذلك فإن المسلمين، رغم فهمهم للقرآن داخل نطاق التاريخ، نراهم يضعونه فى ذات الوقت فوق التاريخية كما تقول، وهو ما لا ترى فيه، مثلما لا يرى فيه بعض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤلفين الآخرين، بالضرورة شيئًا من التناقض، وإن ذكرتْ مع ذلك ما قاله عبد الوهاب بو هديبة من أنه رغم أن الآية القرآنية التى تقول: "لكلِّ أجلٍ كتابٌ" (الرعد/ 38) تجوّز فهم القرآن فهما تاريخيا فإن المسلمين يصرون على عدم تاريخية فهم النص القرآنى.

وتقول بارلس أيضا إن القرآن، مَثَلُه فى هذا مَثَلُ أى نص آخر، يقبل قراءات مختلفة ما دامت كل آية من آياته تفسَّر بعدة طرق متباينة. بل إن آية "بسم الله الرحمن الرحيم" ذاتها، وهى موجودة على رأس كل سورة منه ما عدا سورة واحدة فقط، قد وردت بستّ صورٍ مختلفة. كذلك يقال إن صحابة الرسول كانوا يختلفون فى تفسير بعض الآيات، وهو ما كان الرسول على علم به. كما تضيف مؤكدة أن السمع البشرى الجمعى (collective human hearing) لا يفرض ضرورات وعيه فقط على الوحى، بل على النصوص كلها بوجه عام حسبما يقول بول ريكور. ومن هنا نراها تؤكد مع المؤكدين من علماء اللغة والنقاد الأوربيين أن تفسير النصوص الدينية مفتوح الباب أبدا، وأنه لا يبلغ تمامه فى يوم من الأيام. وتسوق بارلس هنا سببا لذلك فى حالة النص القرآنى، ألا وهو صعوبة قراءة هذا النص على نحو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واحد . ذلك أنه إذا كانت هناك آيات يُجْمِع علماء المسلمين على تفسيرها فإن هناك طائفة ثانية من الآيات قد يتردد بعض المسلمين بشأنها رغم الانتهاء من تفسيرها، وطائفة ثالثة ليس هناك إجماع على معناها . يضاف إلى هذا أن تفسير أى نص يخضع لعدة عوامل منها البيئة والتربية والثقافات والتحيزات المختلفة لا عند القراء وحدهم بل لدى المؤلفين أيضا . زد على ذلك ما يتمتع به النص القرآنى من ظلالٍ وشِيَاتٍ، فضلا عن وجود عدة معانٍ للكلمة الواحدة فى لغة الضاد فى كثير من الحالات قد يكون بعضها مناقضا لبعض، بالإضافة إلى أن هناك آيات ناسخة لآيات أخرى، مما يفتح الباب أمام العنصر الذاتى فى كل قراءة. وهذا كله من شأنه أن يدفعنا إلى التساؤل عن السر فى أن الآيات المتعلقة بحقوق المرأة تفسَّر دائما على نحو ثابت لا يقبل التغيير. على أنها تعود فتؤكد أن تعدد التفسيرات ليس أمرا مقصورا على النصوص القرآنية، بل يمتد إلى سائر النصوص الدينية.

ولقد عُدْتُ إلى السياق الذى ورد فيه قوله تعالى من سورة "الرعد": "لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ"، وهو: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُوا اللَّهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" (الآيتان 38- 39)، فلم أجد فيه شيئًا مما قاله بو هديبة عن تجويزه فهم النص القرآنى فهما تاريخيا . ولا أدرى كيف فهم هو منها هذا الذى يقول. لكنى فى ذات الوقت أتفق مع أسما بارلس فى أن فهم أى نص يمكن أن يتأثر بالظروف المحيطة به وبمفسره، علاوة على أن النص القرآنى هو بطبيعته نصٌّ غنىٌّ يقبل فى بعض الأحيان تفسيرات مختلفة، إذ يعتمد فى حالات كثيرة على الإيجاز، الذى يبدو لى مقصودا تماما حتى يرضى كل العقول والأمزجة السليمة من فرط غناه، وكلها يمكن أن تكون تفسيرات صحيحة. ذلك أن الحقيقة ليس لها فى العادة وجه واحد بل وجوه متعددة، وكل تفسير إنما يلتقط واحدا أو أكثر من تلك الوجوه.

والمفسر الذكى هو الذى لا يرفض التفسيرات الأخرى مبدأً، فقد تكون كلها أو بعضها سليمة رغم ذلك. كذلك على المفسر المخلص أن يفحص دائما أعماق نفسه كى يتأكد أنه غير متأثر بأى عامل خارجى لا علاقة له بالنص أو بأسباب نزوله حتى لا يفرض على النص ما ليس فيه.

وكان علماؤنا القدامى يشترطون فى المفسر مثلا صحة الاعتقاد، فإنّ من كان مغموصًا عليه في دينه لا يؤتمن عندهم على الدنيا، فكيف على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدين؟ ولهذا كانوا يردّون تفسير المتهم بالإلحاد وأصحاب البِدَع. كذلك كانوا يشترطون صحة القصد والإخلاص والزهد فى الدنيا . أى أن يكون عمل المفسر خالصا لوجه الله والعلم لا لإرضاء هذه الجهة أو تلك. كما حذروا من صاحب الهوى لأن المفسر إذا كان متهمًا بهوًى لم يُؤْمَن أن يحمله هواه على كل ما يوافق بدعته. ومعنى هذا أنه لا ينبغى للمفسر الدخول على عمله بفكرة مسبقة يريد أن يفرضها على النص فرضا . ومنه ما نلمسه فى كتابات بارلس وأشباهها من أصحاب النزعة النسوية وصاحباتها مِنْ تَعَمُّلٍ شديدٍ بغية إكراه النص القرآنى على موافقتهم فيما يؤمنون به ويَدْعُون إليه. ويستطيع القارئ أن يراجع هذه الشروط كاملة عند السيوطى فى الفصل المسمى: "شروط المفسر وآدابه" من كتابه: "الإتقان فى علوم القرآن" . كما حرّم العلماء الجزم بأن مراد الله هو كذا وكذا من غير برهان، أو محاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة وأصول الشرع، أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن زورا وبهتانا، أو صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب، مما فعلته لالة بختيار مثلما شاهدنا بأعيننا قبل قليل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(انظر فى تلك الشروط د . صبحى الصالح/ مباحث فى علوم القرآن/ فصل "التفسير: نشأته وتطوره") .

أما ما قالته د . أسما بارلس من أن بين المستشرقين من يقول إن النص القرآنى لم يكن بنجوة من التغيير: إما من جانب النساخ الذين قد يقعون فى الخطإ عند نسخهم النص القرآنى، وإما من جانب بعض المفسرين الذين قد يقومون بتصحيح أسلوب القرآن، وإما بسبب الحاجات العملية للمسلمين، وإن هذا سبب اختلاف قراءة النص القرآنى وتفسيره، فإننا نحن المسلمين نرفض ذلك الذى قاله المستشرقون رفضا باتا، ليس فقط لأن القرآن عندنا معصوم لا يمكن تبديله بتاتا كما تقول هى، بل كذلك لأن القرآن لم يكن محفوظا بالكتابة وحدها . إنما كان محفوظا فى الذاكرة أيضا، وهى ليست ذاكرة شخص أو شخصين أو عدة أشخاص، بل ذاكرة المسلمين جميعا، وما أدراك ما ذاكرة العرب آنذاك؟ ومن ثم فإذا وقع أحد النساخ على سبيل الافتراض فى خطإ أو سهو تم تصحيح ذلك فى الحال. كذلك فقولها إن المسلمين ينظرون إلى اختلاف القراءات على أنه أمر يتعلق بتفسير النص لا بالنص ذاته، مدللين على ذلك بأن القراء والعلماء كانوا منذ البداية الأولى قبل تدوين القرآن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يختلفون اختلافات شديدة فى قراءة هذه الآية أو تلك، قولها هذا يحتوى على زُبَانَى كزُبَانَى العقرب، إذ يشير إلى أنه قد أتى على القرآن زمان لم يكن القرآن قد دُوّن فيه بعد، وهو ما ليس صحيحا البتة، لأن القرآن كان يتم تدوينه أولا بأول غِبَّ نزوله على الرسول من السماء، وبالتالى لم يأت عليه قَطُّ حين من الدهر لم يكن فيه غير مدون.

ثم تستطرد فتقول إن من الصعوبة بمكان تثبيت معانى القرآن باللغة العربية، فما بالنا بتثبيتها فى الترجمات، التى لا يعدها عامة المسلمين قرآنا ؟ ذلك أن كل ترجمة إنما تتبنى معنى واحدا مع إهمال بقية المعانى الكامنة فى اللفظ أو الجملة، فضلا عن أن الألفاظ والعبارات فى اللغة المترجَم إليها لا تناظر فى كثير من الأحيان اللفظ أو العبارة فى النص الأصلى. وهو ما أوافقها على الجزء الأخير منه تماما، ونبهتُ إليه منذ زمن طويل عند وضعى كتاب "المستشرقون والقرآن" فى أوائل ثمانينات القرن الماضى. ومن هنا كان ترحيبى فى ذلك الكتاب بما صنعه الشيخ بو بكر حمزة فى ترجمته الفرنسية للقرآن المجيد، إذ أَلْفَيْتُه يترجم الآية القرآنية بما يراه أقرب إلى اقتناعه، لكنه لا يكتفى بهذا، بل يثبت فى الهامش بعض المعانى الأخرى التى يمكن أن تفسَّر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية بها (انظر كتابي: "المستشرقون والقرآن- دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه"/ ط 2/ دار القاهرة/ 1423هـ-2003م/ 87. هذا، وقد ظهرت الطبعة الأولى منه عام 1984م. أما تأليفه فكان قبل ذلك بسنتين على الأقل).

وبعد، أَفَلَوْ كان المفسرون القدماء والتقليديون معادين للمرأة حقا أكنا نقرأ فى تفاسيرهم وكتب أسباب نزولهم هذا الذى سنقرؤه بعد قليل مما يقف إلى جانب المرأة ضد الرجل أو يثنى على المرأة ثناء كبيرا أو يسهّل عليها حياتها . . . ؟ جاء فى "أسباب النزول" للسيوطى: "قوله تعالى: "ويسألونك عن المحيض. . . الآية": روى الترمذي ومسلم عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحابُ النبي صلى الله علي وسلم، فأنزل الله "ويسألونك عن المحيض. . . الآية"، فقال: اصنعوا كل شئ إلا النكاح".

"قوله تعالى: "الطلاق مرتان. . . الآية": أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة قالت: كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العِدّة وإن طلقها مائة مرة وأكثر، حتى قال رجل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لامرأته: والله لا أطلقك فتَبيني مني ولا أُوويكِ أبدا . قالت: كيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما همَّتْ عِدّتك أن تنقضي راجعتُك. فذهبت المرأة فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكت حتى نزل القرآن: الطلاق مرتان. فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان" .

"قوله تعالى: "ولا يحلُّ لكم. . . الآية": أخرج أبو داود في "الناسخ والمنسوخ" عن ابن عباس قال: كان الرجل يأكل مال امرأته من النِّحْلة التي نحلها، وغيره لا يرى أن عليه جُنَاحا . فأنزل الله: "ولا يحلّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا" . أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس وفي حبيبة. وكانت اشتكته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أتردّين عليه حديقته؟ فقالت: نعم. فذكر ذلك له. قال: وتَطِيبُ لي بذلك؟ قال: نعم. قال: قد فعلتُ. فنزلتْ: ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا . . . " .

"قوله تعالى: "وإذا طلقتم النساء فبَلَغْن أجلهن فأَمْسِكوهن بمعروف. . . الآية": أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عِدّتها، ثم يطلقها . يفعل ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يضرها ويَعْضُلها . فأنزل الله هذه الآية. وأخرج السُّدّيّ قال: نزلت في رجل من الأنصار يدعى: ثابت بن يسار. طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة ثم أمسكها مضارّةً. فأنزل الله: ولا تمسكوهن ضِرَارًا لتعتدوا" .

"قوله تعالى: "فاستجاب لهم. . . الآية": أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وابن أبي حاتم عن أم سلمة، قالت: يا رسول الله، لا أَسْمَعُ اللهَ ذَكَرَ النساء في الهجرة في شيء . فأنزل الله: فاستجاب لهم ربهم أني لا أُضِيع عَمَلَ عاملٍ منكم من ذكر أو أنثى. . . إلى آخر الآية" .

"قوله تعالى: "وآتُوا النساءَ صَدُقَاتِهِنّ نِحْلَةً": أخرج ابن أبي حاتم عن أبي صالح قال: كان الرجل إذا زوَّج ابنته أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك فأنزل: وآتوا النساء صَدُقاتِهِن نِحْلَةً" . "قوله تعالى: "للرجال نصيب. . . ": أخرج أبو الشيخ و ابن حيان في كتاب "الفرائض" من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية لا يورّثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا . فمات رجل من الأنصار يقال له: أويس بن ثابت، وترك ابنتين وابنا صغيرا، فجاء أبناء عمه. . . وهم عصبة، فأخذوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ميراثه كله. فأتت امرأته رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فقال: ما أدري ما أقول. فنزلتْ: للرجال نصيب مما ترك الوالدان. . . الآية" .

"أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن جابر قال: جاءت امرأة سعيد بن الربيع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعيد بن الربيع. قُتِل أبوهما معك في أُحُدٍ شهيدا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تُنكَحان إلا ولهما مال. فقال: يقضي الله في ذلك. فنزلت آية الميراث. . ." .

"قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كَرْهًا":

روى البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقّ بامرأته: إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوَّجوها، فهم أحق بها من أهلها . فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن أبي إمامة بن سهل بن حنيف قال: لما تُوُفِّيَ أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج زوجته، وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله: لا يحل لكم أن ترثوا النساء كَرْهًا . وله شاهد عن عكرمة عن ابن جابر.

وأخرج ابن أبي حاتم و الفريابي و الطبراني عن عدي بن ثابت عن رجل من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأنصار قال: تُوُفِّيَ أبو قيس بن الأسلت، وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنُه قيسٌ امرأَته، فقالت: إنما أَعُدّك ولدا من صالحي قومك. فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: ارجعي إلى بيتك. فنزلت هذه الآية: ولا تَنْكِحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القُرَظِيّ قال: كان الرجل إذا تُوُفِّيَ عن امرأته كان ابنه أحق بها: أن يَنْكِحها إن شاء إن لم تكن أُمّه، أو يُنْكِحها من شاء. فلما مات أبو قيس بن الأسلت قام ابنه محصن فورث نكاح امرأته ولم يورّثها من المال شيئًا. فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال: ارجعي لعل الله يُنْزِل فيك شيئًا. فنزلت هذه الآية: ولا تَنْكِحوا ما نكح آباؤكم من النساء. ونزلت: لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كَرْهًا... الآية. وأخرج أيضا عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في ناس من الأنصار: كان إذا مات الرجل منهم كان أملك الناس بامرأته وَلِيُّه فيمسكها حتى تموت".

"أخرج سعيد بن منصور عن شعبان عن عمرو بن دينار عن عكرمة أن عبد الله بن أبي كانت له أَمَتَان: مُسَيْكة ومُعَاذة، فكان يُكْرِههما على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الزنا . فقالت إحداهما: إن كان خيرا فقد استكثرتُ منه، وإن كان غير ذلك فإنه ينبغي أن أَدَعه. فأنزل الله: ولا تُكْرِهوا فتياتكم على البِغَاء . . . الآية" .

"أخرج الحاكم وصحَّحه عن عائشة قالت: تبارك الذي وَسِعَ سَمْعُه كلَّ شيء . إني لأسمع كلام خَوْلة بنت ثعلبة، ويَخْفَى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرتُ له بطني. حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهَرَ مني. اللهم أشكو إليك. فما برحتْ حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: "قد سَمِعَ الله قول التي تجادلك في زوجها"، وهو أوس بن الصامت" .

"أخرج أحمد و البزار و الحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير قال: قَدِمَتْ قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طَلَّقَها في الجاهلية، فقدمت على ابنتها بهدايا فأبت أن تقبلها منها أو تُدْخِلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أنْ: سَلِي عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرتْه، فأمرها أن تقبل هداياها وتُدْخِلها منزلها، فأنزل الله: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم" . . . الآية" .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا، ولا شك أن القراء يذكرون ما أشرتُ إليه فى هذه الدراسة من أن أسما بارلس ومثيلاتها لا يمكن أن يكنَّ بمنجاة من ضغوط المجتمع الغربى، ذلك المجتمع الذى فتح لهن ذراعيه مرحبا وأتاح لهن فرصة العيش والاندماج فيه وأسبغ عليهن الوظيفة الباهرة والوضع الاجتماعى البراق فى الوقت الذى لا يتمتعن بعناصر القوة اللازمة للوقوف فى وجه هذه الضغوط العاتية، إن لم يكنّ قد خضعن عن وعى واختيار كاملين لهذه الضغوط. فالآن تعالَوْا نقرأ التقرير التالى الذى وجدته على موقع "دُوِيتْشِهْ فِيلِهْ" الألمانى شاهدا على صحة ما قلتُه، وهو عن مؤتمر إسلامى نسائى انعقد فى مدينة كولونيا الألمانية فى يونيه 2008م بتنظيم وإشراف من إحدى المؤسسات الألمانية التى لا علاقة بينها وبين الإسلام إلا علاقة العداء له والتآمر ضده والرغبة فى القضاء عليه. وكان عنوان المؤتمر هو"قوة النساء في الإسلام: توجهات وإستراتيجيات نسائية للقرن الـ 21" . وفى ذلك التقرير كتبت الصحفية نيللى عزت: "كان هذا عنوان مؤتمر دولي اختتمت أعماله يوم 12 يونيو/ حزيران في مدينة كولونيا حيث قامت مؤسسة فردريش إيبرت الألمانية بتنظيم هذا المؤتمر بمشاركة عدد كبير من الشخصيات والمنظمات النسائية الإسلامية البارزة من مختلف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدول والخلفيات الثقافية. وناقش المؤتمر في جلساتٍ وورشِ عملٍ عدةَ محاور منها: فكرة احتكار الرجال لباب الاجتهاد والتفسير فيما يتعلق بالقرآن والسنة، وقضايا الشريعة الإسلامية ومدى مطابقتها لواقع العالم المعاصر، وحقوق المرأة المسلمة بإصلاح قوانين الأحوال الشخصية، والجدل حول الحجاب، وخاصة في تركيا.

الدكتورة أمينة ودود، أستاذة التاريخ الإسلامي بجامعة بيركيلي في الولايات المتحدة الأمريكية، دعت في المؤتمر المنظمات النسائية الإسلامية في العالم إلى كسر احتكار وهيمنة الرجل على باب الاجتهاد والتفسير في القرآن والسنة النبوية. وأشارت إلى أن الإسلام دين أنصف المرأة وأعطاها حقوقها، ولكن بعض الرجال ممن قاموا بتفسير القرآن جانبهم الصواب، وأَعْطَوْا أنفسهم الهيمنة على المرأة وقراراتها، وهو الأمر المخالف لطبيعة الإسلام السمحة، التي تعطي الحق للمرأة في تقرير مصيرها، مَثَلُها مَثَلُ الرجل. وعبرت ودود عن تمسكها في إيجاد سياقات من داخل الإسلام، وليس من خارجه، لتتناسب مع روح الحداثة في عالم اليوم. وقالت: "إننا كنساء نسعى للحصول على المساواة مع الرجل، سواء في اقتحام مجال التفسير والاجتهاد في القرآن أم في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحصول على حقوق أخرى، متمسكين (الصواب: "متمسكات") في الوقت نفسه بإسلامنا حيث إن الإسلام والمساواة أمران غير متضادين. فالإصلاح يأتي من داخل الإسلام وقيمه الحقيقية، وليس بالبعد عنه". ورأت أن النساء سابقا لم يكن لديهن الحق في الاشتراك في التفسيرات القرآنية، ولم يكن هناك أي مدرسة فقه نسائية، حيث كان الأمر حكرا على الرجال، ولكن لا بد لهذا الوضع أن يتغير الآن.

فعلي سبيل المثال عندما يتم السؤال عن سن الزواج يقول الرجل في تفسيره إن النبي محمد (الصواب: "محمدا") تزوج عائشة وهي في التاسعة من عمرها، ومن هنا يمكن الزواج بفتاة في مثل هذا العمر . ولكننا كنساء لدينا تفسير مختلف، ونقول للرجل: لا يمكنك ذلك لأننا كنا في الـ9 من عمرنا، ونعلم أن المرأة لا تكون مهيأة للزواج في هذا السن. وقالت: إننا كنساء أجدر بأمورنا الآن من أن نتركها للرجل، ويجب علينا تفسير الآيات المتعلقة بنا وإعطائها (الصواب: "وإعطاؤها") سياقا يتماشي مع العصر الحالي. وأكدت المحاضِرة في جامعة بيركيلي أنه لا بد من تعليم المرأة المسلمة وتثقيفها وتشجيعها على التفكير والاجتهاد. كما طالبت بضرورة سن قوانين تدعم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المساواة بين الجنسين في العالم الإسلامي، مُشِيدةً بقانون الأحوال الشخصية بالمغرب وعقد الزواج الجديد في مصر والذي يسمح للمرأة بوضع كافة شروطها على الرجل.

أسنا حسين من إندونيسيا طالبت في ورشة عمل بالمؤتمر حول الشريعة الإسلامية بضرورة التعمق أولا في اجتهادات وتفسيرات العلماء المختلفين قبل الدخول في تفسيرات جديدة حيث إن هناك علماء قاموا بتفسيرات مناسبة للعصر الحالي، ومنهم الزمخشري، وذلك حتى تستطيع النساء الركون إلي أرضية متميزة قبل الدخول في تفسيرات جديدة لنتعلم من مواطن الضعف والقوة في التفسيرات السابقة، بحسب قولها . وأضافت حسين أن مشكلات المرأة المسلمة لا تنبع كلها من الدين حيث إن معظمها يعود للأحوال الاقتصادية والسياسية السيئة في معظم الدول الإسلامية.

أما المحامية المغربية مليكه بن راضي فألقت الضوء بالمؤتمر على قانون الأحوال الشخصية الجديد بالمغرب، مطالبة بحاجة المجتمع العربي والإسلامي لتغيير نمط الثقافة والعادات السائد فيه تجاه وضع المرأة، وخاصة أن الدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلامي أعطي المرأة حريتها كاملة دون الاعتماد على الرجل، ولكن العادات والثقافة السائدة هما أسباب التأخر الذي تعانيه المرأة في العالم العربي.

كما ناقش المؤتمر أزمة الحجاب في تركيا . وتحدثت الدكتورة التركية أسيا باسيبيويك المتخصصة في العلوم السياسية بجامعة فيينا أن الحجاب لا يعدو قطعة بسيطة من القماش، ولكنْ نَسَجَ حولها الإعلامُ الغربي الكثير من القصص باعتبار الحجاب رمزا للتطرف والإسلام السياسي. وأكدت في حوار مع موقعنا أن المشكلة تكمن في هذا التعريف السيئ للحجاب والتي يكون الحل طبقا لهذا التعريف التخلص من الحجاب والفتيات المحجبات. ومن هنا ترى ضرورة إعادة تعريف الحجاب بوصفه حقيقة واقعة في دولة تركيا .

وقالت إن ما يحدث الآن في تركيا بمنع الحجاب في الجامعات يعد شيئًا سيئًا للغاية، وخاصة أن الإسلام جزء من تركيا بجانب كونها علمانية، فيعود ظهور الحجاب بوضوح في تركيا إلي فترة الثمانينات من القرن الماضي أثناء الهجرة من القرى للمدن التركية. وأضافت أن الغرب ينظر نظرة غير محايدة للحجاب، فهو لا يرتبط بتحرر المرأة لأن التحرر الحقيقي الذي تحتاجه المجتمعات الإسلامية هو حق المرأة في الانتخاب والتعليم والحرية في اختيار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ارتدائها الحجاب من عدمه. ولا بد أن يقف العالم الإسلامي والغربي بقوة وراء ذلك. كما طالبت بالوقوف في وجه أي رجل يفرض على المرأة ارتداء الحجاب أو خلعه رغما عنها باسم الإسلام لأن ذلك ليس من الإسلام في شيء".

وليلاحظ القارئ أن من الأسماء المدعوة إلى المؤتمر د. أمينة ودود، التى أمت الرجال فى الصلاة لأول مرة فى تاريخ الإسلام، اللهم إلا إذا صدقنا أبا الفرج الأصفهانى فيما قاله عن إمامة امرأة للرجال فى الصلاة طبقا لإحدى رواياته الماجنة التى لا يمكن أن يصدقها عقل، وبخاصة أن الأصفهانى معروف بالفحش والتدليس ولا يوقر شيئا ولا أحدا كما يشهد كتابه: "الأغانى"، الذى وردت فيه الرواية المذكورة. وكانت المرأة التى أمت الرجال فى الصلاة فى حالة سكرٍ بَيِّنٍ، وعليها غلالة شفافة تماما، فلما سجدت ترك المأمومون الماجنون الصلاة وهبوا يرقصون. والواقع أن فى الرواية، بغض النظر عن أنها رواية ماجنة بل مفحشة وكاذبة، درسا عظيما فيما نحن إزاءه، إذ ترينا على نحو عملى لا تمكن المماراة فيه ماذا يمكن أن يحدث عند إمامة المرأة للصلاة، مع تسليمى الكامل بأننا هنا أمام حكاية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مخترعة مفعمة بالفحش والمبالغة والتزيد . ذلك أن المغزى واضح تمام الوضوح رغم كل شيء . وهنيئًا لأمينة ودود أنْ كانت إمامة تلك المغنية صاحبة مطيع ورفاقه هى السابقة الوحيدة لما صنعته هى ومثيلاتها من النسويات المنتميات إلى الإسلام، إذ لو راحت تفتش التاريخ الإسلامى كله لتجد امرأة تؤم الرجال فى الصلاة لما وجدت إلا جاريتنا ذات الغلالة الشفافة التى ليس تحتها شيء !

وانظر كذلك إلى ودود كيف تبدى رغبتها العارمة فى إذلال الرجل، بقولها إننا نريد أن تفرض المرأة شروطها على الرجل. طيب، إذا كان الأمر كذلك فعلى الرجال أن يتيقظوا إذن وألا يعطوا المرأة الفرصة لنيل أى شيء ما دامت هذه هى نيتها . لو أن ودود قالت إننا نريد أن نخصع نحن الرجال والنساء لشرع الله لكانت مخلصة لقضية المرأة ولدينها على السواء . أما ما صرحت به فهو مخيف، إذ يصور العلاقة بين الجنسين على أنها معركة، وأنه ينبغى أن يكون النصر فيها للنساء لكى يُذِلْن الرجال ويمرغن أنوفهم فى الرَّغام ويفرضن شروطهن عليهم بوصفهن الغالبات، ويجعلنهم يمشون على العجين فلا يلخبطونه. وهذا إن لم يطلبن منهم أن يعملوا أمام الجمهور عجين الفلاحة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويفرّجن عليهم أمة محمد وعيسى وموسى وبوذا وكونفشيوس وزرادشت وسائر الأنبياء والمصلحين: الصادقين منهم والكاذبين أجمعين.

كذلك أرجو من القارئ أن يتنبه إلى ما قالته الأستاذة التركية أسيا باسيبيويك عن أنه لا يصح للرجل أن يفرض الحجاب على المرأة. ومرة أخرى لقد كان بمكنتها أن تقول بدلا من ذلك إنه يجب أن تتبع المرأة ما تأمرها به الشريعة فى هذا المضمار. ذلك أن الحجاب ليس شريعة الرجال، بل شريعة الله. لكنها قد أهبطته من هذا الأفق السامى إلى الأرض وجعلته تشريعا بشريا لا إلهيا كى يتسنى لها أن تبدى اعتراضها عليه. صحيح أنها أنكرت أيضا على الرجل أن يمنع المرأة من التحجب. لكن المهم أنها أشاعت الاضطراب فى الأمر كله بحيث تستطيع أن تسرّب فيه على نحو هادئ ماكر إنكارَها على الرجال دعوة نسائهم إلى التحجب، مستعينة فى ذلك بالغرب كما ألمحت. فهذا هو كل ما يهمها فى الأمر، أما الباقى فليس سوى ذَرٍّ للرماد فى العيون! ولكن ليس فى الأمر أية غرابة إذا ما استحضرنا ما قالته أمينة ودود حين عبرت عن تمسكها في إيجاد سياقات من داخل الإسلام، وليس من خارجه لتتناسب مع روح الحداثة في عالم اليوم. وهو ما يذكّرنا بما قاله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحد المبشرين من أنه ينبغى استخدام غصن من شجرة الإسلام فى صنع فأس يقطعون به تلك الشجرة ذاتها .

ترى هل جاء الإسلام ليسير خلف الحداثة الأمريكية بكل ما فيها من إلحاد وخمر وخنزير وعهر وشذوذ وغطرسة وعدوان على الأمم المستضعفة ونهب لثرواتها وتدمير لبيوتها ومدنها وقراها وتفتيت لدولها وتقتيل لرجالها ونسائها وأطفالها وحيوانها وتعضيد لمستبدّى حكامها ؟ أم هل جاء الإسلام ليقود هو ركب الحضارة؟ وأنا حين أقول هذا لا أستطيع أن أخالف ضميرى فأنكر على الحضارة الغربية ما فيها من وجوه النفع والفائدة، وهى كثيرة متعددة. إلا أن جوانب الضر فيها كبيرة أيضا، وكبيرة جدا، فضلا عن أن النفع الحقيقى والجوهرى لتلك الحضارة غير مسموح بتصديره إلى الأمم الأخرى. أما الإسلام فيخلو من شرور تلك الحضارة، التى هى، كما قلنا، كبيرة وكثيرة. وهنا أرجو ألا نخلط بين الإسلام والمسلمين: فالإسلام هو دين الله، الذى ينبغى أن يقود ولا يقاد، أما المسلمون فهم فى هذا الطور الحالى من تاريخهم قد بلغوا الحضيض بل وغاصوا فيما تحت الحضيض. وهم لا يقودون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يصلحون بوضعهم الحاضر للقيادة، وإلا فسد كل شيء فى أيديهم وانهار البناء الحضارى. لكن الإسلام شيء آخر تماما .

كذلك أحب أن أهدى الأستاذة التركية التى تناولت موضوع الحجاب، ومعها القراء الفضلاء، المقال التالى الذى بثته شبكة "فلسطين الـ 48" على المشباك (الإنترنت) لِيَرَوْا كيف تتصرف كلية ألمانية مُنْشَأَة فى بلاد العرب والمسلمين مع مدرّسة من مدرّساتها ارتدت الحجاب فهاجت إدارة الكلية وأبعدتها عن التدريس تمهيدا لفصلها . ولنلاحظ أنها كلية "ألمانية" كالمؤسسة "إياها" التى جمعت الأستاذة التركية وأمينة ودود وأشباههما فى مؤتمر لمناقشة بعض الشؤون الإسلامية النسائية. ونقرأ فى المقال: "أثار طَرْدُ مدير كلية شميدت للبنات في القدس نيكولاس كيرشر، المعلمة نادرة النمري (56 عاما) ومَنْعُها من مواصلة عملها بسبب ارتدائها الحجاب، حفيظةَ أهالي الطالبات وعدد من خريجات الكلية والمعلمات والطالبات حيث قام المدير وسكرتيرته باصطحاب المعلمة نادرة النمري، يوم السبت الماضي 22/ 5/ 2010 خلال أدائها لعملها، لغاية بوابة الكلية، وأبلغها أن السماح لها بمواصلة عملها مشروط بنزعها الحجاب. ويأتي ذلك بعد 27 عاما من العمل في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكلية. وقد شهدت ساحة كلية شميدت أمس الثلاثاء لأول مرة في تاريخ الكلية اعتصاما احتجاجيا من قِبَل أولياء الأمور وعدد من خريجات الكلية والمعلمات والطالبات للتعبير عن احتجاجهم على هذه الخطوة، والْتَقَوْا مع ممثل الجمعية الألمانية للأراضي المقدسة بيرند موسنجوف، الذي قال: "نحن لم نفصل المعلمة نادرة النمري، وإنما قلنا لها: اخرجي من المدرسة، بينما يقوم محامينا بدراسة الوضع".

وعندما شاهدت الطالبات معلمتهن نادرة النمري في ساحة المدرسة تعلقن بها وأخذن يبكين وطالبنها بالبقاء بالمدرسة وعدم تركها، فيما قالت إحدهن: "لماذا لا تطالب إدارة المدرسة الراهبات بخلع غطائهن كما طلبت من معلمتنا خلع حجابها ؟". وفي لقاء مع والد طالبتين بالكلية نبيل إزحيمان قال: "آسف للقرار الأخير الذي اتخذته المدرسة بإنهاء خدمات المعلمة نادرة النمري لمجرد قرار شخصي بارتداء الحجاب، لأن هذا القرار يشكل صفعة للدور التربوي الذي يجب أن يكون في مؤسسة تربوية، ويشكل عمليا إعدادا لمبادىء التسامح والتعددية وقبول الغير واحترام الديانات والقرارات الشخصية لأعضاء الهيئة التدريسية". وأضاف: "لقد توقعنا من مؤسسة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تربوية واجبُها زرعُ القيم الانسانية في طالباتها أن تكون هي المبادِرة في العمل بموجب هذه القيم. ولكن قرار المدرسة هذا يفهم منه أن هذه المدرسة لا تُكِنّ أي نوع من أنواع الاحترام لا للديانه الاسلامية ولا لقرارات المدرسات بلبس الزي الاسلامي". وتابع: "أنا أحترم الهوية الكاثوليكية للمدرسة. لذلك قررت أن أدخل بناتي للمدرسة بسبب هذه الهوية لإيماني السابق أن هذه المدرسة تقوم على مبادىء التسامح واحترام الغير. لكن هذا القرار الأخير يعيد الكاثوليكية إلى أيام محاكم التفتيش وإلى الأيام المظلمه في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، وهي ليست الكنيسة الكاثوليكية التي تنادي بالتسامح واحترام الغير والمساواة بين الأديان واحترام الحريات الشخصية".

وأوضح زحيمان أن مدير المدرسة لم يحضر التظاهرة، وآثر أن يبقى بمكتبه. وهي عبارة عن تظاهرة عفوية من الأهالي لاستنكار هذا القرار. ونأسف أن المدير لم يخرج لمقابلة المعتصمين والاستماع لرسالتهم، ولكن هذه الرسالة مهمة لإدارة المدرسة. وقال: "الرسالة اليوم صادرة عن أولياء أمور طالبات مسيحيين ومسلمين إلى إدارة المدرسة بضرورة احترام الحريات الشخصية والعمل بموجب المبادىء التي تقول إن الانسان بأفعاله وعقله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومهنيته، وليس بلبسه وشكله الخارجي" . وطالب إزحيمان بأن تحترم هذه المؤسسة أفراد الطاقم الأكاديمي والطالبات وأولياء أمورهن وقراراتهم الشخصية المتعلقة بلباسهم دون تفرقه على أساس ديني، وتماشيا مع هذا الاحترام إعادة المعلمة المقاله إلى وظيفتها . وأكد أن كثيرا من أولياء الأمور، وهو من بينهم، يفكرون جديا في حال بقيت المدرسة على قرارها ونهجها بالبحث عن مؤسسة أخرى تتلقى فيها بناتنا التعليم المبني على أسس التعددية والديمقراطية واحترام الغير والقيم الانسانية الأخرى.

وقالت والدة إحدى الطالبات: هذا القرار يعطي قيمة خاطئة للبنات، وهي التفرقة على أساس الدين وعدم احترام الحرية الشخصية، وتمرير مفهوم "ولا عُمْرِك تفكّري بارتداء المنديل" . وأضافت: "لقد شاركت اليوم في الاحتجاج من أجل ابنتي في المدرسة، والتأكيد أمامها على الحرية الشخصية والفكرية والدينية، لو حتى في النهاية اضطررت لإخراجها من المدرسة" .

وأشارت أن مدير المدرسة الحالي كيرشر كان مديرا لمدرسة شميدت في الاسكندرية، التي جميع طالباتها ومعلماتها متحجبات، وتساءلت: لماذا هناك يرتدون الحجاب، وهنا تُفْصَل معلّمة لارتدائها الحجاب؟ ونَوَّهَتْ أنه قبل مدةٍ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اعترض أولياء الأمور على بعض معلمات المدرسة أكاديميا، وكانت حجة المدير حينها: لا أقدر دفع التعويضات لهن. فلماذا تفصل المعلمة نادرة دون أن يكون ضدها أي اعتراض؟

أما القسيس إبراهيم عازر قال: "نحن هنا شعب واحد لا يوجد فرق بين الديانة المسيحية والاسلامية، ولكن يوجد قوانين للمؤسسات". وقالت جمانا ناصر الدين: "أنا خريجة المدرسة، وبناتي تخرجن من المدرسة، واتفاقية جنيف تقول: "ممنوع التمييز في العرق والدين ولون البشرة". وبهذا التصرف تخلق إدارة المدرسة تمييزا من ناحية دينية. ومن نواحي تربوية ممنوع التمييز. وهذا الإجراء يجسد التمييز وخَلْق شرخ بين مسلم ومسيحي". وأكدت أن الشعب الفلسطيني حاليا في مرحلة النضال، وهذا ليس الوقت لخلق هذا الشرخ. وخاطبت ممثل الجمعية الألمانية بيرند: "التاريخ يذكرنا بالصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه والعهدة العمرية، التي تُعَدّ عبرة لكل الأجيال". وقالت والدة إحدى الطالبات: "عندما حضرتُ للمدرسة لتسجيل ابنتي، ورغم أنني لا أرتدي الحجاب، ولكني شعرت بالاستفزاز من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبارة السكرتيرة عندما قالت لي: ممنوع أن تفكر ابنتك في المستقبل بارتداء الحجاب".

وكان قد عقد اجتماع بين مجلس أولياء الأمور ومدير المدرسة وممثل الجمعية الألمانية في الساعة الرابعة عصر أمس. وقد وعد الأخير بدراسة القرار وإعادة النظر بقرار إقصاء المعلمة. من ناحيته وعد المدير بعدم التصعيد، وأولياء الأمور التزموا بذلك أيضا. ولكنهم أكدوا أنه في حال إصرار المدير على فصل المعلمة نادرة النمري سيقوم الأهالي بتصعيد خطواتهم الاحتجاجية، في حين وزع مدير المدرسة أوراقا على المعلمين وطالبات المدرسة اليوم الأربعاء تصف الاعتصام التضامني الذي قام به أولياء أمور الطالبات بأنه تجمع غير قانوني، وسَبَّبَ عدم الراحة والإزعاج لسلام المدرسة.

وفي لقاء مع المعلمة نادرة النمري قالت: "لقد قضيت حياتي في التعليم لمدة 27 عاما، وهذا مصيري بدل تكريمي. نحن نحترم دينهم، فلماذا لا يحترمون ديننا؟ هذه عنصرية! أين الحرية الشخصية؟". وأضافت: "لم أتوقع أن يرفض المدير ارتدائي الحجاب. وقد شعرت بالصدمة لردة فعله، فلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أتخيل أن أعلّم الدين بدون الحجاب. وفي المدرسة يوجد راهبات، وأنا أحترمهن. وما جرى هو تدخل في ديني وعدم احترامي وديني، بينما خَرَّجْتُ الأجيال طوال ال 27 عاما. وقد عاصرتُ أربعة مدراء، وبين يوم وليلة يطردونني". وعبرت المعلمة نادرة بعد ارتدائها الحجاب بقولها: "الحمد لله. كثير مبسوطة ومرتاحة نفسيا. ومن سابع المستحيلات أن أنزع الحجاب. لو طَوَّبوا لي كلية شميدت مقابل نزع حجابي لن أنزعه". وأضافت: "أنا ما زلت مصرة على العودة للتعليم في كلية شميدت، ولكن بالزي الشرعي. وعليهم أن يحترموني ويحترموا ديني. وهذا تعصب عنصري، مع العلم أن كل غرفة بغرف المدرسة يوجد فيها صليب، ولكني لا أتدخل بذلك إطلاقا لأنها علاقة الانسان مع ربه. وليس من حقي التدخل بدينهم، وهم لا يحق لهم التدخل بديني". ويُذْكَر أن المعلمة نادرة النمري تعمل معلمة للغة العربية والدين منذ عام 1983 في كلية شميدت للبنات، وتعلّم الدين للصف الأول الابتدائي حتى الخامس، وتعلّم اللغة العربية للصف الرابع.

وقالت النمري: "لقد ارتديت الحجاب بإرادة ربنا، فقد اكتشفت بعد طوال هذه السنوات في تعليم الدين لطالبات من مرحلة الأول الابتدائي حتى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخامس أنني أعلّم الدين دون أن أطبّقه، والذي يطالب بارتداء الحجاب الشرعي". وأضافت: "في تاريخ 3/ 5/ 2010 اجتمعت مع مدير المدرسة نيكولاس كيرشر، وطلبت منه التخصص في تدريس الطالبات بتعليم الدين فقط دون اللغة العربية، وارتداء الحجاب، ولكنه عارض في البداية وقال إنه سيسأل الراهبات. وبعد أسبوع وبتاريخ 12/ 5/ 2010 رد المدير لي جواب الراهبات بالرفض، وقال لي: إذا أصريت على ارتداء الحجاب قدمي استقالتك".

وأضافت: "وبعد ذلك توجهتُ لمحامي، ورأى عقد العمل الموجود معي وقال لي: لا يوجد أي بند في العقد يمنعك من ارتداء الحجاب. حينها قررت يوم السبت الماضي الموافق 22/ 5/ 2010 ارتداء الحجاب. وعندما دخلت المدرسة فُوجِئَتِ الطالبات بارتدائي الحجاب، وقدمن لي التهاني لارتدائه والمعلمات، ثم أخذتُ الطالبات وتوجهتُ لصَفّي كالعادة. وبينما كنت في الصف آخذ الحضور والغياب حضرت السكرتيرة وطلبت مني الذهاب للمدير. وعندما دخلت عنده قال لي: لقد منعتك من ارتداء الحجاب. لماذا تلبسيه؟ إذا نزعتيه تتمكني من العمل في المدرسة. وخلال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجودي في المكتب وقعت على ورقة تفيد أنني سأرجع للتعليم في العام القادم. حينها قال لي المدير: لا يهم إذا وقعتيها . حينها قلت له: فإذاً أعطيني ورقة الفصل حتى أذهب. ولكنه طلب مني التوجه للمبنى الذي يوجد فيه الراهبة للحديث لها عن الأمر. ولكن عندما ذهبنا هناك لم تكن موجودة. وعندما تركتهم للتوجه لغرفة المعلمات من أجل أخذ أغراضي منعني المدير من ذلك وطلب مني الحضور لأخذها بعد الظهر، وأصر على عدم بقائي في المدرسة، ثم أوصلني والين خشرم حتى الباب الرئيسي للمدرسة. وأشارت النمري أن أولياء الأمور دَعَوْها للمشاركة في الاعتصام الذي نُظِّم أمس داخل المدرسة. وعندما وصلتِ المدرسة أخذت الطالبات بمعانقتها، وطلبن منها البقاء في المدرسة لتعليمهن. وبعد مغادرتها المدرسة لحقت بها الطالبات حتى منزلها، وطلبوا منها الرجوع للمدرسة" .

أما بالنسبة إلى ما دعت إليه أمينة ودود من تولى النساء عملية التفسير والفتاوى الفقهية دون الرجال وزعمها أن النساء لم يكن لهن فى الماضى مشاركات فى تفسير القرآن والكتابة فى الدراسات الدينية فيكفى أن يرجع الإنسان إلى كتاب ككتاب "أعلام النساء" لعمر رضا كحالة، وهو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتاب متاح لمن يريد الاطلاع عليه، فيطَّلع فى هذا الكتاب وحده على المئات بعد المئات من أسماء النساء المحدّثات، فضلا عن عدد غير قليل من الفقيهات والمفسرات كأسماء بنت أسد بن الفرات (ت250هـ)، التى اشتهرت برواية الحديث والفقه على رأى أهل العراق أصحاب أبى حنيفة، وأسماء بنت موسى الضجاعى اليمنية (ت 904هـ)، وكانت تقرأ كتب التفسير والحديث وتعظ النساء وتؤدبهن، وأَمَة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل المحاملى (ت 377هـ)، التى قرأت القراءات والفقه الشافعى والفرائض وغير ذلك من العلوم، وحفصة بنت سيرين (ت 101هـ)، واشتهرت بالعبادة والفقة وقراءة القرآن، وخديجة بنت القيم البغدادية (ت699هـ)، وكانت قارئة للقرآن فقيهة متفقهة فى الدين، وخديجة بنت محمد بن إبراهيم المقرى (ت 935هـ)، وكانت فقيهة ذات صلاح ودين، وخديجة بنت محمد بن أحمد الجوزجانى (ت272هـ)، وكانت فقيهة حنفية، وزينب، وهى فقيهة من فقيهات مكة اطلع حمزة فتح الله على مجلد فقهى من تأليفها فى مناسك الحج على المذاهب الأربعة (ت 1220هـ)، وزينب بنت أبى البركات البغدادية (ق 6هـ)، وقد درست الفقه والأدب، وزينب بنت أبى سلمة المخزومية، وكانت محدّثة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقيهة، وزينب بنت فاطمة بنت عباس البغدادى (ت 796هـ)، وكانت فقيهة فاضلة، وانتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر، وست الوزراء بنت محمد بن عبد الكريم بن عثمان (ت 736هـ)، وكانت متفقهة حنفية حفظت شيئًا كثيرا من فقه أبى حنيفة، وأم السلامة بنت أحمد بن كامل (ت 390هـ)، وكانت محدّثة فقيهة، وبنت صدر الدين العاملى (ت 1264هـ)، وكانت عالمة فقيهة لها تعليقة على شرح "اللمعة" فى الفقه، وطاهرة بنت أحمد بن يوسف الأزرق التنوخية (ت 436هـ)، وكانت محدّثة متفقهة، وعائشة بنت عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن الزجّاج، وروت كتاب"العزيزى فى غريب القرآن" للسجستانى، كما رُوِىَ عنها كتاب "فضائل القرآن" للبَجَلِىّ، وعائشة التيمورية (ت 1902م)، وقد أخذت الفقه على إبراهيم مؤنس مع تعلم عدد من العلوم والفنون الأخرى، وعائشة بنت على بن محمد بن عبد الله بن أبى الفتح (ت840هـ)، وكانت تطالع كتب الفقه، وعائشة بنت الفضل بن أحمد الكسائى (ت 529هـ)، وكانت محدّثة فقيهة، وبنت على المنشار العاملى (ت بعد 1031هـ)، وكانت عالمة فقيهة محدثة، وعمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصارية (ت98هـ)، وكانت محدثة فقيهة، وأم عيسى بنت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إبراهيم بن إسحاق الحربى (ت 328هـ)، وكانت تفتى فى الفقه، وفاطمة بنت أحمد بن على (ق 7هـ)، وقد أخذت عن أبيها كتابه فى الفقه: "مجمع البحرين"، وفاطمة بنت أحمد بن يحيى (ت 840هـ)، وكانت عالمة فقيهة تستنبط الأحكام الشرعية وتتباحث ووالدها فى مسائل فقهية، وفاطمة بنت أسعد الخليل (ق 13هـ)، وقد حفظت القرآن الكريم ودرست تفاسير جمة، وتلقت الفقه على أشهر علماء الشيعة، وفاطمة بنت عبد الله بن المتوكل على الله المطهر الحسنى (ت 910هـ)، وكانت تعارض زوجها الإمام المتوكل على الله يحيى بن شرف الدين فى"جامع الأصول"، وتشاركه فى حل المشكلات، وفاطمة بنت قايتباى العمرى (ت 892هـ)، وكانت تطالع التفسير والحديث، وفاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندى (ق 6هـ)، وكانت عالمة فقيهة أخذت العلم عن جملة من الفقهاء وتصدت للتدريس وألفت كتبا متعددة فى الفقه والحديث، وكان زوجها الكاسانى ربما هَمّ بالفتيا فترده إلى الصواب وتعرّفه وجه الخطإ فيرجع إلى قولها، وفاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبد الله العكبرى (ق8هـ)، وكانت عالمة فقيهة، وفاطمة بنت محمد بن مكى العاملى الجزينى (ق8هـ)، وكان أبوها يثنى عليها ويأمر النساء بالرجوع إليها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فى أحكام الحيض والصلاة ونحوها، وفاطمة النيسابورية (ت 323هـ)، وكان ذو النون المصرى يتعجب من فهمها للقرآن ويقول: إنها أستاذتى، وابنة فايز القرطبى (ت 446هـ)، وقد أخذت عن أبيها التفسير والشعر وغيرهما، وتعلمت القراءات السبع وجوَّدتها، ومريم بنت على بن عبد الرحمن الهورينية (ت871هـ)، وقد حفظت القرآن فى صغرها و"مختصر أبى شجاع" فى الفقه، وأخت المزنى صاحب الشافعى، وكانت تحضر مجالس الفقية الكبير، ونقل عنها الرافعى فى زكاة المعادن، ونفيسة بنت الحسن بن زيد بن على بن أبى طالب، وقد حفظت القرآن المجيد وتفسيره، ويُرْوَى أن الإمام الشافعى لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث، وأم هانئ بنت على الهورينى (و778هـ)، وقد حفظت كتبا فى الفقه كـ"مختصر أبى شجاع" وغيره، وهُجَيْمَة بنت حُيَىّ الأوصابية الدمشقية (ت 81هـ)، وكانت فقيهة كبيرة، وياسمينة السيراوندية (ت 502هـ)، وكانت من ربات الوعظ والإرشاد، وكانت تفسر القرآن الكريم، وأسماء بنت أسد بن الفرات (250)، وكانت مشتهرة برواية الحديث والفقه، وخديجة بنت سحنون بن سعيد التنوخى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ت270هـ)، وقد أخذت العلم عن أبيها حامل لواء مذهب مالك بالمغرب، واستفتاها نساء عصرها فى معضلات الدين.

ومن عصرنا نستطيع أن نذكر بكل فخرٍ السيدة الدكتورة عائشة عبد الرحمن، التى وضعت كتابين فى تفسير عدد من السور فأبدعت. ولم تكن تضع فى حسبانها واعتبارها سوى خدمة الإسلام والمسلمين لا الانصياع لجدول أعمال هذه الدولة الغربية أو تلك. وذلك فوق إتقانها العجيب للغة العربية وسيطرتها على أساليبها بخلاف نسوتنا المتأمركات اللاتى لا يعرفن لسان الضاد، أو لا يعرفنه معرفة تُذْكَر. وهناك الآن بعض نسوة مصريات يفسرن القرآن ويفتين فى الفقه على القنوات الفضائية وفى الصحف والمجلات. ويأتى على رأس النساء المفسرات جمعاوات بطبيعة الحال السيدة عائشة زوج النبى عليه السلام، فقد كانت فقيهة ومفسرة وراوية للحديث.

على أن يكون معلوما أن المرأة المسلمة فى العصور السابقة لم تكن تشارك فى الحياة العامة على نفس النطاق الواسع التى تشارك به الآن، ومن ثم لم تكن هناك مدارس فقهية نسائية كمدرسة مالك والشافعى وأبى حنيفة وابن حنيل وابن حزم. وبالمناسبة فعدد مؤسسى المدارس الفقهية بين الرجال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جد قليل، والباقون مجرد تابعين لهذا المذهب أو ذاك. فليس غريبا، ومشاركة المرأة فى الحياة العامة هى هذه، أن تكون مشاركتها فى مجال الفقه على ذلك النحو المحدود. كذلك لم تكن المرأة المسلمة فى تلك العصور تشعر بأية غضاضة فى أن تختص بتدبير أحوال البيت وتربية الأولاد والقيام على شؤون زوجها المنزلية، بل تَعُدّ ذلك مملكتها الحقيقية. كما كانت تعتز بإسلامها، ولا تجد فى نفسها عقدة نقص، ولا يدور فى رأسها ولا حتى فى وهمها المشاركة فى مؤتمرات مشبوهة تحاك فيها الخطط الجهنمية التى يراد بها استئصال الإسلام. ببساطة لأن الدول الإسلامية كانت من القوة والمنعة، والدول الغربية من الضعف والهوان، بحيث لا يمكن التفكير فى عقد مثل تلك المؤتمرات الشيطانية أصلا! ولم تكن المرأة المسلمة ترى فى شرائع الإسلام ما يمكن أن يحيك بسببه أى شىء بصدرها لأنها تؤمن أن تلك الشرائع من عند الله، وأن ما هو من عند الله لا يتسق أبدا مع ما هو من عند مَرَدَة الشياطين.

أما بالنسبة إلى ما سماه أصحاب المؤتمر بـ"احتكار الرجال لِبَاب الاجتهاد والتفسير فيما يتعلق بالقرآن والسنة" فقد سبق القول إن هؤلاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النسوة اللاتى يرفعن أصواتهن بالاحتجاج على الرجل لا يعرفن أن كثيرا من النساء المسلمات قديما كن يشاركن فى الفقه والتفسير والحديث كما رأينا بأنفسنا . ونحن على كل حال نُسَرّ سرورا عظيما باشتراك النساء مع شقائقهن الرجال فى تفسير القرآن، فهن قَدُّها وقُدُودٌ، ولكن بنفس الشروط التى ينبغى أن يراعيها الرجال. ذلك أن القيام بعملية التفسير والفتيا هو عمل يحتاج إلى التبحر فى العلم من لغة وبلاغة وتاريخ وحديث وقراءات وتفسير، فضلا عن العلوم الأخرى التى لا تتعلق بالقرآن والفقه تعلقا مباشرا، وهى كثيرة. ولا يكفى أن تلم الواحدة من هؤلاء ببعض ما يقال فى هذا المجال باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، و بخاصة من كتابات المستشرقين وغير المسلمين، حتى تظن أنها صارت قادرة على النهوض بهذا العبء الثقيل الجليل.

لقد لاحظتُ مثلا أن أسما بارلس لا ترجع عادة إلى الكتب العربية وهى تتحدث عن القرآن وتفسيره، بل إلى ما كُتِب عن هذه الكتب بالإنجليزية أو ما أُخِذ منها مترجَمًا إلى الإنجليزية. وهذا لا يكفى أبدا، إذ من أدراها أن فهم الكاتب الوسيط، وبالذات إذا كان مستشرقا أو مبشرا، قد أصاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحقيقة أو أنه قد صدق فى النقل والاستشهاد ؟ ثم كيف يصح أن يدور فى ذهن أمثالها، وهى بذلك المستوى، أن تفسر القرآن، أو أن تضع على الأقل المعايير التى ينبغى تفسيره على أساسها ؟ أما لالة بختيار، التى تصدت أو بالأحرى: طُلِبَ إليها أن تتصدى لتفسير القرآن فقد اعترض عليها بعض من حاوروها بأنها لا تحسن اللغة العربية، فكان جوابها أنها تتقن العربية القديمة، وأنها من ثم تستطيع أن تفسر القرآن. فتعالوا إلى ما قالته عن منهجها فى التفسير لنرى هل هى تقول الحق أو لا.

لقد ذكرت أن منهجها فى ترجمة القرآن الكريم يتلخص فى الاستعانة بمعجم "مَدّ القاموس" للمستشرق البريطانى إدوارد وليم لين لترجمة الآيات من خلال البحث عن معناها فى ذلك المعجم كلمة بعد كلمة بغية تقريب النص القرآنى إلى القارئ الإنجليزى المعاصر. فهل هذا يكفى أوّلاً؟ وهل هذا هو السبيل لدَرْك تلك الغاية ثانيا ؟ وللجواب عن السؤال الأول أقول بملء فمى إن ما ذكرت السيدة بختيار أنه هو المنهج الذى اعتمدته فى ترجمتها للقرآن المجيد لا يكفى بتاتا. ذلك أن الترجمة ليست نقل ألفاظ سائبة من لغة إلى لغة، بل الترجمة نقل النص كله متماسكا. والنص ليس كلمات مفردة فقط، بل هو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيضا عبارات وتراكيب وصور وظلال وشيات وإيقاعات وتناغمات وفقرات. إنه كلٌّ متكامل شديد التعقيد . . . فكيف بالله يكفى أن تضع أمامها معجم لين، مهما كانت عبقرية مؤلفه، وتنظر فيه معانى الكلمات القرآنية كلمة كلمة على انفراد، ثم تقول إنها قد قامت بترجمة النص القرآنى؟

ولعل القارئ لا يزال يذكر ما كتبته أسما بارلس (زميلة بختيار فى الاتجاه النسوى المعادى للرجال) حين انتقدت طريقة التفسير القديمة التى تقوم، كما قالت، على تناول الآيات آية أية دون محاولة ربط النصوص القرآنية ذات الموضوع الواحد معا . أفلا يرى أن ما اتهمت به بارلس أولئك المفسرين الفطاحل ظلما وعدوانا إنما يوجد فى الحقيقة لدى بختيار دونهم، وعلى أسوإ صورة؟ ثم إن لين ذو أسلوب قديم، ولا يمثل ما يكتبه إغراء للقارئ المعاصر لكى يمضى فى القراءة. وفوق هذا فما من معجم إلا وهو يَعِجّ بالعيوب ونواحى النقص التى لا بد من الاستعانة عليها بأكبر قدر من المعاجم الأخرى. وأنا مثلا، رغم أنى لا أتصدى لمهمةٍ مثل تلك التى تصدت لها بختيار أو أريدَ منها أن تتصدى لها لغرض فى نفس يعقوب، لأكدّس عندى مئات المعاجم الورقية والضوئية لهذا السبب، إذ كثيرا ما لا أجد طلبتى فى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحد القواميس فأبحث عنه فى قاموس آخر أو أكثر حتى أجد شفاء نفسى. فكيف تظن بختيار أن معجما واحدا يكفى لمهمتها تلك الثقيلة؟ على أن هذا لا يزال غير كافٍ، إذ يجب على المفسر أن يرجع إلى كتب اللغة من نحو وصرف، وإلى الأشعار الجاهلية والإسلامية، وإلى كتب الحديث والتفسير والبلاغة، وإلى كتب أسباب النزول. . . ولا ينبغى أن ننسى الاستعانة بالتراجم القرآنية السابقة حتى نعرف ماذا قال الآخرون فى هذه الآية أو تلك، وإلا أفتظن بختيار أنها بنت بَجْدَتها أو أنها أول من ترجم القرآن الكريم إلى غير العربية؟

ولنأخذ واحدا مما ضَرَبْتُه من أمثلة على طريقتها فى الترجمة، وهو كلمة "اضربوهن" فى قوله تعالى: "وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ"، التى تقول تعليقا عليها إنها لا تتصور أن الله، الذى تحبه كما تقول، يمكن أن يوافق على ضرب الزوجات، وإنها لهذا أخذت تبحث وتتقصى معانى تلك الكلمة حتى استطاعت، من خلال معجم لين، أن تضع يدها أخيرا على المعنى الصحيح الذى فات جميع المفسرين واللغويين على مدار الأربعة عشر قرنا الماضية، وهو "الذهاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعيدا"، بمعنى أنه إذا لم يفلح الوعظ ولا الهجر فى المضجع مع الزوجة الناشز فليذهب الزوج بعيدا عنها، وإن لم تحدد بختيار للأسف مدى ذلك البعد، وهو ما من شأنه أن يربكنا نحن الأزواج المؤذين الذين نريد أن نضرب زوجاتنا: أهو يا ترى ترك الزوج للمنزل والبحث عن فندق يقيم فيه أم البيات على الرصيف المجاور أم الذهاب إلى ألاسكا والعيش هناك مع الإسكيمو حتى يضمن أنه سيكون بمنجاة من النكد الذى تسوّد به زوجته عليه حياته والذى لا يستطيع أن يعمل لزوجته شيئا حياله غير أن يأكل بعضه بعضا قهرا وغما وغيظا ؟

إننا نقول: ضرب فلان فلانا، ونقصد أنه انهال عليه بالكف أو بالعصا مثلا. ونقول: ضرب فلان النقود، أى سَكَّها. ونقول: ضرب أخماسا لأسداس، والمعنى: تحير واضطرب. ونقول: ضرب فلان لفلان موعدا، يعنى: حدد وقتا للقائه. ونقول: ضرب الله على أذنيه، فيكون المقصود أنه أنامه نوما عميقا فلم يحس بشىء. ونقول: ضرب له طريقا، بمعنى شقه له. ونقول: ضُرِب فلان على الكَرَم، ومعناه أن الكرم طبيعة فيه وليس شيئا مكتسبا. وضُرِبَتْ على فلان الذلة، والمعنى: أحاطت الذلة به من كل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جانب فلا يقدر على التخلص منها . ونقول: ضُرِبَتْ عليه الجزية، أى فُرِضَتْ. ونقول: ضرب الفحل الناقة: لقّحها . ونقول: ضرب فلان الخيمة، بمعنى: نصبها . ونقول: ضرب فلان عن فلان صَفْحًا، والمعنى: انصرف عنه أو أهمله. ونقول: ضرب فلان لفلان سهما فى ثروته، أى خصص له نصيبا منها . ونقول: ضرب فلان فى سبيل الله: جاهد . ونقول: ضرب الدهر بين فلان وفلان: فرّقهما . وكذلك نقول: ضَرَب فلان فى الأرض، والمقصود ارتحل وذهب بعيدا . . . إلخ. وهذا هو المعنى الذى أخذت به بختيار من بين كل تلك المعانى وغيرها لترجمة قوله تعالى: "واضربوهن" .فهل هذه ترجمة صحيحة؟ هل قولنا: "اضرب فلانا يا فلان" معناه: اتركه واذهب بعيدا عنه؟ الحق أن هذا هو الهزل بل الدجل بعينه، إذ إن ذلك المعنى لا يأتى من كلمة "ضرب" وحدها، بل من عبارة "ضرب فى الأرض" كلها . أما "ضرب فلان فلانا" فلا يمكن أن يكون له معنى غير أنه قرعه بيده أو بعصا مثلا. وقد ترجم لين فى معجمه المذكور هذا الفعل مجردا بـ" strike, beat, smite, hit"، وهو نفس ما قلناه. ولو كانت اللغات تؤخذ بتلك الطريقة التى تمشى عليها السيدة بختيار فقُلْ على الترجمة السلام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم كيف يدل قوله: "اضربوهن" على الذهاب بعيدا ؟ إن لدينا فى الآية الكريمة فعلا متعديا ومفعولا هو الضمير "هُنَّ" العائد على الزوجات. ومعنى هذا أن الضرب يقع على الزوجات. فكيف يكون المعنى: اذهبوا بعيدا ؟ لو كان قد قيل مثلا: "اضربوا عنهن" لأمكن التمحل والقول بأن أصل الكلام: "اضربوا فى الأرض بعيدا عنهن" بعدما حُذِف منه شبه جملة "فى الأرض"، أو أنه "اضربوا عنهن صفحا" بمعنى: لا تبالوا بما يفعلنه واصفحوا عنهن. أمّا وهناك مفعول به مباشر فالمعنى: اضربوهن الضرب المعروف وآلموهن عقابا لهن على نشوزهن وعدم رجوعهن عن أسلوب العناد والتنكيد دون داع بعدما نصحتم وهجرتم فى المضجع وصبرتم وصابرتم، ولم يبق أمامكم إلا أن تطقّوا من أجنابكم أو تشعلوا النار فى أنفسكم. أما لالة بختيار أو من كتب لها الترجمة فيخلط بين عَيّوشة وأم الخير، وهو ما لا يصح ولا يصلح. وإلا فَلْتُرِنا هى أو هو أو هم شاهدا من لغة العرب على أن "ضرب فلان فلانا" معناها: "ذهب بعيدا".

كذلك فسبب نزول الآية يدل على أن المعنى الذى رفضته لالة بختيار هو المعنى الصحيح. جاء فى"أسباب النزول" للواحدى: "وَقَدْ رُوِيَ عَنْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُقَاتِلٍ فِي سَبَبِ نُزُولِ الآيَةِ فِي سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ مِنَ النُّقَبَاءِ، وَفِي امْرَأَتِهِ حَبِيبَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ. وَذَلِكَ أَنَّهَا نَشَزَتْ عَلَيْهِ فَلَطَمَهَا، فَانْطَلَقَ أَبُوهَا مَعَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَ: أَفْرَشْتُهُ كَرِيمَتِي فَلَطَمَهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِتَقْتَصَّ مِنْ زَوْجِهَا. فَانْصَرَفَتْ مَعَ أَبِيهَا لِتَقْتَصَّ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ارْجِعُوا. هَذَا جِبْرَائِيلُ أَتَانِي، وَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ. فَتَلاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: أَرَدْنَا أَمْرًا، وَأَرَادَ اللهُ أَمْرًا. وَالَّذِي أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى خَيْرٌ". وفى"أسباب النزول" للسيوطى: "أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: جاءت المرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القِصَاص. فأنزل الله "الرجال قوامون على النساء... الآية". وأخرج ابن جرير من طريق عن الحسن، وفي بعضها أن رجلا من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القِصَاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص، فنزلت "ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وَحْيُه"، ونزلت "الرجال قوّامون على النساء". وأخرج نحوه عن ابن جريج و السُّدّيّ.

وأخرج ابن مردويه عن علي قال: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأنصار بامرأة له فقالت: يا رسول الله، إنه ضربني فأثر في وجهي. فقال رسول الله: ليس له ذلك. فأنزل الله "الرجال قوامون على النساء . . . الآية". فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضا".

ولى هنا تعليق سريع، إذ لا أظن القراء الكرام قد نَسُوا بعدُ ما قالته أسما بارلس من أن التشريعات القرآنية الخاصة بالنساء قد رُوعِيَ فيها أنها تخاطب مجتمعا ذكوريا، ومن ثم لم تكن هى التشريعات المثالية، على أساس أن المجتمع لم يكن قد نضج بما فيه الكفاية كى تنزل التشريعات النهائية. وتعليقى هو أن علينا، بناء على هذا الزعم، النظر إلى موقف الرسول من ضرب الصحابى المذكور لزوجته على أنه متقدم على موقف الله بخطوة أو أكثر، إذ لم يراع صلى الله عليه وسلم أوضاع المجتمع العربى البدوى فى القرن السابع الميلادى وآثر أن يكون التشريع حاسما ونهائيا لولا أن جبريل قد نزل بتشريع يراعى تلك الأوضاع ويجحف بحق المرأة حبتين أو ثلاث حبات إلى حين، وبخاصة أنه عليه السلام قد أعلن أنه لا يحب أن يسارع الرجال إلى ضرب زوجاتهم كما سيتضح بعد قليل. أيعقل هذا ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والغريب أن إحدى النسويات المنتسبات إلى الإسلام، وهى الباكستانية رفعت حسن، تزعم أن الاستعانة بالأحاديث النبوية فى تفسير القرآن قد أدت إلى الإجحاف بحق النساء وإيقاع الظلم بهن. نعم من الغريب جدا أن تقول هذا بعدما رأينا مدى العطف النبيل والاحترام الراقى لحقوق المرأة: أُمًّا وبنتًا وزوجةً من قِبَل الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام. ذكرتْ هذا زميلتها فى الجنسية الباكستانية والنزعة النسوية أسما بارلس فى ص 259–260 من الفصل الذى عقدته لهذا الموضوع بعنوان " Women"s readings of the Quran" فى كتاب " The Cambridge Companion to the Quran". وهذه عبارة بارلس فى نصها الإنجليزى: " According to Hassan, it is the customary Muslim practice of interpreting the Quran by way of the the hadith…, that leads to misogynistic interpretation".

كذلك من الأدلة على صحة هذا المعنى بل على أنه هو وحده التفسير الصحيح ما ورد عن النبى فى هذا الموضوع، إذ نصح المسلمين بقوله: "ألا عسى أحدكم أن يضرب امرأته ضرب الأَمَة؟ ألا خَيْرُكم خَيْرُكم لأهله"، "أَمَا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَسْتَحِي أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْرِبَ امْرَأَتَهُ كَمَا يَضْرِبُ الْعَبْدَ: يَضْرِبُهَا أَوَّلَ النَّهَارِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا آخِرَهُ؟". وليس هناك تناقض بين القرآن والحديث: فالقرآن إنما جوّز الضرب ولم يوجبه. وفرقٌ بين تجويز الشيء وجعله واجبا مفروضا: هذا أولا. وثانيا أن القرآن حين شرع الضرب إنما شرعه بعد استنفاد كل الأساليب الأخرى من وعظ ومخاصمة وما إلى ذلك. فماذا يفعل الرجل بعد هذا كله؟ أما إذا كانت المرأة لا تريد أن تعامَل بهذه الطريقة فهذا حقها، ولكن عليها ألا تنشز على زوجها أو أن تخلع نفسها منه. ومن ناحيته هو فإما أن يقبل التعايش معها على نشوزها وعدم رجوعها عن العصيان الذى لا مسوغ له، وإما أن يطلقها. وإذا آثرت هى الخلع أو الطلاق على أن يؤدبها زوجها فى حالة نشوزها فهى وما اختارت. أما الحديث فيوضح للمسلمين أن تجويز الضرب ليس معناه أنه هو الحل الأمثل، بل عليهم أن يعرفوا أنه لا يُلْجَأ إليه إلا عند الضرورة القصوى وأنه كالطلاق: بغيض رغم مشروعيته.

وفى تفسير"المنار" يقول الشيخ رشيد رضا رغم كراهيته للضرب من ناحية المبدإ: "يَسْتَكْبِرُ بَعْضُ مُقَلِّدَةِ الإِفْرِنْجِ فِي آدَابِهِمْ مِنَّا مَشْرُوعِيَّةَ ضَرْبِ الْمَرْأَةِ النَّاشِزِ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ أَنْ تَنْشُزَ وَتَتَرَفَّعَ عَلَيْهِ، فَتَجْعَلَهُ وَهُوَ رَئِيسُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْبَيْتِ مَرْءُوسًا بَلْ مُحْتَقَرًا، وَتُصِرُّ عَلَى نُشُوزِهَا حَتَّى لا تَلِينَ لِوَعْظِهِ وَنُصْحِهِ، وَلا تُبَالِيَ بِإِعْرَاضِهِ وَهَجْرِهِ. وَلا أَدْرِي بِمَ يُعَالِجُونَ هَؤُلاءِ النَّوَاشِزَ؟ وَبِمَ يُشِيرُونَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ أَنْ يُعَامِلُوهُنَّ بِهِ؟ لَعَلَّهُمْ يَتَخَيَّلُونَ امْرَأَةً ضَعِيفَةً نَحِيفَةً، مُهَذَّبَةً أَدِيبَةً يَبْغِي عَلَيْهَا رَجُلٌ فَظٌّ غَلِيظٌ، فَيُطْعِمُ سَوْطَهُ مِنْ لَحْمِهَا الْغَرِيضِ، وَيَسْقِيهِ مِنْ دَمِهَا الْعَبِيطِ، وَيَزْعُمُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَبَاحَ لَهُ مِثْلَ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الضَّرْبِ، وَإِنْ تَجَرَّمَ وَتَجَنَّى عَلَيْهَا وَلا ذَنْبَ، كَمَا يَقَعُ كَثِيرًا مِنْ غِلاظِ الأَكْبَادِ مُتَحَجِّرِي الطِّبَاعِ. وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ يَأْذَنَ بِمِثْلِ هَذَا الظُّلْمِ أَوْ يَرْضَى بِهِ. إِنَّ مِنَ الرِّجَالِ الْجَعْظَرِيَّ الْجَوَّاظَ الَّذِي يَظْلِمُ الْمَرْأَةَ بِمَحْضِ الْعُدْوَانِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي وَصِيَّةِ أَمْثَالِهِمْ بِالنِّسَاءِ كَثِيرٌ مِنَ الأَحَادِيثِ. وَيَأْتِي فِي حَقِّهِمْ مَا جَاءَتْ بِهِ الآيَةُ مِنَ التَّحْكِيمِ. وَإِنَّ مِنَ النِّسَاءِ الْفَوَارِكَ الْمَنَاشِيصَ الْمُفَسِّلاتِ اللَّوَاتِي يَمْقُتْنَ أَزْوَاجَهُنَّ، وَيَكْفُرْنَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِنَّ، وَيَنْشُزْنَ عَلَيْهِمْ صَلَفًا وَعِنَادًا، وَيُكَلِّفْنَهُمْ مَا لا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، فَأَيُّ فَسَادٍ يَقَعُ فِي الأَرْضِ إِذَا أُبِيحَ لِلرَّجُلِ التَّقِيِّ الْفَاضِلِ أَنْ يُخَفِّضَ مِنْ صَلَفِ إِحْدَاهِنَّ وَيُدَهْوِرَهَا مِنْ نَشَزِ غُرُورِهَا بِسِوَاكٍ يَضْرِبُ بِهِ يَدَهَا أَوْ كَفٍّ يَهْوِي بِهَا عَلَى رَقَبَتِهَا؟ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَئِمَّتِهِمُ الإِفْرِنْجِ يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمُ الْعَالِمَاتِ الْمُهَذَّبَاتِ وَالْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ الْمَائِلاتِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْمُمِيلاتِ. فَعَلَ هَذَا حُكَمَاؤُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، وَمُلُوكُهُمْ وَأُمَرَاؤُهُمْ، فَهُوَ ضَرُورَةٌ لا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْغَالُونَ فِي تَكْرِيمِ أُولَئِكَ النِّسَاءِ الْمُتَعَلِّمَاتِ، فَكَيْفَ تُسْتَنْكَرُ إِبَاحَتُهُ لِلضَّرُورَةِ فِي دِينٍ عَامٍّ لِلْبَدْوِ وَالْحَضَرِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْبَشَرِ؟

الأُسْتَاذُ الإِمَامُ: إِنَّ مَشْرُوعِيَّةَ ضَرْبِ النِّسَاءِ لَيْسَتْ بِالأَمْرِ الْمُسْتَنْكَرِ فِي الْعَقْلِ أَوِ الْفِطْرَةِ فَيَحْتَاجُ إِلَى التَّأْوِيلِ، فَهُوَ أَمْرٌ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي حَالِ فَسَادِ الْبِيئَةِ وَغَلَبَةِ الأَخْلاقِ الْفَاسِدَةِ. وَإِنَّمَا يُبَاحُ إِذَا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ رُجُوعَ الْمَرْأَةِ عَنْ نُشُوزِهَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ. وَإِذَا صَلَحَتِ الْبِيئَةُ، وَصَارَ النِّسَاءُ يَعْقِلْنَ النَّصِيحَةَ وَيَسْتَجِبْنَ لِلْوَعْظِ أَوْ يَزْدَجِرْنَ بِالْهَجْرِ، فَيَجِبُ الاسْتِغْنَاءُ عَنِ الضَّرْبِ. فَلِكُلِّ حَالٍ حُكْمٌ يُنَاسِبُهَا فِي الشَّرْعِ. وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ بِالرِّفْقِ بِالنِّسَاءِ وَاجْتِنَابِ ظُلْمِهِنَّ وَإِمْسَاكِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ تَسْرِيحِهِنَّ بِإِحْسَانٍ. وَالأَحَادِيثُ فِي الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ كَثِيرَةٌ جِدًّا".

وإذا كان لى فى هذا السياق من شىء أضيفه فهو رغبتى فى تأكيد ما قاله الشيخ رشيد رضا من أن الغربيين: كبارهم وعامتهم يضربون نساءهم. لكن المصيبة أنه حين يقع هذا من مسلم نراهم يقيمون الدنيا ويقعدونها ويأتون إلى هذه الآية ويقولون فيها البدَع. وهو نفاق لئيم أثيم. إن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الضرب موجود فى كل الأمم، ولدى أتباع كل الأديان، لكنه فى الإسلام لم يُشْرَع إلا للمرأة التى أوصلت زوجها إلى حالة لا تطاق بحيث لم يعد هناك إلا التفكير فى الطلاق. والضرب على كل حال يكون للتأديب لا للإهانة والتحقير. وهو إن كان لا بد منه فليكن ضربا غير مبرح. وقد جاء فى تفسير الطبرى لتلك الآية: "يعني بذلك جلّ ثناؤه: فعِظُوهنّ أيها الرجال في نشوزهنّ، فإن أَبَيْنَ الإياب إلى ما يلزمهنّ لكم فشُدّوهنّ وثاقا في منازلهنّ، واضربوهنّ ليَؤُبْنَ إلى الواجب عليهنّ من طاعة الله في اللازم لهنّ من حقوقكم. وقال أهل التأويل: صفة الضرب التي أباح الله لزوج الناشز أن يضربها الضرب غير المبرّح. . . حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: "وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ"، قال: تهجرها في المضجع. فإن أقبلت، وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضربا غير مبرّح ولا تكسر لها عظما. فإن أقبلت، وإلا فقد حلّ لك منها الفدية". فلتختر المرأة ما تحب، وهى حرة فى اختيارها. وأيًا ما يكن موقفنا من الضرب فإن ما صنعته لالة بختيار فى ترجمة الآية هو خطأ أبلق لا يمكن قبوله أبدا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبالنسبة إلى من يعملون على إيهام القراء أن ضرب المرأة لا يوجد إلا في بلاد المسلمين وأنه يقع عَمَّالاً على بَطَّال نسوق إليهم هذه السطور التى اقتطفتها من مقال بعنوان "من صور تكريم الإسلام للمرأة" للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، المشرف العام على موقع "دعوة الإسلام" (www.toislam.net). يقول الكاتب إن "الذين يُولَعُون بالغرب ويُوَلَّون وجوههم شَطْرَه يوحون إلينا أن نساء الغرب ينعمن بالسعادة العظمى مع أزواجهن. ولكن الحقيقة الماثلة للعيان تقول غير ذلك. فتعالوا نطالع الإحصاءات التي تدل على وحشية الآخرين الذين يرمون المسلمين بالوحشية:

أ- نشرت مجلة "التايم" الأمريكية أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث من جانب الزوج كل عام، وأنه من ألفين إلى أربعة آلاف امرأة يتعرضن لضرب يؤدي إلى الموت، وأن رجال الشرطة يقضون ثلث وقتهم للرد على مكالمات حوادث العنف المنزلي (انظر "دور المرأة المسلمة في المجتمع"/ إعداد لجنة المؤتمر النسائي الأول ص 45). ب- ونشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام 1979م أن 40% من حوادث قتل النساء تحدث بسبب المشكلات الأسرية، وأن 25% من محاولات الانتحار التي تُقْدم عليها الزوجات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يسبقها نزاع عائلي (انظر "دور المرأة المسلمة في المجتمع" ص46) . ج- دراسة أمريكية جرت في عام 1407هـ- 1987م أشارت إلى أن 79% يقومون بضرب النساء، وبخاصة إذا كانوا متزوجين بهن. وكانت الدراسة قد اعتمدت على استفتاء أجراه د.جون بيرير الأستاذ المساعد لعلم النفس في جامعة كارولينا الجنوبية بين عدد من طلبته. وقد أشارت الدراسة إلى أن استعداد الرجال لضرب زوجاتهم عالٍ جدا، فإذا كان هذا بين طلبة الجامعة فكيف بمن هو دونهم تعليما ؟ د- وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسية جاء أن 17% من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء، وأن 83% دخلن المستشفيات سابقا مرة على الأقل للعلاج من جروح وكدمات أُصِبْنَ بها كان دخولهن نتيجة الضرب. وقال إفان ستارك مُعِدُّ هذه الدراسة التي فحصت 1360 سجلا للنساء: إن ضرب النساء في أمريكا ربما كان أكثر الأسباب شيوعا للجروح التي تصاب بها النساء، وإنها تفوق ما يلحق بهن من أذى نتيجة حوادث السيارات والسرقة والاغتصاب مجتمعة. وقالت جانيس مور، وهي منسقة في منظمة الائتلاف الوطني ضد العنف المنزلي ومقرها واشنطن: إن هذه المأساة المرعبة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وصلت إلى حد هائل، فالأزواج يضربون نساءهم في سائر أنحاء الولايات المتحدة، مما يؤدي إلى دخول عشرات منهن إلى المستشفيات للعلاج.

وأضافت بأن نوعية الإصابات تتراوح ما بين كدمات سوداء حول العينين، وكسور في العظام، وحروق وجروح، وطعن بالسكين، وجروح الطلقات النارية، وما بين ضربات أخرى بالكراسي والسكاكين والقضبان المحمَّاة.

وأشارت إلى أن الأمر المرعب هو أن هناك نساء أكثر يُصَبْن بجروح وأذى على أيدي أزواجهن، ولكنهن لا يذهبن إلى المستشفى طلبا للعلاج، بل يُضَمِّدن جراحهن في المنزل. وقالت جانيس مور: إننا نقدّر بأن عدد النساء اللواتي يُضْرَبْن في بيوتهن كل عام يصل إلى ستة ملايين امرأة. وقد جمعنا معلومات من ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية، ومن مئات الملاجئ التي توفر المأوى للنساء الهاربات من عنف وضرب أزواجهن (انظر "من أجل تحريرٍ حقيقيٍّ" ص 16– 21. وانظر "المجتمع العاري بالوثائق والأرقام" ص56– 57). هـ – وجاء في كتاب "ماذا يريدون من المرأة؟" لعبدالسلام البسيوني (ص 36–66) ما يلي: –ضرب الزوجات في اليابان هو السبب الثاني من أسباب الطلاق. – 772 امرأة قتلهن أزواجهن في مدينة ساوباولو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البرازيلية وحدها عام 1980م. -يتعرض ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين من الأمريكيات للإهانة المختلفة من أزواجهن وعشاقهن سنويا. -أشارت دراسة كندية اجتماعية إلى أن ربع النساء هناك، أي أكثر من ثمانية ملايين امرأة، يتعرضن لسوء المعاملة كل عام. -في بريطانيا تستقبل شرطة لندن وحدها مائة ألف مكالمة سنويا من نساء يضربهن أزواجهن على مدار السنين الخمس عشرة الماضية. -تتعرض امرأة لسوء المعاملة في أمريكا كل ثماني ثوان. -مائة ألف ألمانية يضربهن أزواجهن سنويا، ومليونا فرنسية. - 60% من الدعوات الهاتفية التي تتلقاها شرطة النجدة في باريس أثناء الليل هي نداءات استغاثة من نساءٍ تُسَاء معاملتهن".

وفى"ظلال القرآن" للأستاذ سيد قطب أن الخطوات الثلاث: الوعظ والهجر فى المضجع والضرب قد "شُرِعَتْ كإجراء وقائي عند خوف النشوز، للمبادرة بإصلاح النفوس والأوضاع لا لزيادة إفساد القلوب وملئها بالبغض والحنق أو بالمذلة والرضوخ الكظيم! إنها أبدا ليست معركة بين الرجل والمرأة يراد لها بهذه الإجراءات تحطيم رأس المرأة حين تَهِمّ بالنشوز، وردها إلى السلسلة كالكلب المسجور! إن هذا قطعا ليس هو الإسلام. إنما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو تقاليد بيئية في بعض الأزمان نشأت مع هوان "الإنسان" كله لا هوان شطر منه بعينه. فأما حين يكون هو الإسلام فالأمر مختلف جدا في الشكل والصورة. وفي الهدف والغاية:

"واللاتي تخافون نشوزهن فعِظُوهن". هذا هو الإجراء الأول: الموعظة، وهذا هو أول واجبات القَيّم ورب الأسرة. عمل تهذيبي مطلوب منه في كل حالة: "يا أيها الذين آمنوا، قُوا أنفسَكم وأهليكم نارا وَقُودُها الناسُ والحجارة". ولكنه في هذه الحالة بالذات يتجه اتجاها معينا لهدف معين هو علاج أعراض النشوز قبل أن تستفحل وتستعلن. ولكن العظة قد لا تنفع لأن هناك هوى غالبا أو انفعالا جامحا أو استعلاء بجمال أو بمال أو بمركز عائلي أو بأي قيمة من القيم. تنسي الزوجة أنها شريكة في مؤسسة، وليست نِدًّا في صراع أو مجال افتخار! هنا يجيء الإجراء الثاني: حركة استعلاء نفسية من الرجل على كل ما تُدِلّ به المرأة من جمال وجاذبية أو قيم أخرى ترفع بها ذاتها عن ذاته، أو عن مكان الشريك في مؤسسة عليها قوامة: "واهجروهن في المضاجع". و"المضجع" موضع الإغراء والجاذبية التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها. فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها، وكانت في الغالب أميل إلى التراجع والملاينة أمام هذا الصمود من رجلها، وأمام بروز خاصية قوة الإرادة والشخصية فيه في أحرج مواضعها ! على أن هناك أدبا معينا في هذا الإجراء، إجراء الهجر في المضاجع، وهو ألا يكون هجرا ظاهرا في غير مكان خلوة الزوجين. لا يكون هجرا أمام الأطفال يورث نفوسهم شرا وفسادا، ولا هجرا أمام الغرباء يذل الزوجة أو يستثير كرامتها، فتزداد نشوزاً . فالمقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة ولا إفساد الأطفال ! وكلا الهدفين يبدو أنه مقصود من هذا الإجراء . ولكن هذه الخطوة قد لا تفلح كذلك. فهل تُترَك المؤسسة تتحطم؟

إن هناك إجراء، ولو أنه أعنف، ولكنه أهون وأصغر من تحطيم المؤسسة كلها بالنشوز: "واضربوهن" . واستصحاب المعاني السابقة كلها، واستصحاب الهدف من هذه الإجراءات كلها، يمنع أن يكون هذا الضرب تعذيبا للانتقام والتشفي، ويمنع أن يكون إهانة للإذلال والتحقير، ويمنع أن يكون أيضا للقسر والإرغام على معيشة لا ترضاها، ويحدد أن يكون ضرب تأديب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصحوب بعاطفة المؤدب المربي كما يزاوله الأب مع أبنائه، وكما يزاوله المربي مع تلميذه.

ومعروف بالضرورة أن هذه الإجراءات كلها لا موضع لها في حالة الوفاق بين الشريكين في المؤسسة الخطيرة، وإنما هي لمواجهة خطر الفساد والتصدع. فهي لا تكون إلا وهناك انحرافٌ ما هو الذي تعالجه هذه الإجراءات. وحين لا تجدي الموعظة، ولا يجدي الهجر في المضاجع، لا بد أن يكون هذا الانحراف من نوع آخر، ومن مستوى آخر، لا تجدي فيه الوسائل الأخرى. وقد تجدي فيه هذه الوسيلة! وشواهد الواقع والملاحظات النفسية على بعض أنواع الانحراف تقول: إن هذه الوسيلة تكون أنسب الوسائل لإشباع انحراف نفسي معين وإصلاح سلوك صاحبه وإرضائه في الوقت ذاته! على أنه من غير أن يكون هناك هذا الانحراف المرضي الذي يعيّنه علم النفس التحليلي بالاسم، إذ نحن لا نأخذ تقريرات علم النفس مسلمات "علمية"، فهو لم يصبح بعد "علما" بالمعنى العلمي، كما يقول الدكتور" ألكسيس كاريل"، فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب نَفْسُها أن تجعله قيّما وترضى به زوجا إلا حين يقهرها عضليا! وليست هذه طبيعة كل امرأة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن هذا الصنف من النساء موجود، وهو الذي قد يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة ليستقيمَ ويُبْقِيَ على المؤسسة الخطيرة في سلم وطمأنينة!

وعلى أية حال فالذي يقرر هذه الإجراءات هو الذي خَلَق، وهو أعلم بمن خلق. وكل جدال بعد قول العليم الخبير مهاترة، وكل تمرد على اختيار الخالق وعدم تسليم به مُفْضٍ إلى الخروج من مجال الإيمان كله. وهو سبحانه يقررها في جو وفي ملابسات تحدد صفتها، وتحدد النية المصاحبة لها، وتحدد الغاية من ورائها بحيث لا يُحْسَب على منهج الله تلك المفهومات الخاطئة للناس في عهود الجاهلية حين يتحول الرجل جلاّدا باسم الدين، وتتحول المرأة رقيقا باسم الدين، أو حين يتحول الرجل امرأة، وتتحول المرأة رجلا، أو يتحول كلاهما إلى صنف ثالث مائع بين الرجل والمرأة باسم التطور في فهم الدين. فهذه كلها أوضاع لا يصعب تمييزها عن الإسلام الصحيح ومقتضياته في نفوس المؤمنين!

وقد أبيحت هذه الإجراءات لمعالجة أعراض النشوز قبل استفحالها، وأحيطت بالتحذيرات من سوء استعمالها فور تقريرها وإباحتها. وتولى الرسول صلى الله عليه وسلم بسُنَّته العملية في بيته مع أهله وبتوجيهاته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكلامية علاج الغلوّ هنا وهناك، وتصحيح المفهومات في أقوال كثيرة. ورد في السنن والمسند: "عن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال: يا رسول الله، ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها إذا طَعِمْتَ، وتكسوها إذا اكْتَسَيْتَ. ولا تضرب الوجه، ولا تقبّح، ولا تهجر إلا في البيت". وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تضربوا إماء الله"، فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ذَئِرَتِ النساء على أزواجهن. فرخَّص رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشتكين أزواجهن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن. ليس أولئك بخياركم". "وقال صلى الله عليه وسلم: لا يضرب أحدكم امرأته كالعَيْر: يجلدها أول النهار، ثم يضاجعها آخره". وقال: "خيركم خيركم لأهله. وأنا خيركم لأهلي".

ومثل هذه النصوص والتوجيهات والملابسات التي أحاطت بها ترسم صورة لصراع الرواسب الجاهلية مع توجيهات المنهج الإسلامي في المجتمع المسلم في هذا المجال. وهي تشبه صورة الصراع بين هذه الرواسب وهذه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التوجيهات في شتى مجالات الحياة الأخرى قبل أن تستقر الأوضاع الإسلامية الجديدة، وتَعْمُق جذورها الشعورية في أعماق الضمير المسلم في المجتمع الإسلامي. وعلى أية حال فقد جُعِل لهذه الإجراءات حدٌّ تقف عنده متى تحققت الغاية عند مرحلة من مراحل هذه الإجراءات فلا تتجاوز إلى ما وراءها: "فإنْ أَطَعْنَكم فلا تَبْغُوا عليهن سبيلا". فعند تحقق الغاية تقف الوسيلة، مما يدل على أن الغاية، غاية الطاعة، هي المقصودة. وهي طاعة الاستجابة لا طاعة الإرغام. فهذه ليست طاعة تصلح لقيام مؤسسة الأسرة قاعدة الجماعة.

ويشير النص إلى أن المضي في هذه الإجراءات بعد تحقق الطاعة بَغْيٌ وتحكمٌ وتجاوزٌ: "فلا تَبْغُوا عليهنّ سبيلا". ثم يعقّب على هذا النهي بالتذكير بالعَلِيّ الكبير كي تتطامَن القلوب، وتعنو الرؤوس، وتتبخر مشاعر البغي والاستعلاء إن طافت ببعض النفوس، على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب: "إن الله كان عليا كبيرا". ذلك حين لا يستعلن النشوز، وإنما تُتَّقَى بوادره. فأما إذا كان قد استعلن فلا تُتَّخَذ تلك الإجراءات التي سلفت، إذ لا قيمة لها إذن ولا ثمرة. وإنما هي إذن صراع وحرب بين خصمين ليحطم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحدهما رأس الآخر! وهذا ليس المقصود ولا المطلوب. وكذلك إذا رُئِيَ أن استخدام هذه الإجراءات قد لا يجدي، بل سيزيد الشُّقَّة بعدا، والنشوز استعلانا، ويمزق بقية الخيوط التي لا تزال مربوطة، أو إذا أدى استخدام تلك الوسائل بالفعل إلى غير نتيجة. في هذه الحالات كلها يشير المنهج الإسلامي الحكيم بإجراء أخير لإنقاذ المؤسسة العظيمة من الانهيار قبل أن ينفض يديه منها ويدعها تنهار: "وإن خِفْتُم شِقَاقَ بَيْنِهما فابعثوا حَكَمًا من أهله وحَكَمًا من أهلها. إن يريدا إصلاحا يوفِّقِ اللهُ بينهما. إن الله كان عليما خبيرا"...".

وفى مثل أولئك الزوجات اللاتى لا يسترحن ولا يرحن أزواجهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الله بن عباس قال: "أُرِيتُ النار، فلم أر منظرا كاليوم قَطُّ أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن. قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان. لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط". على أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل هناك نساء غربيات يضربن رجالهن. وقد يكون السبب هو النزعة النسوية وما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تدهورت إليه الحال بعدها، إذ تغرى تلك النزعة بعض النساء بالتعدى على رجالهن بالضرب. ولنقرأ فى ذلك ما كتبه كريس نوريس (Chris Nouris) فى مقال له بموقع "marieclaire.com" تحت عنوان "Women Who Hit Men"، إذ قال: " According to a Penn professor who studies these things, every American man has about a 28 percent chance of being struck by a woman at some point in his life (in related news, the number of girls ages 10 to 17 arrested for aggravated assault has doubled in the last 20 years). And yet no one seems to take the phenomenon that seriously. Maybe it's because men, generally speaking, are bigger and stronger, and we assume there's a real limit to the physical damage women could actually inflict. We don't picture these scuffles resulting in bloody noses and black eyes or a trip to the station house. Furthermore, pop culture has made the idea of a pretty girl whaling on a guy a wacky comedy staple- Angelina Jolie smashing wine bottles over Brad Pitt's head in *Mr. & Mrs. Smith* and Cameron Diaz coldcocking Edward Burns in *The Holiday* were both played for laughs. But the reality of getting hit by your girlfriend isn't so sexy or hilarious… Maybe it's a postfeminist

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

thing. Dressing to kill, bringing home the bacon, kicking ass in the workplace — the nascent alpha female may have a dark side, a culturally abetted idea that it's more or less okay to hit the less physically vulnerable member of the relationship. "I remember [my girlfriend] talking about hitting her ex," Tom recalls. "And she seemed almost proud of it — talking about how it drew blood."

وإلى القراء الآن هذا النص الذى وجدته فى أحد المواقع المشباكية عن ترجمة لالة بختيار للقرآن الكريم والطريقة التى نقلت بها إلى الإنجليزية قوله تعالى: "واضربوهن":

"In translating the Quran, she began with individual words. With the help of Edward William Lane's Arabic-English Lexicon and three years' study of Quranic Arabic grammar, she tried to find a distinctive English term for each of the more than 90,000 words in the sacred text. This way, she hoped, the translation would be easier for non-Arabic speakers. But when she came to a controversial verse long interpreted as meaning husbands could beat their wives if they strayed, it became personal. Bakhtiar had counseled Muslim women beaten by husbands who said

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

this verse gave them that right. She thoroughly researched the word "daraba," speaking to 45 Islamic scholars. The Lane lexicon provided the alternate meaning of "go away." Another verse in the Quran that said Muslim women seeking a divorce cannot be harmed also appeared to contradict the traditional interpretation. "To me, the God I love would not say husbands can beat wives or even have a threat that husbands can beat their wives," she said. "From the life of the prophet, I knew he didn't do that, so where is this misunderstanding coming from?" In tackling that verse, she joined a wave of women intellectuals challenging traditional interpretations of Muslim texts. Daisy Khan, executive director of the Asma Society, which gathered Muslim women from around the world last year, said the criticism is to be expected. "Anytime you have a change like this coming from within the community, especially coming from a woman, you're undoubtedly going to ruffle some feathers," Khan said. Critics, meanwhile, have assailed the idea that Bakhtiar, who has studied classical Arabic but does not speak the modern language, is able to translate the Quran. "Arabic is not her first language and it shows," says a posting on Algeria.com. "How can you translate

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

something if you are not literate in the language?" asks another posting on Sunnisisters.com. Islamic law professor Khaled Abou El Fadl of the University of California-Los Angeles said Bakhtiar has a reputation as an editor, not an Islamic scholar. Three years of classical Arabic is not enough, he said. Abou El Fadl also is troubled by a method of translating that relies on dictionaries and other English translations. He said problems arose when the Bible was translated from Aramaic to Hebrew and then to English. But Bakhtiar notes that other well-known translators were not considered Islamic scholars. Still others, she says, didn't know Arabic. "The criticism is [there] because I'm a woman," Bakhtiar said.

A first printing of 5,000 copies is expected at stores such as Borders and Barnes & Noble next week, and on Amazon.com. In three months, a second edition including the Arabic will be published, and Bakhtiar is recording an audio version. And someday soon she hopes to add a Web page where other women also record themselves reciting the Quran -- another break from tradition, but one she feels is crucial to bringing new voices".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإلى القراء أيضا هذا الخبر الذى قرأته منذ فترة على المشباك، وهو يدور فى نفس المدار: "نيويورك- رويترز 2007/3/23: يطعن تفسير جديد للقرآن الكريم باللغة الانجليزية في استخدام كلمات يقول مؤيدو المساواة بين الرجل والمرأة إنها استُخْدِمَتْ لتبرير الانتهاكات بحق المرأة المسلمة . وتأتي بعدما تجمع مسلمون مؤيدون للمساواة بين الرجل والمرأة من أنحاء العالم في نيويورك في نوفمبر- تشرين الثاني الماضي وتعهدوا بتشكيل أول مجلس من النساء لتفسير القرآن وجعل الدين أكثر ودا تجاه المرأة . وفي الكتاب الجديد تتحدى الدكتورة لالة بختيار المحاضِرةُ السابقةُ في الإسلام بجامعة شيكاجو ترجمة كلمة "اضرب" العربية التي تترجَم عادة بمعني "الضرب"، والتي يقول مؤيدو المساواة بين الرجل والمرأة إنها استُخْدِمَتْ لتبرير الانتهاكات بحق النساء. وكتبت في مقدمة الكتاب الجديد تتساءل عن سبب اختيار المعنى الظاهري للكلمة، وهو "الضرب"، بينما يمكن أيضا أن تعني "امض بعيدا". وكانت بختيار تشير إلى كلمة "واضربوهن" في الآية من القرآن التي تقول: "واللاتي تخافون نشوزهن فعِظُوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن. فإن أطعنكم فلا تَبْغُوا عليهن سبيلا. إن الله كان عليًّا كبيرًا". وتقترح بختيار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تفسيرا يقول: ينبغي للأزواج الذين يصلون إلى تلك المرحلة الخضوع لله وترك الأمر له. امضوا بعيدا عنهن ودعوا الله ينفذ مشيئته بدلا من أن يصيب إنسان انسانا آخر بألم باسم الله.

وقال بعض المسلمين إن الترجمة الجديدة انحرفت عن الأصل. وشكك عمر أبو ناموس، وهو إمام بمسجد المركز الثقافي الاسلامي في نيويورك، في ترجمة بختيار وقال: "لا يوجد ما يمنع امرأة من ترجمة القرآن الكريم. لكن ينبغي للمترجم أن يجيد اللغة العربية حتى يمكن أن يجاريها وترجمتها إلى لغات أخرى. لا أعلم ما إذا كانت الدكتورة لالة تجيد العربية أم لا". وأضاف: "ربما تكون تعتمد على تراجم أخرى، وليس على الأصل". ودافعت بختيار عن ترجمتها وقالت لرويترز إنها ترجمت عن النص العربي وإنها "تقرأ وتعرف العربية القديمة". وقال أبو ناموس أيضا إن الآية التي تطعن في ترجمتها تتحدث عندما ترغب امرأة في الطلاق وتسمح للرجل فقط بضرب زوجته، كما يقول النبي محمد، بسواك أو غُصَيْن في مثل طول القلم الرصاص على يدها. وقالت أستاذة اللغة العربية بالجامعة الأمريكية في القاهرة سهام سري إن تفسيرها لكلمة "اضرب" هو "ادفع جانبا"، وإنه مختلف بعض الشيء عن تفسير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بختيار. واتفقت مع أبو ناموس على أن كلمة"سواك" تعني غُصَيْنًا، وعلى أن القرآن لا يشجع على إلحاق الضرر بالنساء. غير أنها تقول أيضا إن الرجال يمكنهم تفسير الآية لتبرير سلوكهم الخاص. وتساءلت في تعليق عبر الهاتف من القاهرة قائلة: "كيف يمكنك الإضرار بشخص ما بضربه بمثل هذا الشيء الصغير القصير والضعيف؟ لكن تفسير القرآن في بعض الأحيان يكون متماشيا مع الرجال، وأحيانا يحاولون إذلال المرأة". وتقول بختيار في الكتاب إنها اكتشفت افتقارا إلى التماسك الداخلي في التراجم الانجليزية السابقة، وإن وجهة نظر المرأة لم تُمْنَح انتباها يُذْكَر".

هذا ما قالته بختيار، لكن من أغرب البلايا أن يقترح أستاذ أزهرى متخصص فى العقيدة عبارة "اشتدوا عليهن" تفسيرا لقوله سبحانه: "واضربوهن". وكأن خبطة واحدة من لالة بختيار فى الرأس لا تكفى، فهو يريد أن يخبطنا فى رأسنا خبطة أخرى (انظر مقال "مصر: تباين آراء علماء الأزهر تجاه تفسير أميركي بالإنجليزية للقرآن بشأن المرأة" فى جريدة "الشرق الأوسط" بتاريخ 5 ربيع الاول 1428هـ- 24 مارس 2007م).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلى كل حال إذا كانت لالة بختيار تترجم "الضرب" بمعنى ابتعاد الرجل عن البيت فإن تقرير مؤسسة "Rand: راند" الأمريكية عن الإسلام المسلمين فى أرجاء العالم لعام 2003م (وعنوانه: " Civil democratic Islam: partners, resources, and strategies") يشطّ أكثر من ذلك كثيرا فينسب إلى بعض المسلمين، وإن لم يُسَمِّهم، القول بأن سورة "النساء" كلها محل شك. وهكذا ينبغى أن يكون تفسير القرآن، وإلا فلا. وهذا كلام التقرير، أورده أولا بالعربية من ترجمتى، ثم أُقَفِّى عليه بإيراد النص الإنجليزى كعادتى فى مثل تلك المواقف كى يكون القارئ على بينة من أن ما أنقله خالٍ من التدليس. أما إذا اكتشف خطأً فى الترجمة فعندئذ سوف يعرف أن المشكلة عندى أنا لا عند الكاتب الأصلى. وقد ورد النص الذى سأنقله تحت عنوان جانبى هو: " Husbands Allowed to Beat Wives: السماح للأزواج بضرب زوجاتهن".

يقول التقرير: "لا يرى أصحاب التيار الأصولي أنه توجد مشكلة هنا. وفي حالة الأصوليين المتطرفين فإن هذا الأمر يتسق ورؤيتهم الهرمية للمجتمع والصورة المثالية فى نظرهم عن تبعية المرأة. أما الأصوليون النصيون فيَرَوْنَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه القضية تتمشى مع نهجهم الشامل نحو السلوك الإنساني، الذي يتضمن مؤسسات كالشرطة الدينية المسلحة بالسياط والعصي والتي تجوب الشوارع لتراقب طول شعر الرجال والمواظبة على الصلوات وعدم وجود طلاء على أظافر النساء وغير ذلك. وأما التقليديون المحافظون فإنهم يقبلون أيضاً هذه الممارسة مع التفريق بين الوعظ، الذي نادرًا ما يلجأ إليه الزوج تصحيحا للسلوك الخاطئ للزوجة من أجل "مصلحتها"، وهو سلوك مقبول، وبين الممارسة السيئة للعنف في البيت، وهو مرفوض عندهم. أما التقليديون الإصلاحيون فإنهم لا يوافقون عادة على هذه الممارسة، لكنهم يبحثون عن مبررات وتفسيرات بديلة.

وهذا هو النص القرآني: "واللاتي تخافون نشوزهن فعِظُوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن. فإن أَطَعْنَكم فلا تَبْغُوا عليهن سبيلاً" (النساء/ 34). وهذه الآية القرآنية تحتوي على غموض في موضعين: في اللفظ المتعلق بتحديد نوع المسألة التي تسوّغ مثل هذا الفعل. وفي اللفظ الآخر الذي يتعلق بوصف هذا الفعل. ويريد البعض رفع الحرج عن حالة الغموض الأولى مدعيا أن هذه الآية لا تنطبق إلا على حالات الإساءة الشديدة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورغم بقاء هاتين النقطتين غير محددتين في النص القرآني فإن أصحاب محمد بلا ريب كانوا يفهمون ما تعنيه الآية. وهم يقولون إن اللفظ العربي المستخدم في وصف حالة الإساءة من طرف المرأة أقرب إلى "النشوز" منه إلى "العصيان"، وإنها يمكن أن تكون إشارة إلى الردة أو النشاط السياسى الهدام من جانب الزوجة.

ويركز بعض الكتاب على اللفظ الثاني الغامض. ويستطيع العلماء التقليديون أن يكتبوا الكثير من الصفحات لمناقشة المعنى الصحيح للَّفْظ ويستنتجوا أن النص القرآني لم يقصد "الضرب" ولا حتى "الصفع"، بل ينبغى فهمه على أن معناه: "الضرب برفق" (رؤوف/ 2002). ويرى القرضاوي أن الزوجات يجوز ضربهن، لكن ليس على الوجه. وقد نشرت مجلة "Islamic Horizons: إسلاميك هورايزونز" الإسلامية الأمريكية في عددها الخاص بقضية العنف الأسري رأيًا صارمًا بخصوص التطبيق الأمثل لهذه الآية، إذ ترى أن من حق الأزواج إعطاء زوجاتهن الناشزات بضع "ضربات خفيفة" بـ"السواك". وينهي الكاتب كلامه قائلاً إن هذا تصرف "معقول محترم ولا غبار عليه، إذ إن صيانة كرامة كل من الزوجين أمر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مطلوب" (أبو سليمان/ 2003/ ص22) . ولن نجد شاهدا أفضل على عجز التقليديين المسلمين، بما فيهم الجناح الإصلاحي في مواجهة التحديات العصرية، من النص السابق الذى يقترح بكل جِدّيةٍ فَضَّ الرجل خلافه مع زوجته بضربها بالسواك كمثال على العلاقة المحترمة بينهما .

وبالنسبة للحداثيين لا تعد هذه القضية معضلة. فكما هو الحال في العهد القديم فإن بالقرآن أشياء لا تناسب مجتمعاتنا اليوم، ولا توجد حاجة إلى الدخول في صراع معها . وفوق ذلك فإنهم يشكّون في صحة هذه السورة كلها، إذ تتعارض مع المأثور عن مواقف النبي وسلوكه وآيات القرآن الأخرى ومجموعة الأحاديث التي تدور حول العلاقات الزوجية والسلوك اللائق من طرف الزوج تجاه زوجته. وكثير من الأحاديث تتعارض مع العنف الزوجي، لكنها لا تجد طريقها إلى مواقع الأصوليين والتقليديين المحافظين الإلكترونية. وهناك حديث يقول إنه من غير اللائق ضرب شخص ينوى الواحد منا فى المستقبل أن يكون حميما معه مرة أخرى (المترجم: لعل التقرير يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: " يعمد أحدكم فيجلد امرأته جَلْد العبد، ولعله يضاجعها في آخر يومه") . ومن المشهور عن النبي لحظةَ وفاته أَمْرُه للرجال أَنِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"اتقوا الله في النساء". ولأن الصحابة كانوا يهتمون اهتماما شديدا بحياة الرسول الخاصة فإن لدينا الكثير من الروايات التى تدور حول الخلافات بين النبي وأزواجه. ومن هذه الروايات نعرف أن النبي عندما يغضب كان يتلفظ بعبارات تهكمية ويعبس ويشكو إلى والد زوجته. وفى إحدى المرات انقطع عن زوجاته شهرا كاملا فى طابق منعزل.

والواقع أن القرآن لم يسجَّل كتابة إلى ما بعد وفاة النبى بزمن، وتم تجميعه حينئذ من شذرات لحاء الشجر أو العظام التي كَتَب عليها مشاهدو الوحي نصوصَه، وكذلك عن طريق الأفراد الذين حفظوا بعض السور القرآنية فأَمْلَوْها على أحسن ما يستطيعون التذكر، وهو ما نتج عنه كتابة عدة نسخ من القرآن كل منها مختلفة عن الأخرى. وفي النهاية، وسَدًّا لأبواب الخلاف، تم التخلص من جميع النسخ ما عدا واحدة (انظر برويز/ 2002). ومن المعروف على نطاق واسع أنه في خلال هذا قد ضاعت على الأقل سورتان. كما يشير الحداثيون إلى أنه من المحتمل أن تكون بعض السور قد أضيفت خطأً إلى النص القرآنى أو سُجِّلَتْ على نحو غير دقيق. أما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التقليديون الذين يُجلّون القرآن، بل الورق المطبوع عليه أيضا، ويؤمنون بعصمته وإلهيته حرفا حرفا، فهذه الفكرة عندهم فكرة بغيضة ومرفوضة تماما".

والآن إلى الأصل الإنجليزى:

"Fundamentalists have no problem with this. In the case of radical fundamentalists, it fits their hierarchical view of society and their ideal of female subordination. Scriptural fundamentalists find it to be in accord with their overall disciplinary approach to human conduct, which includes such institutions as a religious police armed with whips and sticks, patrolling the streets to monitor the length of men‟s hair, the observance of prayers, the absence of polish on women‟s fingernails, and the like. Conservative traditionalists also accept the practice12 but try to make a distinction between a “benevolent” didactic intervention, employed rarely and intended to correct the wife‟s wrongful behavior “for her own good,” which is acceptable, and an abusive exercise of domestic violence, which is not. Reformist traditionalists usually do not support the practice but search for justifications and alternative interpretations.

This is the text: As for those [women] from whom you fear disobedience, admonish

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

them and send them to beds apart and beat them. Then if they obey you, take no further action against them. (4:34) This Quranic passage offers potential ambiguity in two places: in the termying what kind of cause might justify such a response and in the term describing the response itself. Some latch onto the first ambiguity and argue that this passage applies only to very major offenses. While they remain unspecified in the text, Muhammad‟s contemporaries undoubtedly knew what was meant. They argue that the Arabic term used to describe the wife‟s offense is closer to "rebellion" than to "disobedience" and suggest that it perhaps was meant to refer to apostasy or to subversive political activity on the part of the wife.

Some authors focus on the second ambiguous term. Traditionalist authorities can spend many paragraphs discussing the exact terminology and concluding "beat" or even to "strike," but should be interpreted as meaning to "lightly tap" (Rauf, 2002). Qaradawi instructs that wives may be hit, but not on the face. The American Muslim publication *Islamic Horizons*, in a special issue dedicated to the topic of domestic violence, proposes in all seriousness that the correct application of this Quranic verse is for the husband to give an

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

errant wife “a few taps” with a “siwak,” a kind of toothbrush. This, the author concludes, is “reasonable, dignified, and fairly flawless, for each spouse‟s human dignity is respected” (Abusulayman, 2003, p. 22). We would be hard-pressed to invent a better illustration for the inability of Islamic traditionalists, even reformist traditionalists, to manage the challenges of modernity than a text like the one above, which earnestly proposes the spectacle of a man resolving disputes by hitting his wife with a toothbrush as an

example of a dignified relationship.

For modernists, again, this issue is not a problem. Like the Old Testament, the Quran includes content no longer relevant today, and there is no need to struggle with it. Further, they doubt the authenticity of that sura altogether, since it contradicts what one knows about the Prophet‟s attitudes and behavior, other passages in the Quran, and the bulk of hadiths concerning marital relations and the appropriate conduct of a husband toward a wife. Numerous hadiths disapprove of marital violence, but these do not make their way to fun24 Civil Democratic Islam: Partners, Resources, and Strategies damentalist or to conservative traditionalist Web sites. In one such hadith, the Prophet makes the point that it

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

is inappropriate and primitive to hit a person with whom one intends in the future again to be intimate. Famously, the Prophet‟s final deathbed comment warned men to “fear God in your treatment of women.” And finally, due to the intense scrutiny paid to the Prophet‟s private life by his contemporaries, we have a large number of anecdotes related to disputes he had with his wives. From these stories we know that when he became angry he made sarcastic remarks, sulked, complained to his father-in-law, and at least once withdrew to a different floor of the house for an entire month.

The Quran was not recorded in writing until well after the Prophet‟s death. It was then assembled by collecting various scraps of bark or bone upon which witnesses to the revelations had recorded them and by locating individuals who had memorized certain suras and having them dictate the text as best they recalled it. This project eventually resulted in the production of several versions of the Quran, which differed from each other. Eventually, to prevent discord, all versions but one were destroyed (see Parwez, 2002). It is widely accepted that at least two suras were lost in that process. Modernists point out that some may also have been falsely or inaccurately recorded. To traditionalists, however, who revere as

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

infallible and divine each letter of the Quran and even the paper it is printed on, that notion is anathema".

كذلك تؤكد السيدة بارلس أن الإسلام يسوى بين الرجل والمرأة تمام التسوية ولا يرى أى فارق بين الجنسين (ص 93 وما بعدها) . ونحن معها فى أن الرجل والمرأة متساويان فى الإنسانية وأمام الشريعة وأمام الله يوم القيامة، ويكمّل أحدهما الآخر، ولا غنى لأى منهما عن صاحبه، إذ لا يمكن أن تسير الحياة بقدم واحدة بل لا بد لها من القدمين، وإلا سقطت وتوقفت، وهو ما لا يمكن أحدا المشاحّة فيه. قال تعالى: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ" (البقرة/ 228)، "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ" (آل عمران/ 195)، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً" (النساء/ 1)، "الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ * . . . وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (التوبة/ 67- 72)، "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الروم/ 21)، "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" (الأحزاب/ 35).

ليس هذا فحسب، بل يأمر القرآن الرجال بإعطاء المرأة صداقا وإحسان معاملتها، وينهاهم أشد النهى عن الجور عليها: "وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً" (النساء/ 4)، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا" (النساء/ 19-21). بل إن المرأة لتحظى فى بعض الأحيان بنصيب من تسليط الضوء عليها أكثر مما يحظى به الرجل: "وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ" (لقمان/ 14). وحين يتحدث القرآن عن نتيجة الخطإ الذى أهبط آدم وحواء من الجنة نجده لا يذكر حواء فى هذا السياق، وكأن آدم وحده هو المخطئ، وإن كنت أرى فى ذلك إشارة إلى الجنس البشرى بنوعيه لا إلى نوع الرجال وحده: "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى * فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا . . . " (طه/ 115-122) . وهذا عكس ما يقوله العهد القديم فى هذا الموضوع، إذ يحمّل المسؤولية كلها على رأس المرأة.

إلا أن هذا كله، وغيره كثير، لا يعنى ألا يكون هناك رئيس للأسرة. ولقد أعطى الإسلام للرجل هذه الرئاسة (أو فلنقل: القوامة) رغم التسوية التى ذكرناها بين الجنسين. وليست هناك مؤسسة فى الدنيا قديما أو حديثا إلا ولها رئيس: بدءا من جمع القمامة، ومرورا باللصوصية والشحاذين، وارتفاعا إلى المدرسة وقسم الشرطة، ووصولا إلى حكم الدولة وأمانة الأمم المتحدة. ولدينا الكون نفسه، وله خالقه الذى يسيطر عليه ويوجهه ويحاسب المخطئ ويثيب المحسن. . . إلخ. ولقد قال القرآن: "وللرجال عليهن درجة" (البقرة/ 228)، وهذا ما نؤمن به، وإن لم يعن هذا أن كلا من الجنسين ينتمى إلى عالم مختلف عن عالم الآخر، بل هما كلاهما من نفس واحدة، مع إسناد القوامة للرجل.

قد يقال إن الرجل والمرأة متساويان، فلم إذن تكون القوامة للرجل دون المرأة؟ لكن هل يمكن أن نتجاهل ما يتفوق به الرجل على شريكة حياته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونصفها الحلو من الناحية العضلية على الأقل، إضافة إلى ما تتعرض له المرأة على الضِّفَّة الأخرى من متاعب الحيض والحمل والولادة والرضاعة مما يرهقها ويستنزف طاقتها فى الوقت الذى لا يقاسى الرجل شيئًا من ذلك البَتَّة؟ أم هناك من يجادل فى هذا؟ فإذا افترضنا أن الرجل والمرأة متشابهان تمام التشابه بحيث لا يوجد أدنى فرق بينهما من ناحية المواهب التى وهبهما الله إياها، اللهم إلا فى الناحية العضلية كما قلنا، أفلا ينبغى أن يُعَدّ هذا اعتبارا مرجّحًا لقوامة الرجل على المرأة؟ أما ما تزعمه د. نوال السعداوى فى كتابها: "الأنثى هى الأصل" (ضمن مجلد "دراسات عن المرأة والرجل فى المجتمع العربى"/ ط2/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ 1990م/ 153) من أنه ليس هناك أى دليل علمى على أن المرأة أقل من الرجل عقليا ولا فسيولوجيا، وأن القول بغير ذلك هو من تأثير السلطة الأبوية التى تملك الزوجة والأولاد كما تملك قطعة أرض، فمن أين لها يا ترى بهذا الكلام؟ وقبل ذلك لماذا استطاع الرجل أن يسيطر على المرأة فى الماضى ولم تستطع هى أن تسيطر عليه؟ أليس هذا دليلا على أنه يتفوق عليها بشىء أعانه على فرض تلك السيادة أيا كان هذا الشىء؟ على أن ذلك الشىء لا يمكن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن ينحصر فى القوة العضلية وحدها، وإلا فهناك مثلا زملاءُ وأصدقاءُ ذكورٌ كُثُرٌ لا يسيطر الطرف الأقوى عضليا منهم على الآخرين، بل ربما خضع هو لمن هو أقل منه فى القوة العضلية لما يمتاز به من حكمة وسداد رأى أو جاذبية شخصية أو وفرة فى الاتصالات العامة أو تفوق علمى أو إدارى مثلا. كذلك فزعم السعداوى أن العلم فى النصف الثانى من القرن العشرين قد كذّب الافتراضات والنظريات التى كانت تفرق بين الرجل والمرأة جسدا وعقلا وشعورا (المرجع السابق/ 158) هو زعم متهافت. أليس الرجل والمرأة مختلفين فى كثير من النواحى الجسمية؟ أليست المرأة بوجه عام أكثر عاطفية من الرجل؟ أليست أسرع إلى البكاء؟ أليست تحب الاحتماء بالرجل؟ ثم أين الفيلسوفات والرياضيات والعالمات فى كل مجالات العلوم بتلك الكثرة التى نعرفها فى عالم الرجال فى العصر الحديث الذى أخذت المرأة فيه نفس فرصة الرجل؟ وأين فِرَق النساء التى يمكنها منافسة فرق الرجال فى الكرة أو المصارعة أو الملاكمة أو الجرى والوثب... إلخ؟ وهل تُسَامِتُ المرأةُ الرجلَ فى العزيمة والصلابة النفسية؟ بل إن العقاد ليرى عن حق أن الرجل يمتاز على المرأة حتى فى الأعمال التى تمارسها منذ أدهار كالتطريز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والطهى. . . وما إلى ذلك (انظر كتابه: "المرأة فى القرآن"/ منشورات المكتبة العصرية/ صيدا وبيروت/ 7) .

ثم لو كانت المرأة مظلومة ولا يوجد أدنى فرق بينها وبين الرجل، كما تدعى د . نوال السعداوى (السابق/ 41- 242)، أكانت تظل كل تلك الأحقاب المتطاولة ساكتة دون تمرد وثورة؟ ألم تشعر المرأة بالظلم كل تلك المدة المتطاولة؟ فلماذا يا ترى؟ وما دلالة هذا ؟ولنفترض أن الرجل ضللها، فَلِمَ عجزت هى عن تضليله، بل حتى عن فتح عينيه على الحقيقة التى تتعلق بها، وهى أنها مثله، وليست أقل منه؟ ولماذا انخدعت بما لقنه لها من أنه ليس من حقها الغضب بل عليها الابتسام دائما كما تقول السعداوى؟ ولا تقتصر دعاوى الدكتورة نوال عند هذا المدى، بل نراها ترجع تفوق الرجل على المرأة إلى القهر الذكورى لها لا إلى أنها بطبيعتها أدنى من الرجل فى بعض القدرات العقلية والنفسية. . . مشبهة إياها بالعبيد، الذين يبدون أقل من الأحرار قدراتٍ ومواهبَ رغم أنهم رجال مثلهم، وذلك بسبب القهر الواقع عليهم كالمرأة (ص 250- 251، 253)، ناسية أن العبيد كثيرا ما قاموا بثورات تحررية، أما النساء فلا، فضلا عن أن الرجل هو فى الغالب الذى كان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما زال ينادى بإعطائهن حقوقهن، ولَسْنَ هُنَّ. كما تؤكد أن المرأة لا تضحى بنفسها وراحتها من تلقاء نفسها بل بالقهر الذى يمارسه عليها الرجل وفَرْضه خدمته هو وأفراد الأسرة عليها وشَغْله لها بأعمال البيت اليدوية، وإلا فهى لا تقل عنه طموحا وذكاء وقدرات عقلية.

من هنا نقول إن الرجل والمرأة متساويان فى أصل الإنسانية وفى أن الله قد وهب كلا منهما من عطاياه الإلهية المباركة، وأعطى كلا منهما عقلا وشعورا . . . إلخ، إلا أن ثم فروقا بين هذه المواهب هنا وبينها هناك هى التى تؤهل الرجل بوجه عام لقوامة الأسرة. والرجل بهذه القوامة لا يصير سيدا على أَمَةٍ، بل زوجًا مع زوجة يخدمها هى والأبناء ويسعى على معاشهم ومطالبهم، ولا يرى فى ذلك أدنى غضاضة، ولا يرفع راية العصيان قائلا إنه لن يشتغل خادما لهم بعد اليوم كما هو شعار النسويات اللاتى يردن أن يزرعن فى رُوع المرأة أن عملها فى المنزل هو سخرة وعبودية بلا أجر، بل ينهض بهذا العبء سعيدًا، ويجد فيه تحقيقًا لذاتيته الكاملة.

فإذا انتقلنا إلى مقام الألوهية نجد أسما بارلس تقول إن وحدانية الإسلام تعنى فيما تعنيه أنه سبحانه ليس ذكرا، إذ "الواحد الأحد" لا ينقسم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يكون من ثم أبا أو زوجا أو ابنا أو ذكرا ("Believing women" in Islam, P. 95) لأن كل واحد من هؤلاء يستلزم أن يكون هناك اثنان من نفس الجنس أو النوع أحدهما موجب، بينما الآخر سالب، والألوهية إنما تقوم على التوحيد والتفرد . ولست أخالفها فيما قالته من أنه سبحانه ليس ذكرا، كما أنه ليس أنثى، ولكنى رغم هذا أرى مغزى واضحا فى استخدام القرآن والحديث للضمير والاسم والنعت والفعل لله بصيغة التذكير، رغم أن الله سبحانه فوق الذكورة والأنوثة كما قلنا، بل خالقهما، وأتصور ذلك بابًا من الإيماء إلى تفوق الرجل على المرأة. لكن بارلس تنكر استخدام ضمير التذكير له سبحانه وتراه شيئًا يدعو إلى السخرية، إذ كيف يرفض المسلمون تذكير الله، وفى ذات الوقت يستمرون فى استخدام صيغة التذكير له جل وعلا ويَرَوْن فى ذلك الاستخدامِ إشارةً إلى تفوق الذكر على الأنثى؟ ناسية أننا لسنا الذين نقول بهذا التفوق بل الله سبحانه وتعالى حين أشار إلى أن للرجال على النساء درجة وأن من حقهم القوامة على البيت والأسرة وأنه لا ينبغى أن تتمنى النساء ما فَضَّل هو ذاته الرجالَ به عليهن كما جاء فى سورتى "البقرة" و"النساء": "وللرجال عليهن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

درجة" (البقرة/ 228)، "وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * . . . الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ " (النساء/ 32- 34)، وأننا لسنا الذين نستخدم لله سبحانه وتعالى صيغة التذكير حين نتحدث عنه، بل القرآن والحديث ذاتهما . أم تراها تريد المجادلة فى ذلك أيضا ؟

تقول بارلس فى الموضع المذكور آنفا من كتابها الذى نحن بصدده:

Ironically, while Muslims reject " misrepresentations of God as father/ male, most see no problem in continuing to masculinize God linguistically and to propagate, on the basis of this view, theories of male rule/privilege over women. One needs therefore to inquire into the paradox of masculinist conceptions of God and the idea of a symbolic Rule and man‟s in continuum between God‟s the absence of the Qur‟ānic view of God as Father/male. This paradox, I believe, is a function of the Creator models in Ian Netton‟s (1989) words and of a semiotic collapse in signifier (the Muslim theology between the

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

word „God") and the Signified (God), and I examine each in turn."

لكن ليس فى القرآن آية واحدة تصف الله سبحانه وتعالى بصفات نسوية على عكس ما تحاول بارلس أن توهمنا لكى تصل من ذلك إلى القول بأنه سبحانه وتعالى يجمع فى كينونته بين الثنائيات والمتضادات، وإن كان اجتماع تكامل لا تناقض كما تقول ("Believing women" in Islam, P. 100- 101) . ونحن أيضا نؤمن بطبيعة الحال أنه سبحانه وتعالى إله لا إنسان، ومن ثم فهو فوق الذكورة والأنوثة. إلا أننا لا نقول بما تقول هى به عن الصفات الإلهية النسوية التى يستعملها القرآن له عز وجل كالحب أو الصبر أو تقديم الطعام مثلا، إذ من قال إن أيا من هذه المعانى هو صفة نسائية فقط؟ هل الحب مثلا مقصور على المرأة؟ فهل تطيق المرأة، بناء على هذا، أن يقال لها إن الرجل لا يحبها، بل لا يستطيع أن يحبها، لأنه لا يتصف بصفة الحب؟ ألا يحب الرجل المرأة زوجة وأما وأختا وبنتا ؟ وهل الرجال لا يحبون أبناءهم كما تحب الأم أبناءها ؟ فمن يسعى إذن على المعاش ويبذل كل ما لديه من جهد من أجل إشباع حاجات أولاده؟ أليس هو الرجل غالبا ؟ فما الدافع له فى ذلك يا ترى؟ أليس هو الحب؟ ثم ألا يحب الرجال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أوطانهم وأصدقاءهم وعظماء تاريخهم ودينهم وأعمالهم وهواياتهم. . . إلخ؟ فكيف تزعم بارلس أو غير بارلس أن الحب هو صفة نسوية بامتياز، وأنه ما دام الله يوصف فى القرآن بأنه يحب عباده فمعنى هذا أنه يوصف بصفات نسوية؟ فمن نظم قصائد الحب يا ترى؟ هل هو شخص آخر سوى الرجل فى الغالب، ثم المرأة إلى حد ما من بعده؟ ومن أججّ الحروب فى بعض أطوار التاريخ بسبب المرأة وحبه لها؟ أليس هو الرجل أيضا؟ وهل الصبر صفة نسوية فقط؟ فمن يصنع الحضارة إذن، وصناعة الحضارة تقوم فى كل خطوة منها على الصبر والتحمل وطول البال؟ أهن النساء فقط؟ فمن يحارب ويعلّم ويزرع ويبنى ويرعى ويصنع ويحكم البلاد والعباد؟ أليس هو الرجل فى الغالب؟ وهل يمكن أن يتم شىء من هذا دون صبر وعرق ودموع؟ أم الصبر هو فى السهر على تمريض الطفل الرضيع فقط مما تقوم به المرأة عادة؟ ألا يصبر كثير من الرجال على مناكفات زوجاتهن؟ الواقع أنه لولا هذا الصبر لانهدمت البيوت، وبخاصة أن كثيرا من النساء كلما نشب خلاف بينهن وبين أزواجهن سارعن إلى طلب الطلاق واستخدمن فى هذا الطلب عبارات تستفز الجبال. ولولا استعصام الرجال بالصبر فى مثل ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموقف لتحطمت البيوت وتشردت الأسر. ثم هل النساء هن اللاتى يوفرن الطعام لمن حولهن؟ نعم، إنهن يطبخن ويُعْدِدْن المائدة، لكن الرجل عادة هو الذى يسعى على المعاش ويحضر المال ويشترى الطعام لأفراد الأسرة كى تعده المرأة لهم.

وأخيرا فقد ينبغى أن نعلم أن بارلس إنما تقلب بكلامها هذا الأوضاع رأسا على عقب، إذ تجعل البشر هم الأساس، والله سبحانه يجرى فى ركابهم. أليست تجعل الحب والصبر والإطعام صفات بشرية فى الأساس، فإذا تحققت فى الله عز وجل كان ذلك دليلا على تحققه بالصفات البشرية ذكورية كانت أو نسوية؟ إنها بهذا تغفل غفلة شديدة وشنيعة عن أن الله هو منبع كل وجود وموجود، وأننا نحن البشر، ومعنا سائر المخلوقات، إنما نستمد منه وجودنا وصفاتنا لا العكس. كما أن صفاته سبحانه وتعالى هى صفات مطلقة لا نسبية. فالكرم مثلا عنده لا أول له ولا آخر، بخلاف الكرم البشرى، فهو كرم محدود له بداية، وله نهاية. فكيف نقلب المسألة ونجعل الصفات الإلهية مأخوذة عن البشر؟ أى أن كل ما قالته السيدة أسماء بارلس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو كلام لا يصمد للتحليل والمنطق. ومن هذا يتبين سذاجة الأفكار التى تسوقها تلك السيدة ومدى ما فيها من تهافت.

وبالمناسبة تؤكد نوال السعداوى، فى كتابها: "الأنثى هى الأصل" (ضمن مجلد "دراسات عن المرأة والرجل فى المجتمع العربى"/ 154- 155)، أن المجتمع الأمومى استمر آلاف السنين، وإن كنا لا ندرى كم ألفا منها لأن علم التاريخ لم يكن قد ظهر بعد كما تقول، وأن المجتمع كان أموميا، وأن الناس كانوا يضعون المرأة فى مكانة أعلى من مكانة الرجل، وأن الإله كان أنثى.

ونحن نتساءل: إذا كان علم التاريخ لم يكن قد ظهر بعد، إذن فكيف عرفتْ نوال السعداوى أو غيرها أن المجتمع كان أموميا، وأن الناس كانوا يضعون المرأة فى مكانة أعلى من مكانة الرجل، وأن الإله كان أنثى؟ هل شمت على ظهر يدها؟ وقد يظن بعض الناس أن تلك التقليعة الفكرية هى من بنات عقلها، إلا أن الواقع يقول إنها وأمثالها لا يمكنهم إبداع شىء يختلف عما لدى الغرب، إذ هناك مفكرون غربيون يدَّعون هذه الدعوى ردا على ما يظنونه من أن استخدام ضمائر المذكر فى الكتب المقدسة وعلى ألسنة المؤمنين عند الحديث عنه سبحانه معناه أنه ذكر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والطريف أن نوال السعداوى سرعان ما تطامن من تلك المزاعم بعد قليل (ص 155)، فتقول إن المرأة فى مصر القديمة كانت متساوية والرجل، فقد كانت هناك آلهة نسائية، لكن الإله الأكبر كان ذكوريا دائما، وهو ما يدل على أن المجتمعات البشرية تنظر إلى الرجل على أنه أفضل من المرأة ولو بدرجة كما فى الإسلام. وهذا الكلام من د. نوال معناه أن الأمر ليست كما زعمت آنفا من أن النساء هن اللاتى كن يحكمن المجتمعات وأن الإله كان دائما أنثى.

وبالمناسبة كذلك فقد قرأت فى "شرح نهج البلاغة" لابن أبى الحديد النص التالى الذى يتصل بما نحن فيه أوثق الاتصال، وقد ورد فى سياق الحديث عن كلمة "ذات" ومدى جواز استعمالها فى حق الله عز شأنه: "ولفظة "ذات" لفظة قد طال فيها كلام كثير من أهل العربية، فأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى وإضافتها إليه: أما إطلاقها فلأنها لفظة تأنيث، والبارىء سبحانه مُنَزَّهٌ عن الأسماء والصفات المؤنثة. وأما إضافتها فلأنها عين الشيء، والشيء لا يضاف إلى نفسه. وأجاز آخرون إطلاقها في البارئ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى وإضافتها إليه. أما استعمالها فلوجهين: أحدهما أنها قد جاءت في الشعر القديم. قال خُبَيْبٌ الصحابي عند صَلْبه:

وذلك في ذات الإله، وإن يشأ * يبارِكْ على أوصال شِلْوٍ مُوَزَّعِ

ويروى "مُمَزَّع". وقال النابغة:

مَحَبَّتُهُـــمْ ذاتُ الإلـه، ودينـــهم * قديم، فما يخشَوْنَ غير العواقبِ

والوجه الثاني أنها لفظة اصطلاحية، فجاز استعمالها لا على أنها مُؤَنَّثُ "ذو"، بل تستعمل ارتجالاً في مسماها الذي عبر عنه بها أرباب النظر الإلهي، كما استعملوا لفظ "الجوهر" و"العَرَض" وغيرهما في غير ما كان أهل العربية واللغة يستعملونهما فيه. وأما منعهم إضافتها إليه تعالى وأنه لا يقال: "ذاته" لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه فباطلٌ بقولهم: "أخذتُه نفسه، وأخذتُه عينه"، فإنه بالإتفاق جائز، وفيه إضافة الشيء إلى نفسه". ولا شك أن ما كتبه ابن أبى الحديد هنا إنما يقوم على ما لاحظه هو وغيره من علمائنا القدامى من أن القرآن لا يُطلِق على الله جل وعلا لفظًا أُنُوثِيًّا أبدا.

أما قول بارلس إنه لو كان هناك فرق بين الرجل والمرأة فى التفكير والحس الأخلاقى فكيف يحمّل الله المرأة المسؤولية ويحاسبها يوم القيامة كما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحاسب الرجل؟ (انظر ص102 من كتابها: " "Believing women in Islam") فردنا عليه بسيط جدا، وهو أننا لا نقول بحرمان المرأة من العقل والتفكير والحس الخلقى، بل كل ما نقوله أن هناك فروقا بين هذه الهبات الإلهية عندها عنها عند الرجل. ومعروف أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها بما يعنى أن الحساب الإلهى حساب عادل يراعى ظروف كل شخص وكل نوع، ولا يأخذ البشر جميعا مأخذا واحدا دون مراعاة للفروق الفردية والنوعية التى تميز شخصا عن شخص، ونوعا عن نوع. فأما القول بأن اختلاف عقلية المرأة مثلا فى بعض الجوانب عن عقلية الرجل مدعاة للقول بإعفائها من الحساب فهو ما لم يقل به أحد، إذ لم يقل أحد إن المرأة محرومة من العقل والتمييز، بل كل ما قيل إنّ ثَمَّ لمساتٍ خاصةً تميزها عن الرجل وتميز الرجل عنها فيما هو مشترك بينهما، وما أكثر ذلك المشترك! وإذا كان الطلاب مثلا لا يُعْفَوْن من الحساب الإلهى يوم القيامة ولا من الحساب القانونى هنا على الأرض رغم أنهم لا يتساوَوْنَ مع أساتذتهم فى العقل ولا فى العلم، فكيف تقول بارلس إن تفوق الرجل على المرأة يستلزم أن تُعْفَى المرأة من المسؤولية والمحاسبة؟ علينا إذن طبقا لهذا المنطق العجيب أن نُعْفِيَ العوامّ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جميعا لأنهم أقلّ فى الفهم والعقل والحساسية من المثقفين. لكن هذا كلام لا يقوله أى شخص فى ذهنه مُسْكَة من عقل!

كذلك لسنا معها فى نفيها أن يكون القرآن قد تحدث عن الرجل والمرأة بوصفهما كائنين متقابلين لا متطابقين (ص 103)، إذ الواقع أن القرآن يتحدث عنهما بوصفهما كائنين متقابلين فى بعض الصفات، لكنْ فى ذات الوقت متكاملين، وإلا فلم سماهما: ذكرا وأنثى؟ ولم قال إنه خلق لنا نحن البشر من أنفسنا أزواجا،أى ذكورا وإناثا، بما يدل على أن هؤلاء غير أولئك رغم الأرضية الكبيرة المشتركة بينهما؟ أليس شكل الجسم عند الرجل يختلف فى كثير من الأشياء عن شكله فى المرأة؟ ألا يكفى هذا حتى نقول بأن هناك فروقا بين النوعين وأنهما فعلا يمثلان طرفين متقابلين؟ أم ترى التاريخ كله حتى عصرنا الحالىّ كان كاذبًا أومضلّلاً فلم يعرف حقيقة الأمر؟ وإذا لم يكونا طرفين متقابلين فلم يا ترى كان الزواج، الذى يكمّل به كل منهما الآخر؟ لو أنهما كانا متطابقين لاكتفى كل منهما بنفسه فى عملية التكاثر مثلا كما هو الحال فى النباتات، إذ تجمع بين أعضاء الذكورة والأنوثة فى ذات الوقت. أليس كذلك؟ ترى هل الرجل يحيض ويَنْفَس ويحمل ويلد ويُرْضِع مثلا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كالمرأة؟ هل يُدِرّ ثدياه لبنا كما هو الحال بالنسبة لثدي المرأة؟ وهل تظل المرأة طول عمرها قادرة على الإنجاب كالرجل؟ هل الجهاز التكاثري واحد عند الاثنين؟ هل المرأة خشنة الصوت كالرجل، أو هو رقيقه كالمرأة؟ هل هو ضعيف الجسم أملسه كالمرأة؟ أم هل هي قوية الجسم خشنته كالرجل؟ هل له شعر طويل كشعرها؟ هل ردفه أو صدره بارز كردفها وصدرها؟ هل هو حيي مثلها؟ أم هل هي مقتحمة مثله؟ هل تقوم هي بطلبه خاطبةً وزوجةً كما يطلبها هو خاطبًا وزوجًا؟ هل هو عاطفي مثلها، أو هي عقلانية مثله؟ هل يخاف هو مثلما تخاف هي من أقل الأشياء؟ أم هل هو قريب الدمعة كما تسارع هي إلى البكاء لأهون سبب؟ فكما يرى القارئ هناك أشياء يتميز بها كل منهما ويكمل بها الآخر مما لا يجهله أحد، وهذا ما يجعلهما طرفين متقابلين متكاملين، على عكس ما تحاول السيدة بارلس هي وأمثالها إقناعنا عبثا.

وتمضي الكاتبة فتقول، نقلا عن كاتب آخر نقل الموافق، إن المسلمين القدماء قد أخطأوا في تفسير القرآن خطأ كبيرا من ناحية الذكورة والأنوثة، وذلك حين قالوا مثلا إن لفظة "الإنسان" فيه تعني " man"، أي "الرجل"،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإنه لو كان تفسيرهم هذا صحيحا لكانت المرأة معفاة من جميع أوامر القرآن ونواهيه (ص104– 105) . وهى فى هذا مخطئة لا المسلمون القدامى، إذ لم يحدث أن فسروا "الإنسان" بـ"الرجل" قصرا على الذكور وحدهم. كيف؟ معروف أن البشر، ومن ثم اللغة أيضا، يميلون إلى الاختصار والإيجاز توفيرا للوقت والجهد من جهة، وكسلا وملالا من جهة أخرى، وتجنبا لمظنة اتهام السامع أو القارئ فى ذكائه من جهة ثالثة. وبالتالى فما أكثر ما يقدّرون فى اللغة حين يتحدثون وحين يكتبون، وإلا لكانت عملية الكلام من الإرهاق بمكان. ومفسرونا القدماء حين يقولون فى بعض السياقات: "الرجل" فهم يقصدون النوع الإنسانى كله رجالا ونساء وصبيانا وبنات، ولا يقصرون كلامهم على الذكور ولا البالغين من الذكور وحدهم. ولا أدرى لم فاتها أن تخطّئهم أيضا فى استعمالهم تلك الكلمة للصبيان أو الشبان كذلك رغم أنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال.

أما إذا أصرت الكاتبة على تخطئتهم فما هى فاعلة يا ترى مع القرآن المجيد، الذى كثيرا ما يستخدم صيغة التذكير فى خطابه للمؤمنين والمؤمنات، والمنافقين والمنافقات، والكافرين والكافرات، فيقول: "المؤمنون" و"الكافرون"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و"المنافقون" فقط للنوعين جميعا، ونادرًا ما يقول: "المؤمنون والمؤمنات" و"المنافقون والمنافقات"؟ أتراها تقول إن القرآن قد أخطأ، أستغفر الله العظيم؟ لكن هذا ملحوظ فى اللغات الأخرى التى تميز بين الذكور والإناث بصيغ لغوية كما هو الحال فى الفرنسية، إذ حين يكون هناك جمع من الرجال والنساء فإنها تستخدم لهم جميعا الضمير: " ils" المخصص لجماعة الذكور رغم وجود إناث معهم أيضا . على أن كلمة "رَجُل" فى العربية إذا أضيفت إليها تاء فى آخرها دلت على الأنثى، فيقال حينئذ: "رَجُلة"، وليست، كما تظن السيدة بارلس فيما يبدو، على الرجل وحده قياسا منها على وضع هذه الكلمة فى اللغة الإنجليزية، إذ ليس لها هناك مؤنث من لفظها .

وهناك فى الكتابات الأوربية هذه الأيام اتجاه متنطع بعض الشىء، إذ نرى الكاتب (أو الكاتبة) يحرص (أو تحرص) على أن يذكر (أو تذكر) الضمير المذكر والمؤنث جميعا مع الفصل بينهما بشرطة مائلة أو بواو العطف أو بـ"أو" كلما أعاد (أو أعادت) الحديث عن كلمة تشمل الذكر والأنثى ككلمة "الإنسان" فيقول (أو تقول) مثلا: "كلما كان الإنسان صبورا استطاع (أو استطاعت) أن يحرز (أو تحرز) أشياء عظيمة لا يستطيع غيره (أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غيرها) أن يحرزها (أو تحرزها) . ولعل السبب فى ذلك هو تجنب حساسية النساء حتى لا يشعرن بالغضاضة من استعمال ضمير المذكر دائما كلما كان الحديث شاملا للجنسين معا .

وها هى ذى آيات كريمة ورد فيها كلمة "الإنسان"، ولم يقل أحد من المفسرين، ولا يمكن أن يقول، إن المقصود بها هو جنس الذكور ليس إلا، بل هو عام فى الرجال والنساء جميعا . قال عز من قائل: "وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (يونس/ 12)، "وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ" (هود/ 9)، "وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً" (الإسراء/ 11)، "قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا" (الإسراء/ 100)، "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق/ 1-5)، "إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(الزلزلة/ 1- 5)، "إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" (العاديات/ 6- 8)، "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (العصر/ 1- 3).

ليس ذلك فقط، بل نضيف إليها من الأحاديث الشريفة الشواهد التالية: "للشهيد عند الله ست خصال: يُغْفَر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة، ويُجَار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُحَلَّى حُلَّة الإيمان، ويُزَوَّج من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه "، و"عن جابر أن نفرا أَتَوُا النبي صلى الله عليه وسلم، فوجد منهم ريح الكُرَّاث، فقال: ألم أكن نهيتكم عن أكل هذه الشجرة ؟ إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنسان؟"، و"عن مالك عن بن شهاب أن عائشة أم المؤمنين وسعد بن أبي وقاص كانا لا يريان بشرب الإنسان وهو قائم بأسا "، "الرؤيا ثلاث : فالرؤيا الحسنة بشرى من الله ، والرؤيا تحزين من الشيطان ، والرؤيا مما يحدث به الإنسان نفسه "، و"عن عبد الله قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا ، ثم خط وسطه خطا ، ثم خط حوله خطوطا ، وخط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطا خارجا من الخط، فقال: هذا الإنسان (للخط الأوسط)، وهذا الأجل محيط به ، وهذه الأعراض (للخطوط) . فإذا أخطأه واحد نهشه الآخر . وهذا الأمل (للخط الخارج)"، "إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم "، "كل إنسان تلده أمه على الفطرة. وأبواه بَعْدُ يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه. فإن كانا مسلمين فمسلم"

أما قول د. أسما بارلس إن التفكير فى الله سبحانه من خلال الضمائر التى نستخدمها للبشر مثل الضمير: "هو"، بما يضفى عليه شبهة الذكورة، يؤدى إلى أن يضع الرجل المسلم نفسه بين الله وبين المرأة: أى تحته وفوقها، بما يفيد أنه حاكم على المرأة مثلما أنه سبحانه حاكم عليه هو (ص 105–106)، فلسنا نوافقها عليه، إذ المسلم إنما ينظر لنفسه بالنسبة لله على أنه عبد مخلوق له، فلا يمكن من ثم أن يضع نفسه هذا الموضع الذى تحدده بارلس. وهو ما ينظر به إلى المرأة كذلك. أى أنه لا يمكن أن يفكر فيما تزعمه بارلس. وكل ما يعتقده الرجال المسلمون فى هذا الصدد هو أن للرجل على المرأة درجة وأن القوامة فى البيت من حقه. أما الله سبحانه فهو فى أفق مختلف، فهو الخالق الرازق المحيى المميت، ومن ثم فهو سبحانه لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يخضع لمثل ذلك التراتب الذى ذكرته بارلس. صحيح أن اللغة البشرية تشير إليه بألفاظ الذكورة، لكن هذا لا يعنى عند أحد من المسلمين أنه عز شأنه ذَكَرٌ مثلما أنه ليس أنثى. وكل ما يمكن أن يُستَشَفّ من استعمال الألفاظ المذكَّرة له جل وعلا أنها إشارة إلى تفوق الرجل على المرأة فى بعض الأشياء حسبما سبق التوضيح. وهذا فهم شخصى لى لا ألزم به أحدا. إنما هو مجرد اجتهاد لا أزعم له أكثر من ذلك. ثم إن الرجل والمرأة كليهما عبدان لله سبحانه يخضعان لحكمه: حكمه الوجودى وحكمه التشريعى على السواء.

وقضية أخرى لم تحسن تناولها أسماء بارلس، ألا وهى قضية الآباء فى القرآن، تلك القضية التى تريد أن تستثمرها من أجل الانتصار للنسوية، لكن عبثا ودون طائل كما سوف ينجلى الأمر بعد قليل. يقول المولى جل جلاله مثلا عن مشركى العرب: "أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ" (الزخرف/ 21– 24). وفى الوحى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المدنى نقرأ قوله عز شأنه: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ" (المائدة/ 104). وتقول الكاتبة تعليقا على أشباه هذه الآيات إن الإسلام، شأنه شأن الأديان السماوية الأخرى، يدعو إلى اعتناق دين الله ونبذ دين الآباء (انظر ص 119 وما بعدها). نعم تقول هذا وكأن جميع الآباء دائما ما يعادون دين الله. فهل هذا صحيح؟ وهل "الأبوية" هنا هى المقابل لـ"الأمومية" كما تريد أن تقول الكاتبة بين السطور بغية إيهامنا أن الآباء هم سر البلاء؟ الواقع أن "الآباء" هنا ليسوا الآباء الحقيقيين فقط ولا الآباء الحقيقيين بالضرورة، بل المقصود الأجيال الماضية التى درجت على العادات والتقاليد والعقائد الكافرة والشعائر الفاسدة المنحرفة، ولا تريد أن ترجع عنها مهما سطعت فى الآفاق أنوار الحقيقة باهرة. والأجيال الماضية، مثلها مثل الأجيال الحاضرة والمستقبلة، ليست آباء فحسب، بل آباء وأمهات وأعماما وعمات وأخوالا وخالات وإخوة وأخوات وجدودا وجدات. أى أنها تضم الرجال والنساء ومن هم آباء ومن ليسوا بآباء. ومن هذا الوادى تسمية القرآن الخليل إبراهيم عليه السلام بـ"أبيكم"، أى أبى العرب، مع أنه ليس أباهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالمعنى الذى تقصده السيدة أسما بارلس. كما تكرر وصف القرآن المجيد لـ"الآباء" بـ"الأولين"، مما يدل على أن المقصود هم الأسلاف، وليس الآباء المباشرين كما تريدنا بارلس أن نفهم. وفى الحديث الشريف يوصف كل من آدم وإبراهيم عليهما السلام بـ"أبيكم". ومن ذلك الوادى أيضا ما قاله صاحب "شرح صحيح البخارى" تفسيرا لتسمية أبى سفيان للنبى صلى الله عليو سلم بـ"ابن أبى كبشة" بقوله: "وابن أبي كبشة : أراد به النبي صلى الله عليه وسلم لأن أبا كبشة أحد أجداده . وعادةُ العربِ إذا انتقصتْ نسبتْ إلى جد غامض. قال أبو الحسن النسابة الجرجاني: هو جَدٌّ وهبٍ جَدِّ النبي صلى الله عليه وسلم لأمه . وهذا فيه نظر لأن وَهْبًا جَدَّ النبي صلى الله عليه وسلم اسمُ أمه عاتكةُ بنت الأوقص بن مرة بن هلال ، ولم يقل أحد من أهل النسب إن الأوقص يُكْنَى : أبا كبشة . وقيل : هو جد عبد المطلب لأمه . وفيه نظر أيضا لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجي، ولم يقل أحد من أهل النسب إن عمرو بن زيد يكنى : أبا كبشة . ولكنْ ذَكَر ابن حبيب في "المجتبَى" جماعة من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ قِبَل أبيه ومن قِبَل أمه كل واحد منهم يكنى: أبا كبشة . وقيل : هو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أبوه من الرضاعة، واسمه الحارث بن عبد العزي. قاله أبو الفتح الأزدي وابن ماكولا. وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن أبيه عن رجال من قومه أنه أسلم، وكانت له بنت تسمى: "كبشة" يُكَنَّى بها . وقال ابن قتيبة والخطابي والدارقطني : هو رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان فعبد الشِّعْرَى، فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة" . والمهم فى كل ذلك أن أبا كبشة ليس أبا النبى عليه السلام كما يعرف الجميع. أما لو أردنا أن نَقْصِر كلمة "الآباء" على معناها الضيق جدا لوجدناها تقابل "parents"، وليس "fathers" كما تحاول الكاتبة أن تغرس فى رُوعِنا: عَمْدًا فيما أتصور، إذ ليس مثلها بالذى يجهل ذلك الفرق الواضح. وهذا مثل ترجمتنا لكلمة "أبناء" بـ"childern" (أى أولاد الشخص وبناته جميعا) لا " sons" فقط. كما أن كثيرا من أفراد تلك الأجيال مؤمنون مستقيمون.

وفى معجم "محيط المحيط" لبطرس البستانى نقرأ فى مادة "أبو" أن "الأب: الذى يتولد منه شخص آخر من نوعه، ومن كان سببا لإيجاد شىء أو إصلاحه أو ظهوره. والمرّبى والوصىّ والعَمّ، وذلك مع القرينة. ولقبُ اعتبارٍ من حيث السن أو المنزلة. والأب: الأول. . . وأبو المرأة: زوجها . . .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأَبوان: الأب والأم. وجمعه: آباءٌ وأَبون ". هل أتيت بشيء من عندى؟ اللهم لا. اللهم فاشهد ! وفى الآية الحادية عشرة من سورة "النساء"، وهى تتحدث عن الميراث ونصيب الذكور والإناث من الأبناء والآباء منه، نجد كلمة "آباء" بهذا المعنى الذى ذكرته هنا، أى الآباء والأمهات جميعا، وهو ما لا يمكن المشاحَّة فيه بأى حال لأن الكلام فى الآية عن الجنسين كليهما لا عن الآباء الرجال وحدهم: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" . كذلك ففى قوله جل جلاله فى الآيات التالية لا يمكن أن يكون الآباء هم الآباء الرجال وحدهم، إذ الكلام عن الأنبياء ودعوتهم، وأنبياء الله لا يأتون بدعوتهم للرجال فقط بل للجميع ذكرانا وإناثا كما هو معلوم: " يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ" (يس/ 1- 6).

وعلى هذا فلو استبدلنا بالمجتمع العربى الوثنى فى عصر الرسالة المجتمع الأمريكى اليوم لدخل فى "الآباء" فى قوله عز شأنه: "إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون/ مهتدون" النساء اللاتى يصددن عن اعتناق الإسلام وينفّرن منه من صحفيات ومذيعات وروائيات (مثل شيرى جونز مؤلفة رواية "The Jewel of Medina"، التى تهدف إلى النيل من عِرْض الشريفة بنت الشريف السيدة عائشة أم المؤمنين) وراهبات ومبشّرات، ومومسات يوقعن المسلمين فى أحابيلهن ويجندنهم لمحاربة الإسلام، ونساء كونجرس ووزيرات (كهيلارى كلنتون) وأستاذات جامعيات، بما فى ذلك المسلمات أو الآتيات من خلفية إسلامية والتحقن بالآلة الشيطانية للتنفير من الإسلام، سواء على نحو مباشر، وهذا مفهوم (كما هو الوضع فى حالة وفاء سلطان السورية وإيان هرسى على الصومالية، وكذلك نوال السعداوى أيام كانت تعيش فى أمريكا وتحاضر فى بعض جامعاتها وتهاجم الإسلام والمسلمين)، أو على نحو غير مباشر كما هو الحال فى تقديم إسلام مدجَّن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يمشى فى ركاب الحضارة الغربية ولا يحيد عنها قيد أنملة كما تفعل بعض الكاتبات المسلمات فى الولايات المتحدة من تفسير الإسلام بما يخدم أهداف الغطرسة الأمريكية وخططها لنهب الشعوب الإسلامية وتمزيق بلادها واحتلال أراضيها . . .

ثم إن الأجيال الماضية لا تمثل دائما الانحراف والكفر والفساد، بل تكون كذلك فى ظل أوضاع معينة فقط، وإلا فهل الأجيال الأولى فى تاريخ الإسلام مثلا ينطبق عليها هذا الوصف؟ إننا كلنا نتمنى أن نكون عشر معشارها فى الجد والاستقامة وصلابة الإيمان والطموح العقيدى والثقة بالنفس والتقوى وعظمة الإنجاز . . . إلخ. أما الأجيال القريبة منا، تلك التى تأثرنا بها فى الفساد والانحراف وما أشبه، فيصدق عليها على نحو أو على آخر ما قاله القرآن عن الآباء على لسان الكفار الذين رفضوا دعوة الرسل والأنبياء بحجة أنها تخالف ما درج عليه المجتمع منذ عدة أجيال هى عمر الفساد والانحراف فى ذلك المجتمع. أرجو أن تكون الصورة الآن قد وضحت. وأزيدك أيها القارئ من الشعر بيتا فأقول لك إن أبا بكر الصديق مثلا كان أبا، ومع هذا فقد سارع إلى الإسلام، بينما ظل أحد أبنائه على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كفره ردحا من الزمن قبل أن يسلم، فى الوقت الذى أسلم فيه أبوه قحافة دون تلجلج. كما أن الآباء فى الإسلام مأمورون بأن ينشّئوا أولادهم على الدين والخلق الفاضل القويم وعلى الصلاة وقول الصدق وما إلى هذا. فهل يا ترى يدخلون تحت عنوان "الآباء" بالمعنى الذى تقصده الكاتبة؟ بكل يقين: لا. وعلى هذا فليست المعركة هنا بين التوحيد والبطرياركية (الأبوية) كما تقول الكاتبة: " conflict between monotheism and patriarchy" (ص 121)، بل بين التوحيد والوثنية.

وفى القرآن نسمع كثيرا من الأنبياء والمؤمنين العاديين يدعون لآبائهم أن يباركهم الله ويرضى عنهم بما يفيد أنهم آباء طيبون وأن الدعاء لهم أمر مرغوب ومأجور: فسليمان عليه السلام حين يسمع النملة تقول ماتقول ويفهم عنها نراه يهتف: "رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ" (النمل/ 19). ثم ها هو ذا أحد الأبناء يصر على الكفر، بينما أبواه يدعوانه بكل إلحاح أن يلتحق معهما بطائفة المؤمنين: " وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" (الأحقاف/ 17) .

كذلك نسمع نوحا عليه السلام يبتهل إلى الله قائلا: " رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا" (نوح/ 28) . ولا ننس أنه إذا كان أبو إبراهيم الخليل كافرا فإن أبا إسماعيل وإسحاق (أى إبراهيم نفسه) كان مؤمنا، بل رسولا من عظماء الرسل، مثلما كان إسحاق والد يعقوب رسولا، وكان يعقوب أبو يوسف رسولا . فهؤلاء ثلاثة أجيال من الآباء كانوا يمثلون معسكر الإيمان، وأى إيمان؟ وبالمثل كان زكريا أبو يحيى عليهما السلام، وهو ما يصدق على كل نبى ورسول ومصلح وداعية وكل رجل صالح له أبناء . أليس كذلك؟

وعلى الضفة الأخرى هناك من النساء والأمهات من لا يقصّرن عن الرجال والآباء فى التنفير من دين الله ومحاربته: فلدينا مثلا زوجتا نوح ولوط، اللتان خانتا زوجيهما ولم تؤمنا بدعوتهما . وجاء فى "البداية والنهاية" لابن كثير عن سعد بن أبى وقاص: "أنزل الله فِيَّ "وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" . وذلك أنه لما أسلم امتنعت أمه من الطعام والشراب أيامًا، فقال لها: تعلمين والله لو كانت لكِ مائة نفس فخرجتْ نَفْسًا نَفْسًا ما تركتُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ديني هذا لشيء . إن شئتِ فكُلِي، وإن شئت فلا تأكلي" . وكانت أم جميل زوجة أبى لهب من ألدّ الناس كراهية للرسول ودينه، وكان لها تأثير على ولديها، اللذين كانا خاطبين رقية وأم كلثوم قبل أن يتزوجهما عثمان رضى الله عنه واحدة بعد الأخرى. ومثل أم جميل فى لدد الخصومة مع الإسلام وأتباعه كانت زوجة أخيها هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان قبل أن يكتب الله لها اعتناق الإسلام يوم الفتح. ولدينا أيضا اليهودية التى وضعت السم فى كتف الشاة لتقتل به الرسول عليه السلام لولا أن الله نجاه من تلك المؤامرة. وعندنا سَجَاح، وإن كانت أسلمت بعد حربها المستطيرة للإسلام، لكن بعدما سَوَّت الهوائل! وسَجَاح كاهنة، إلا أنها لم تكن الكاهنة الوثنية الوحيدة عند العرب، بل كان هناك مثلها كاهنات كثيرات يصددن عن دين الله، إن لم يكن من أجل شيء فمن أجل الحفاظ على مكانتهن ومكاسبهن من وراء مهنة الكهانة. وهناك كذلك سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف، التى كانت تحمل رسالة حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين المكيين قبل الفتح بقليل يخبرهم فيها بأنه صلى الله عليه وسلم ينوى غزوهم، إلا أن الله لم يمكنها من إيصال الرسالة، إذ وقعت فى أيدى المسلمين قبل أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تصل إلى مكة. ومن النساء المحاربات للإسلام قينتا عبد الله بن خطل، اللتان كانتا تغنّيان بهجاء الرسول عليه السلام تحريضا على دينه وتبغيضا للناس فيه وصدا لهم عن اعتناقه. فهل نقول: "فَتِّش عن المطرياركية" كما تقول الدكتورة بارلس: "فَتِّش عن البطرياركية" كلما عَنَّ لها أن تفسّر شرًّا أو أذًى ؟ لا، لا نقول هذا لأن الأمهات فى ذلك لسن بِدْعًا، بل تصرُّفهن على هذا النحو أمر طبيعى يفعله الرجال والنساء على السواء. والإنسان، ذكرا كان أو أنثى، هو ابن بيئته إلى حد غير قليل، ويحتاج إلى وقت حتى يمكنه التخلص من آثار البيئة، وبخاصة فى مجال الدين، اللهم إلا إذا كان من طراز نادر، أو تعرّض لرجة عنيفة طيرت النوم من عينيه وأيقظته من غفوته سريعا، أو كانت له مصلحة قوية فى الوضع الجديد.

كذلك ليست الوثنية هى وحدها العقيدة التى تقوم على متابعة الآباء (أى الأجيال الماضية) على ما كانوا عليه، بل ذلك شأن كل دين أو مذهب أو فلسفة أو اتجاه أو تيار أو تقليد يتعرض لدعوة جديدة تنادى بنبذه، سواء فى ذلك البدو والفلاحون والصناع والمثقفون وكل طوائف البشر وطبقاتهم، وكذلك الأدباء والنقاد لدن ظهور أى مذهب أدبى أو نقدى لم تكن للساحة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكتابية به عهد، إذ سرعان ما تنشب المعارك بين القديم والجديد إلى أن يُكْتَب لأحدهما النصر وينزوى الآخر بعيدا عن الأنظار. ومن هذا ما أتت به أمينة ودود وإسراء النعمانى زميلتا كاتبتنا فى الاتجاه النسوى "الإسلامى" من إمامتهما للرجال والنساء فى صلاة الجمعة مما أنكره عليهما كل المسلمين ما عدا أقلية جد ضئيلة. اللهم إلا إذا اتهمت كاتبتنا من أنكر عليهما من المسلمين بأنهم وثنيون، وهو ما لا أظنه، إذ أقصى ما يمكن أن تنبذهم به هو أنهم مغلقو الذهن متعصبون للقديم. ذلك أن السيدة بارلس تدعى أن البطريركية سمة مقصورة على المجتمعات الوثنية: " The basis of the polytheists‟ faith as they themselves declare it is adherence to patriarchal traditions" (ص 112).

وفى النص التالى نسمع يوسف عليه السلام يقول إنه اتبع مِلَّة "آبائه" رغم أنها بطبيعة الحال ملة التوحيد لا الوثنية: "إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ" (يوسف/ 37- 38).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على أن القرآن لا يدعو المسلم إلى مقاطعة أبيه (أو أمه) لو ظل على كفره، بل أمره بإحسان صحبته رغم ذلك، على عكس ما تقول أسما بارلس فى كلامها عن إبراهيم الخليل وأبيه الكافر الذى لم يُصِخْ لدعوة فلذة كبده التوحيدية وظل يعبد الأصنام مع قومه (انظر ص 109 وما بعدها) . ولا يستطيع المسلم أن يغفل الوصية التالية التى توجب عليه معاملة الأبوين الكافرين معاملة طيبة مع التمسك بالحق الذى يمثله التوحيد: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (لقمان/ 14- 15) "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (العنكبوت/ 8) . أما الآية التالية فنزلت بشأن أُمٍّ مشركة أتت من مكة لزيارة ابنتها المسلمة فى بيت زوجها بالمدينة المنورة، فرفضت الابنة أن تستقبلها أو أن تقبل منها هداياها . يقول تعالى: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (الممتحنة/8- 9) . وسبب نزول هذه الآيات أن قُتَيْلَة بنت عبد العُزَّى قَدِمَتْ على ابنتها أسماءَ بنت أبي بكر بهدايا: ضِباب وسمنٍ وأَقِطٍ، فلم تَقْبَل هداياها، ولم تُدْخِلْها منزلها . فسألت عنها عائشةُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: "لا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ" . . . الآية. فأدخلتها منزلها، وقبلتْ منها هداياها .

وهناك حديث آخر فى هذا الموضوع تقول فيه أسماء: "قَدِمَتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: نعم، صِلِي أمك" .

ومُضِيًّا مع هجوم السيدة بارلس على البطرياركية نراها تفسر قوله تعالى عن رسوله محمد عليه الصلاة والسلام: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" (الأحزاب/40) بأن المراد هو أنه لا يصح أن يمارس النبى مع أمته دور الأب،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمعنى أنهم لا ينبغى لهم أن يتبعوا خطواته كما كان الجاهليون يتبعون خطوات آبائهم (ص 121 وما بعدها) . وفاتها أن الآية لا علاقة لها بشىء من هذا، بل نزلت فى سياق مختلف تماما، وهو سياق زواجه عليه السلام بزينب بنت جحش ابنة عمه، التى كانت على ذمة ربيبه زيد بن ثابت. فلما طلق زيدٌ زينبَ بعد أن صارت العشرة بينهما مستحيلة وتزوجها الرسول بعد تردد وشعور بالحرج عاتبه الله عليهما أخذ الناس يتساءلون مستغربين، إن لم يكن مستنكرين: كيف له أن يتزوج امرأة ابنه؟ فنزل القرآن يحكى ما وقع معقبا على الدهشة التى أثارها الزواج بأنها دهشة لا معنى لها، إذ إن زيدا ليس ابنا للرسول، بل هو عبد سابق له أعتقه ثم تبناه، ولكن بعدما نزلت الآية الخامسة من نفس السورة بتحريم التبنى وتم القضاء على هذا النظام لم يعد زيد له ابنا، ومن ثم لم يكن للدهشة ولا الاستنكار أى مكان فى الموضوع. هذا هو معنى الآية، أما ما قالته بارلس فلا معنى له، ولا يمكن أن يستقيم أبدا .

ولقد فات المؤلفةَ شىءٌ فى الغاية من الأهمية، وهو أن الرسول، وإن لم يكن أبا لأحد من رجال العرب، لقد كان أبا لعدد من نسائهم، وهن زينب وأم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كلثوم ورقية وفاطمة، علاوة على إبراهيم، الذى سيولد له بعد ذلك بقليل وسيكون من ثم بسببه أبا لأحد من العرب، ولكن لفترة جد قصيرة للأسف الشديد، إذ سرعان ما صَوَّحَتْ تلك الزهرةُ الغضةُ الندية وهى فى رِيْعَان نضارتها وزهَائها . وتجاه المرأة تتحقق بطرياركية الرجل أوضح وأقوى من تحققها تجاه أمثاله من الرجال، إذ البطرياركية هى تحكم الرجال فى النساء بالدرجة الأولى قبل أن تكون تحكما فى بنى جنسهم الخشن. أى أن الآية لا يمكن أن تعنى ما تزعمه السيدة بارلس.

بل لقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم أب للأمة كلها . ففى "الإشراف فى منازل الأشراف" مثلا: "حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا الحكم بن ظهير عن السدى: في قوله تبارك وتعالى: "هَؤلاءِ بَناتي هُنّ أَطهَرُ لَكُم " قال: عرض عليهم نساء أمته. كل نبي فهو أبو أمته. وفي قراءة عبد الله: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو أب لهم ، وأزواجه أمهاتهم ". ولست أقول بصحة هذه القراءة، بل ألفت النظر فقط إلى دلالتها على أن المسلمين كانوا ينظرون إليه صلى الله عليه وسلم بوصفه أبًا لهم: على سبيل التعظيم والتبجيل من جهتهم، وعلى سبيل القيام بأمورهم من جهته هو. وهذا هو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذى يهمنا فى هذه المسألة. وقد أرود أيضا الجاحظ فى "رسائله" والراغب الأصفهانى فى "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء" تلك القراءة.

وفى باب "ذِكْر ما نَعَتَ الله عز وجل به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في كتابه من الشرف العظيم مما تَقَرُّ به أعين المؤمنين " من كتاب الآجرى: "فهرس الشريعة" يقول المؤلف: "أعلمنا مولانا الكريم أن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه إذا أمر فيهم بأمر فعليهم قبول ما أمر به، ولا اختيار لهم إلا ما اختار رسولهم لهم: في أهليهم، وفي أموالهم وفي أولادهم، فقال جل ذكره: النبيُّ أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجُه أمهاتهم".

"وفى تفسير الطبرى للآية السادسة من سورة"الأحزاب" نقرأ ما يلى:

"عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما مِنْ مُؤْمِنٍ إلاّ وأنا أوْلَى النّاسِ بِهِ فِي الدّنْيا والاَخِرَةِ. اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ: "النّبيّ أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ". وأيمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مالاً فَلِوَرَثَتِهِ وَعَصَبَتِهِ مَنْ كانُوا، وَإنْ تَرَكَ دَيْنا أوْ ضِياعا فَلْيأْتِني وأنا مَوْلاهُ. . . عن أبي موسى إسرائيل بن موسى، قال: قرأ الحسن هذه الاَية النّبيّ أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ، وأزْوَاجُهُ أمّهاتُهُمْ قال: قال الحسن: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: أنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِه. قال الحسن: وفي القراءة الأولى: "أَوْلَى بالمُؤْمنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ" . . . عن قتادة، قال في بعض القراءة: "النّبيّ أَوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ". وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: أَيمَا رَجُلٍ تَرَكَ ضِياعا فَأنا أَوْلَى بِهِ، وَإِنْ تَرَكَ مالاً فَهُوَ لِوَرَثَتِه" .

ثم كيف فات الكاتبة قوله سبحانه وتعالى عن الرسول فى الآية السادسة والثلاثين من سورة "الأحزاب": "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا"؟ أم كيف فاتها قوله عز شأنه فى الآيتين 62- 63 من سورة "النور": "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"؟ أليس يدل هذا على أن للرسول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلطانا على المؤمنين فى بعض الأمور لا يصح أن ينفكوا عنه؟ فماذا تقول السيدة الكاتبة فى كل هذا ؟

وعلى كل حال فهأنذا أورد كلامها فى الفقرة التالية:

"It is in the context of the history of this conflict between monotheism and patriarchy that we need to interpret the Qur‟ān‟s categorical assertion that even though he is „closer To the Believers than Their own selves‟ (33:6; in Ali, 1104), „Muhammad is not The father of any Of your men, but (he is) The Apostle of God, And the seal of the Prophets‟ (33:40; in Ali, 1119).While this Āyah meant to clarify the Prophet‟s relationship to his adopted son, its assertion that he does not stand in the symbolic relationship of father to his own community returns us once again to the role of fathers, and it does so by refusing to consecrate them! From the denial of symbolic fatherhood to the Prophet, which exegetes pass over in silence, I derive the lesson that, in Islam, God‟s Rule displaces rule by the father, whether or not the father is a believer. At the same time, the concept of imām (which does not give the sense of rule/sovereignty and is not sex/gender specific) displaces the imaginary of the father altogether. In other words, the Qur‟ān views

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

fathers in a fundamentally different way than patriarchies do (see Chapter 6 as well)".

وواضح أن الكاتبة قد أخطأت خطأ كبيرا حين فسرت الآية الآنفة الذكر فى ضوء ما تقول إنه صراع بين التوحيد والبطريركية، خالعة إياها بكل قسوة من سياقها الطبيعى الذى لا علاقة له بهذا الصراع، بل بزواج النبى من زينب بنت جحش فحسب. والأمران، كما نرى، مختلفان تمام الاختلاف. وهو ما أعجب له أشد العجب ولا أفهمه منها هى بالذات، إذ هى تلح فى الكتاب الذى فى أيدينا إلحاحا شديدا على أهمية السياق بالنسبة لدارس القرآن حتى لتقول (ص 168– 169) بالحرف ناعية على من يفسرون القرآن قِطَعًا منفصلةً أو مقطوعةً عن سياقها: "

My argument so far has been not that we cannot read the Qurʿān in patriarchal or oppressive modes, but that such readings result from reading the text in a piecemeal and decontextualized way, for instance, by privileging one word, or phrase, or line, or Āyah, over its teachings as a whole, and/or by focusing on its less clear Āyāt at the "expense of those of fundamental meaning

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفوق ذلك فإن آيات القرآن تصرّ رغم هذا على وجوب طاعة النبى عليه السلام وتقرن كثيرا بين طاعته وطاعة الله سبحانه، لا لشىء إلا لأنه ينطق باسم السماء باعتباره نبيا يُوحَى إليه ولا يأتى بشىء من عنده. أى أن المسلمين مأمورون باتباع ما يأتى به النبى أشد مما كان الكفار يتبعون آباءهم ويجرون على آثارهم. وهو ما عادت السيدة بارلس فقالته على نحو أو على آخر فى الصفحة الثانية والعشرين بعد المائة. إلا أن ما لاحظْته على بعض صفات رسول الله عليه السلام من أنها صفات "نسوية" (ص 122) هو أمر يبعث على الضحك، فقد ذكرتْ بين تلك الصفات "النسوية" نزارة الكلام. ذلك أن هذه الصفة هى أبعد ما تكون عن شخصية النساء، إذ المرأة بوجه عام تحب الثرثرة حتى لتُضْرَب بها الأمثال فى تلك الصفة. وعلى أية حال فطاعة المسلم لأبيه وأمه واجبة، وعقوقه لهما إثم كبير: " أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، علمني عملا إذا أنا عملته دخلت الجنة. قال: لا تشرك بالله شيئا وإن عُذِّبتَ وحُرِّقْتَ، وأطع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شيء هو لك"، "لا تشرك بالله شيئا وإن قُتِلْتَ وحُرِّقْتَ، ولا تَعُقَّنَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ستقول السيدة بارلس: هل يطيعه فى الشرك والإثم؟ فنجيب بأنه " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، وأنه "إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به عِلْمٌ فلا تطعهما"، ولكنْ "صَاحِبْهما فى الدنيا معروفا" رغم هذا .

كذلك فالقرآن يوجب احترام الكبار بإطلاق. أفليس أحرى بالأبناء إذن أن يحترموا آباءهم، على الأقل لكبر سنهم، وتأدية لواجبهم نحوهم لقاء عطفهم عليهم وتنشئتهم إياهم وقيامهم بحاجاتهم وبِرّهم بهم فى صغرهم حتى شبوا ونضجوا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف شرف كبيرنا " . وبهذا يتبين الفرق بين متابعة الأبناء للآباء فى الجاهلية وبين طاعتهم لهم فى الإسلام، فلا خوف إذن من الخلط بين الأمرين. ولقد يبلغ البر بالأب فى الإسلام المبلغ الذى يقول فيه الرسول عليه الصلاة والسلام لمن أتاه يشكو من أن أباه يريد أن يأخذ من ماله للإنفاق على إخوته الصغار: أنت ومالك لأبيك. وهذا نص الحديث، وفيه "أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن لي مالا وولدا، وإن والدي يحتاج مالي. قال: أنت ومَالُكَ لأبيك. إن أولادكم من كَسْبكم، فكلوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من كَسْب أولادكم" . فما الذى يريده بعضنا بعد هذا لنعرف مكانة الأب ووجوب احترامه فى دين محمد ؟

ومع هذا فإن احترام الأب شىء آخر غير البطرياركية، فالابنة مثلا هى صاحبة الحق فى الموافقة على الخاطب الذى يتقدم لطلب يدها أو رفضه دون أن يكون للأب الحق فى إكراهها على الاقتران بمن لا تريد . كما أن للبنت الحق فى التعليم والتربية الكريمة مثل الولد سواء بسواء . وهذه بعض أحاديث فى ذلك الموضوع: " ليس للأب مع الثَّيِّب أمر، والبكر تُسْتَأْمَر، وإذنها صُمَاتها"، "تُسْتَأْمَر اليتيمة في نفسها: فإن سكتت فهو إذنها، وإن أبت فلا جواز عليها"، "جاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أَجَزْتُ ما صنع أبي. ولكن أردت أن تعلم النساء أنْ ليس للآباء من الأمر شيء"، "من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة. قيل: يا رسول الله، فإن كانتا اثنتين؟ قال: وإن كانتا اثنتين. قال: فرأى بعض القوم أنْ لو قال: واحدة، لقال: واحدة"، "من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكساهن من جِدَتِه كن له حجابا من النار يوم القيامة" . كذلك ترث البنت من مال أبيها كما يرث الولد رغم أنها لا يجب عليها شرعا أن تقوم بنفقة أحد من الأسرة، بل هو. وإذا كان الابن يرث ضِعْفَىْ نصيب الابنة فهناك إناث أخريات فى مستوياتٍ ودرجاتٍ أخرى من القرابة يَرِثْنَ نصيبا أكبر من نصيب نُظَرائِهِنّ الذكور، علاوة على أن الولد حين يكبر ينفق ماله على نفسه وزوجه وأولاده، وعلى أبيه وأمه إذا لزم الأمر، على حين لا يجب على أخته شرعا شىء من ذلك.

ومن هذا يتبين لنا أن هناك فروقا بين الذكر والأنثى لا من الناحية البيولوجية فحسب، بل من ناحية الواجبات والحقوق الاجتماعية والأخلاقية. فالرجل يجب عليه القيام ببعض الأدوار التى لا تجب على المرأة كالإنفاق على الأقارب من زوجة وأبناء مثلا. كما أن من واجبات الرجال الجهاد، وهو واجب لا تعرفه النساء. فعن عائشة رضى الله عنها: "قلت: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج: حج مبرور. فقالت عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم" . وهناك لون من الشهادة أمام القاضى تتساوى فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شهادة امرأتين اثنتين وشهادة رجل واحد كما جاء فى الآية الثانية والثمانين بعد المائتين من سورة "البقرة" . كذلك فإن الصلاة تسقط عن المرأة أيام حيضها ونفاسها ولا تقضى شيئا منها، فضلا عن أنها تفطر أثناء ذلك، وإن كان عليها القضاء بعد انقطاع الدم. وفى الحج يختلف ملبس الرجال عن ملبس النساء كما يعرف الجميع. ولا ننس أن المرأة لا تتولى منصب الخلافة على الأقل ولا تؤم الرجال فى الصلاة. أما الرجال فيؤمون كلا من الجنسين. وإضافةً إلى ذلك فإن المرأة لا يحق لها خِطْبة الرجل بل الخطبة له هو، مثلما عليه هو المهر لا عليها . وعلى هذا فغير صحيح ما قالته المؤلفة (ص 165) من أن القرآن، وإن أقر بالخصوصية الجنسية للرجل والمرأة، لم يرتب على ذلك أى معنى ولا جعل له أية رمزية. وهذه عبارتها نصًّا: " The Qurʿān recognizes sexual specificity but does not assign it gender symbolism. Since the Qurʿān does not invest biological sex with content or meaning, being male or female does not in itself suggest a particular meaning".

وهنا أود أن أقف بوجه خاص لدن قول د . بارلس (ص 166) إن الفروق بين الرجل والمرأة لا يمكن أن تشير إلى أية قيمة خِلْقِيّة، وإلا لم يكن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لحرية الإرادة من معنى: " Whatever differences exist between women and men ,,could not indicate an inherent value‘‘ because, if they did, the concept of ,,free will would be meaningless‘‘"، فهو قول لا معنى له، إذ ما علاقة وجود فروق بين الرجال والنساء بانتفاء المعنى من حرية الإرادة الإنسانية؟ إن الفروق الفردية موجودة بين كل إنسان وآخر، وهذه الفروق لا يترتب عليها شيء مما تعلن الكاتبة خشيتها منه ومن تداعياته.

فما الفرق بين أن تكون هناك فروق فردية وبين أن تكون هناك فروق نوعية بين البشر؟ إن الحساب الإلهى لهو حساب عادل ودقيق، ويراعى ظروف كل شخص أيا كانت تلك الظروف: سواء كانت ظروفا نفسية أو اجتماعية أو طبقية أو مهنية أو أسرية أو اقتصادية أو ثقافية أو سياسية أو بيولوجية. . . وهلم جرا، إذ ما من شيء من ذلك إلا وله تأثير ما على شخصية الفرد وعقله وذوقه وحسه الخلقى وسلوكه ونظرته إلى الحياة وإرادته. ألم يقل جل شأنه: "لا يكلّف اللهُ نفسًا إلا وسعها"؟ والإرادة البشرية ليست شيئًا مطلقا، بل تخضع لضغوط ومحفّزات ومعوّقات ومؤثّرات شتى، وكل شيء من ذلك يدخل فى الحسبان وفى الحساب. وهذا مظهر من مظاهر العدل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإلهى، الذى لن تخضع له وحده المحاسبة الأخروية، بل هناك أيضا رحمة الله لعباده، تلك الرحمة التى من الممكن أن تغفر الذنوب جميعا كما قال المولى عز شأنه: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (الزمر/ 53).

وإلى القارئ الكريم هذه النصوص التى تبين اختلاف الحساب الإلهى للبشر ما بين كل حالة وأخرى رغم أن العمل واحد: "وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ" (التوبة/ 101)، "يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا" (الأحزاب/ 30- 31)، "وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (الحديد/ 10).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن على بن أبى طالب قال: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير وأبا مرثد، وكلنا فارس، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة حاج، فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأتوني بها. فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسير على بعير لها، وكان كَتَبَ إلى أهل مكة بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقلنا: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب. فأنخنا بها بعيرها، فابتغينا الكتاب في رحلها فما وجدنا شيئًا. فقال صاحبي: ما نرى معها كتابا. قال: فقلت: لقد عَلِمْنا ما كَذَب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم حلف عليٌّ: والذي يُحْلَف به لتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لأُجَرِّدَنَّك. فأَهْوَتْ إلى حُجْزتها، وهي محتجزةٌ بكِسَاء، فأخرجت الصحيفة. فأَتَوْا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان اللهَ ورسولَه والمؤمنين. دعني فأضرب عنقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا حاطب، ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ؟ قال: يا رسول الله، ما بي ألا أكون مؤمنا بالله ورسوله. ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يَدٌ يُدْفَع بها عن أهلي ومالي. وليس من أصحابك أحد إلا له

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله. قال: صَدَقَ، ولا تقولوا له إلا خيرا. قال: فعاد عمر فقال: يا رسول الله، قد خان اللهَ ورسولَه والمؤمنين. دعني فلأضرب عنقه. قال: أوليس من أهل بدر؟ وما يدريك؟ لعل الله اطَّلَع عليهم فقال: اعملوا ما شئتم، فقد أوجبتُ لكم الجنة.

فاغرورقت عيناه، فقال: الله ورسوله أعلم"، "ثلاثة يُؤْتَوْن أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأَمَة فيعلّمها فيحسن تعليمها، ويؤدبها فيحسن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران، ومؤمنُ أهلِ الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فله أجران، والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده"، "إنكم في زمانٍ مَنْ ترك منكم عُشْر ما أُمِر به هلك، ثم يأتي زمانٌ من عمل منكم بعُشْر ما أُمِر به نجا"، "الماهر بالقرآن مع السَّفَرَة الكرام البَرَرَة، والذي يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران"، "المملوك الذي يحسن عبادة ربه، ويؤدي إلى سيده الذي عليه من الحق والنصيحة والطاعة، له أجران"، "للجبان أجران"، "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أيّ الصدقة أعظم أجرا؟ قال: أن تَصَدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتَأْمُل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغتِ الحلقوم قلتَ: لفلان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان"، "إذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشَغَلَه عنه مرض أو سفر كُتِب له كصالحِ ما كان يعمل وهو صحيح مقيم"، وعن علي: "ثلاثة يبغضهم الله تعالى: الشيخ الزاني، والغني الظَّلُوم، والفقير المختال"، وعن عبد الله بن مسعود: "قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نِدًّا وهو خَلَقَك. قال: فقلت: ثم أيٌّ؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يأكل معك. قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك"، "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: ما تقولون في الزنا؟ قالوا: حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بحليلة جاره. قال: ما تقولون في السرقة؟ قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام إلى يوم القيامة. قال: لأَنْ يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره".

وعَوْدًا إلى موضوع احترام الأبوين فى الإسلام نقول إن الأم لها نفس التبجيل والبر والاحترام الذى للأب وزيادة. ففى الحديث مثلا " أن رجلا سأله فقال: يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ بحُسْن صُحْبَتي؟ فقال له رسول الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صلى الله عليه وسلم: أمك. قال: ثم من يا رسول الله؟ قال: أمك. قال: ثم من يا رسول الله؟ قال: أمك. قال: ثم من يا رسول الله؟ قال: أبوك" .

وقد مر بنا كيف يوجب القرآن على المسلم أن يصاحب والديه فى الدنيا معروفا حتى لو أمراه بالرجوع إلى الكفر. لكن هذا شيء، وإطاعته إياهما فى الكفر شيء آخر، إذ لا طاعة فى الكفر حتى لو انطبقت السماء على الأرض.

ويوضح الحديث التالى كيف أن لعطف الابن على أبويه (أبويه جميعا لا أبيه وحده) مكانة عظيمة عند الله حتى ليستجاب به الدعاء فى المآزق الصعبة التى تبدو وكأنْ لا مخرج منها: "خرج ثلاثة يمشون، فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة. قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه. فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي أبويَّ فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي. فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان. قال: فكرهت أن أوقظهما، والصِّبْيَة يتضاغَوْنَ عند رجلي. فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر. اللهم إن كنت تعلم أني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء . قال: ففرج عنهم. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار. فسعيت حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فقمت وتركتها . فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة. قال: ففرج عنهم الثلثين. وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرْقٍ من ذرة فأعطيته، وأبى ذلك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها . ثم جاء فقال: يا عبد الله، أعطني حقي. فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها، فإنها لك. فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت: ما أستهزئ بك، ولكنها لك. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا . فكشف عنهم" .

ومما أحب التريث أمامه من كلام د . بارلس فى كتابها أيضا نَفْيُها فى النص التالى أن تكون فى الإسلام أية بطرياركية بالمعنى الذى حددته الباحثة كارول بيتمان. قالت (ص 167): " To understand this point, it is necessary to recall Carole Pateman‟s definition of traditional patriarchy as having been symbolized by the „law of the father, the

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

untrammeled will of one man.“ This form, as feminists note, gave the father-husband „nearly total ownership over wife or wives and children, including the powers of physical abuse and often even those of murder and sale“". وأنا معها تماما فى خلو الإسلام من البطرياركية بهذا المعنى البشع، إذ الإسلام لا يعرف ولا يرضى أن تكون كلمة الرجل أو سلوكه فى البيت قانونا واجب التنفيذ دون نقاش أو مراجعة مثل القضاء والقدر وكأنه يملك أفراد الأسرة، ويستطيع أن ينزل بهم كل ما يَعِنّ له من ضرب وإهانة واستغلال وقتل وبيع. فالرجل، سواء كان زوجا أو أخا أو ابنا، إنما يخضع للشريعة شأنه شأن المرأة والأولاد سواء بسواء لا يفترق عنهم فى ذلك قيد شعرة.

لكن هذا لا ينبغى أبدا أن يحيف على المبدإ الذى أرساه القرآن والذى بمقتضاه تكون للزوج على الزوجة درجة وأن تكون القِوَامة فى البيت من حقه، وإلا فكيف تمضى سفينة الحياة من غير ربان يشرف عليها ويسوسها ويُسْأَل عنها ويقوم بواجباته نحوها فيحفظها ويرعاها ويتابع شؤونها ؟

لكنى فى ذات الوقت لست معها ولا يمكن أن أكون معها فى إنكارها أن يكون القرآن قد جعل للرجل حكم الأسرة أو الإشراف عليها أو حتى مجرد كونه رأسا لها (أسفل ص 167): " the Qur'ān not only

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

does not link the rights of fathers and husbands in this way, but it also does not appoint either one a ruler or guardian over his wife (and children), or even as the head of the household". ذلك أنه ما من مؤسسة فى الدنيا إلا ولا بد أن يكون لها رئيس. والقول بوجوب وجود رئيس لأية مؤسسة لا يعنى أبدا أن يتملك الرئيس أفراد تلك المؤسسة أو يكون له الحق فى قتلهم أو بيعهم أو استرقاقهم أو تشويههم مثلا. إن هذا غير ذاك. وقد رأى القراء كيف وافقت المؤلفة على أنه ليس من حق الأب أن يتحكم فى أفراد أسرته تحكم المالك أو المستعبد. إلا أن هذا شىء، وموافقتها على ماتقول من أنه ليس من حق الأب أو الزوج مجرد رئاسة الأسرة شىء مختلف تمام الاختلاف. ولقد قال القرآن الكريم كلمته فى هذا الصدد، وليس بعد قول الله أى قول آخر ما دمنا نقول إننا مسلمون. أما إن قال أحدهم إنه غير مسلم، ومن ثم لا يلزمه ما جاء فى القرآن فهذا شىء آخر، ويكون له رد مختلف سبق أن رددنا به، وهو أن تاريخ البشرية يقول بأجلى بيان إن الرجل هو رأس الأسرة، علاوة على ما يتفوق به الرجل على المرأة، ولو من حيث القوة الجسدية وحدها فيما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لو قيل إن المواهب التى أفاضها الله على الرجل لا تفترق فى شىء عن تلك التى أفاضها على المرأة، وهيهات.

وإذا كانت بعض الأنظمة قديما قد أعطت الرجل حقوقا ظالمة فلا يصح أن تُشْهَر هذه الحجة فى وجوهنا، إذ قلنا وكررنا القول بأننا إنما نتكلم عن قوامة الرجل للأسرة ليس إلا. لقد بلغت مكانة الأب فى الإسلام أن يقول الرسول الكريم إن أَبَرَّ البرّ هو أن يَوَدَّ الرجلُ من كان أبوه يَوَدُّه فى حياته. فانظر، أيهاالقارئ العزيز، كيف تصل مكانة الأب فى دين محمد عليه الصلاة والسلام إلى المدى الذى يطالَب عنده المسلم بمراعاة تلك المكانة حتى بعد وفاته: "عن عبد الله بن عمر أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة ، فسلم عليه عبد الله ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه. فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله. إنهم الأعراب، وهم يَرْضَوْن باليسير. فقال عبد الله : إن أبا هذا كان وادًّا لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أَبَرَّ البرّ صلة الولد أهل وِدّ أبيه". وانظر كذلك، أيها القارئ العزيز، كيف ينهى رسول الله المسلمين عن الانتساب إلى غير آبائهم كفارا كانوا أو مؤمنين، إذ يقول: " لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تَرْغَبوا عن آبائكم ، فمَنْ رَغِبَ عن أبيه فإنه كُفْر " . و"عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل يوصيكم بأمهاتكم. إن الله يوصيكم بآبائكم. إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب " . وجاء رجل من بني عامر إلى النبى فقال: "يا رسول اللّه، إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن " . قال: "احْجُجْ عن أبيك واعْتَمِرْ" . و"عن جابر بن عبد الله أن رجلا قال: يا رسول الله ، إن لي مالا وولدا ، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي. فقال: أنت ومالك لأبيك" .

ولقد تكرر من النبى استعماله صيغة "وأبيك" كنوع من التأكيد لما يقوله، وفى هذا من المغزى عن مكانة الأب فى الإسلام ما فيه رغم ما فى الكلمة من عفوية لا علاقة لها بالقسم: "عن أبي العشراء الدارمي عن أبيه أنه قال: يا رسول الله أما تكون الذكاة إلا في الحلق واللَّبَة ؟ قال: وأبيك لو طعنت في فخذها لأَجْزَأَ عنك" . و"عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، نَبِّئْني بأحقّ الناس مني بحسن الصحبة . فقال : نعم، وأبيك لتُنَبَّأَنَّ! أُمُّك. قال: ثم من؟ قال: أمك . قال: ثم من؟ قال: أبوك" . و"عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسلم فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا ؟ قال: أَمَا وأبيك لتُنَبَّأَنَّه . أن تَصَدَّق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر وتَأْمُل البقاء ولا تَمَهَّل حتى إذا بلغتِ الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان" .

ويقول القرآن فى وضوح ما بعده وضوح: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا" (النساء/ 34) . وفى حق الرجل على امرأته نقرأ "عن قيس بن سعد قال: أتيتُ الحيرة فرأيتُهم يسجدون لمرزبانٍ لهم، فقلت: رسول اللّه أحقُّ أن يُسْجَد له . قال: فأتيت النبي صلى اللّه عليه وسلم فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبانٍ لهم، فأنت يارسول اللّه أحق أن نسجد لك . قال: أرأيتَ لو مررتَ بقبري أكنتَ تسجد له؟ قال: قلت: لا . قال: فلا تفعلوا . لو كنت آمراً أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ النساء أن يسجدن لأزواجهنَّ، لما جعل اللّه لهم عليهنَّ من الحقِّ" . و"عن قيس بن طلق، عن أبيه طلق بن علي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا الرجل دعا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زوجته لحاجته فلتأته، وإن كانت على التنور" . و"عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة" . ولكن للمرأة على زوجها هى أيضا حقوقا: " عن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه قال: قلت: يارسول اللّه، ما حقُّ زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها إذا طَعِمْتَ، وتكسوها إذا اكتسيتَ ، ولا تضرب الوجه ولا تقبّح، ولا تهجر إلا في البيت. قال أبو داود: "ولا تقبّح" : أن تقول: قَبَّحَكِ اللّه" . و"عن بهز بن حكيم، حدثني أبي، عن جدي قال: قلت: يارسول اللّه، نساؤنا ما نأتي منهن وما نَذَرُ؟ قال: "ائْتِ حَرْثَك أَنَّى شئتَ، وأطعمها إذا طَعِمْتَ، واكْسُها إذا اكتسيتَ، ولا تُقَبِّحِ الوجه، ولا تضرب" . و"عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم" .

قد تقول السيدة بارلس إن الآيات التى تتحدث عن قوامة الرجل وأشباهها إنما نزلت للعرب فى عصر المبعث وحدهم، على عكس آيات أخرى نزلت لكل العصور وكل الأمم، حسبما جاء فى الصفحة الثامنة والستين بعد المائة من الكتاب الذى بين أيدينا . ونقول نحن بدورنا: وكيف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عرفت الكاتبة أن هذه الآية الفلانية قد نزلت لعرب ذلك العصر وحدهم من دون البشر جميعا بخلاف الآية العلانية التى نزلت للبشر فى كل العصور وكل البيئات؟ أين فى القرآن أو فى أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ما ينصّ على هذا ؟ ذلك أن الأمر ليس يرجع إلى أهوائنا، بل إلى نص واضح صريح فى هذا السبيل يزيل الإشكال، إن كان ثمة إشكال. أما أن تظن أنه ليس عليها إلا أن تقول ما يَعِنّ لها فنَخِرّ نحن على ما تقول صُمًّا وبُكْمًا وعُمْيًا فليس من الإنصاف ولا من الحصافة فى شىء.

ولقد قال د. محمد النويهى بمثل ما قالته بارلس فى كتابه: "نحو ثورة فى الفكر الدينى"، الذى أعيدت طباعته هذه الأيام، ولكن دون أن يورد دليلا واحدا على صحة ذلك الزعم العجيب الذى لم يقل به أحد طوال الأربعة عشر قرنا الماضية، فضلا عن مناقضته للقرآن المجيد والحديث الشريف، اللذين كررا وأكدا عالمية الرسالة المحمدية، أى امتدادها بحيث تغطى الأمم والعصور جميعا. ومن المعروف أن الحكم الذى يورده القرآن إذا كان مؤقتا فإن القرآن ذاته سرعان ما ينسخه مبينا صراحةً أو ضمنًا أن العمل به قد انتهى وأنه إنما كان تشريعا مؤقتا لا يُقْصَد به التأبيد. وأتصور أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السبب فى ذلك أن هذا الحكم الأولى لا يساير الطبيعة البشرية مسايرة دائمة، بل قُصِد به حفز المسلمين لإنجاز أكبر قدر من العمل الطيب فى الدفعة الأولى كقوله تعالى مثلا: " لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (البقرة/ 284)، الذى نزل بعده قوله جل شأنه من نفس السورة: "لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (البقرة/ 286). ومنه قوله عَزَّتْ قدرته: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ" (الأنفال/ 65)، إذ سرعان ما نزلت الآية التالية له قائلة: "الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (الأنفال/ 66). ولقد كان من الواضح أن د. النويهى يجعل الاشتراكية هى الأساس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذى ينبغى أن نلتزم به ولا نحيد عنه بحيث إذا تناقض القرآن والاشتراكية فإن الاشتراكية تكسب، ويخسر القرآن. وهو ما يعنى بكل وضوح أن الاشتراكية دائمة، والقرآن زائل، وأن أحكامه، التى تنزل ليلا ما إن يطلع عليها النهار حتى تسيح كما يسيح الزبد، ولا من شاف ولا من درى.

ولقد كتب د. النويهى هذا فى عهد جمال عبد الناصر، وكان متحمسا تحمسا شديدا للاشتراكية ولما كان عبد الناصر يأتيه من قرارات أو ينفذه من تطبيقات باعتباره التقدم كل التقدم، دون أن ينبس بكلمة واحدة عن الاستبداد المروع الذى كان ترزح مصر تحته آنذاك، والذى أخرس الألسن إخراسا فلم تعد تنطق ببنت شفة. ولقد زالت الاشتراكية والشيوعية من كل بلاد العالم تقريبا، إذ ثار عليها وعلى الحكومات التى كانت تقوم عليها فى بلاد الكتلة الشرقية أولَ من ثار العمال والفلاحون، كما اختفت من مصر وحلت محلها ليبرالية تختلف معها على طول الخط، ومع هذا فوجئنا بكتاب د. النويهى يعاد نشره رغم ما فيه من تحمس شديد للنظام الاشتراكى الذى لم يعد له وجود فى مصر ولا فى غير مصر. والسبب؟ السبب هو جعل الكتاب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاشتراكية حاكمة على نظام الإسلام التشريعى بحيث إذا تعارض الإسلام والاشتراكية كسبت الاشتراكية على طول الخط دون إحِمٍ ولا دستور.

ومن العجب العاجب أن الأستاذة بارلس تؤكد أن المرأة فى الجاهلية وعصر الرسول كانت تتمتع بوضع اجتماعى راق (ص 169). إذن فكيف تزعم أن الآيات التى تظن هى أنها لا تلائم المرأة قد نزلت فى ذلك العصر مسايرة له؟ أية مسايرة، وهى تقول بعظمة لسانها إن وضع المرأة كان متقدما كثيرا؟ لقد كان الأولى، لو كان تأديب الرجل لزوجته التى لا تريد أن تفىء إلى صوت العقل فتحرص ألا ينهدم بناء الأسرة مما لا يليق من ناحية المبدإ على الأقل، أن تنزل آية تحرم التعرض للمرأة بأية وسيلة لافتةً النظر إلى ما أحرزته من وضع اجتماعى راق لا يليق معه أن يتعرض الزوج لزوجته بشىء مهما تكن الظروف. على أن الكاتبة لا تكتفى بما قالته عن مسايرة القرآن للأوضاع السائدة وقتذاك، وكأن القرآن إنما أتى لتثبيت الأوضاع المعوجة لا لهدمها، وهو ما يقلب أمره رأسا على عقب كما نرى، بل تزيد على ذلك اتهامها للمفسرين بأنهم هم الذين أنطقوا القرآن بما ليس فيه (ص 168). وهذا يقودنا إلى التساؤل الخطر: من يا ترى أولئك المفسرون الذين فعلوا ذلك؟ لقد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انطلق المفسرون فى فهمهم للنص القرآنى الكريم مما قاله الرسول من أحاديث أوردنا بعضها فيما مر. أى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه المفسر الأول قد خضع، بناء على ما تقوله بارلس، لضغوط البيئة التى أتى لتغييرها، وهو ما يعنى أن الآية قد انقلبت معه، وبدلا من أن يغير هو البيئة إلى الأفضل غيرته هى إلى الأسوإ. وهذا كلام لا يقول به مسلم. تقول بارلس فى تلك النقطة:

"Contextualizing the Qurʿān's teachings thus is necessary for understanding their rationale. It also is necessary in order to distinguish between the universal and the specific, so as to avoid generating readings that are oppressive for women. This is not to say, however, that oppressive and restrictive readings arise only from ignoring the contexts of the Qurʿān's teachings; rather, they arise also from specific epistemologies and methodologies employed to read the text, as I argued in Chapters 2 and 3".

وبعد، فإذا كان المقصود بالدعوة النسوية استخلاص حقوق المرأة فى المجتمعات التى تظلمها فأهلا بها وسهلا، بل هى من أوجب الواجبات. وقد أتى الإسلام فى هذا المجال بروائع وبدائع، لكنه نبه إلى أن الحياة تعاون بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرجل والمرأة، وأن كلا منهما بحاجة ماسة إلى الآخر، إذ لا يمكن أن تسير أمور الدنيا بقدم واحدة، مثلما لا يمكن اليد الواحدة أن تصفق. أما إن تحولت النسوية إلى معاداة للرجل وتمرُّد عليه لوجه التمرد وتنكُّر لفطرة الله التى فطر النساء عليها فإنها تقود إلى ما لا تحمد عقباه.

وفى الأساطير الإغريقية أن جماعة من النساء قد تمردن على الرجال وأقمن مجتمعا يخلو تماما من جنس الذكور، فانتهى بهن الأمر إلى عوج فى الفكر وشذوذ فى السلوك وخروج على مقتضيات الإنسانية، ثم إنهن بعد هذا كله لم يستطعن الاستغناء عن الرجال، ولم ينلن إلا الخذلان. وقد انتصر الرجال فى نهاية المطاف، وعادت ريمة لعادتها القديمة. لقد كن حريصات على أن يخلو مجتمعهن من الذكور خلوا تاما، إلا أنه كان من المستحيل عليهن، كما هو متوقع، أن يستغنين عن الرجال، فكن يَلْقَيْنَهم مرة واحدة فى العام من أجل التناسل، ثم ينفينهم عقب ذلك خارجا مرة أخرى. وإذا ما ولدن ذكرا قتلنه أو ألقينه بعيدا عن مجتمعهن. كما بلغ من شذوذهن أنهن كن يستأصلن أثداء صغيراتهن اليمنى كى يستطعن، حين يكبرن ويَصِرْنَ محاربات يفوّقن السهام إلى نحور الأعداء فى الحرب، أن يضعن مكان أثدائهن اليمنى الأقواس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويشددنها على آخرها براحتهن دون عائق منها . وكانت النتيجة أن حاربهن الرجال وهزموهن وأخضعوهن لسيادتهم من جديد .

وفى نساء المسلمين هذه الأيام ورجالهم مَنْ فقد حصافته وشرع يؤرث العداوة والبغضاء بين الرجل و المرأة وكأننا فى حربٍ عَوَانٍ لا بد أن تنتهى بالنساء غالبات ومذلات للرجال، وإلا فلا سلام ولا كلام. وهى دعوة من شأنها أن تفسد على المجتمعات سلامها وتراحمها وتصيّرها جحيما للرجل والمرأة جميعا، بل للمرأة قبل الرجل.

وإلى القارئ مادة "أمازونيات" كما جاءت فى "الموسوعة العربية العالمية": "الأمازونيات: سلالة من النساء المحاربات في الأساطير الإغريقية عشن في آسيا الصغرى في منطقة تُدعى : كابادوسيا . لم تكن الأمازونيات يلتقين بالرجال إلا في المعارك أو في زيجات مؤقتة مع الجورجارينسيين، وهم شعوب مجاورة. قتلت الأمازونيات كل أولادهن الذين ولدوا نتيجة ذلك التزاوج، لكنهن أبقين بناتهن وربينهن على فن الحرب. وهناك العديد من الإشارات إلى الأمازونيات في الأدب الإغريقي القديم. يقال، على سبيل المثال، إن البطل الإغريقي الأسطوري هرقل قاد حملة وقتل هيبوليتا أشهر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملكة أمازونية. وطبقًا لرواية الشاعر الإغريقي المشهور هوميروس حاربت الأمازونيات إلى جانب طروادة خلال الحرب الطروادية. وفيها قام البطل الإغريقي أخيل بقتل بنشسليا الملكة الأمازونية الجميلة في ذلك الوقت . تعود كلمة "أمازون" على الأرجح إلى الكلمة الإغريقية التي تعني "بلا ثدي"، فقد قامت الأمازونيات، حسب زعم الأسطورة، بقطع أثدائهن اليمنى بحيث يمكنهن إطلاق القِسِيّ والسِّهَام بسهولة".

وفى النسخة الفرنسية من موسوعة "Encarta" نقرأ:

"Amazones, dans la mythologie grecque: peuple de femmes guerrières. Dans le peuple des Amazones, qui ne reconnaissent que la filiation matriarcale, seules gouvernent les femmes. Si, dans certains récits, des hommes sont tolérés près d‘‘elles, ce sont des serviteurs. Les Amazones ont toutefois quelques relations avec le sexe opposé, pour avoir des enfants. On raconte généralement que, dans ce but, elles attaquent une fois par an les peuples voisins pour y trouver des hommes, avec lesquelles elles s‘‘accouplent uniquement la nuit. Des naissances, elles ne gardent que les filles — les garçons sont renvoyés ou tués, ou encore mutilés et rendus aveugles. Les

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

Amazones manipulent l'arc, aussi se brûlent-elles le sein droit pour faciliter cet exercice (« amazones » signifie en grec « celles qui n‟ont pas de sein »). Elles révèrent la déesse de la chasse Artémis, guerrière et chasseresse comme elles ; selon la légende, ce sont elles qui ont instauré son culte.

Les Amazones vivent soit sur les pentes du Caucase, soit en Thrace ou encore en Scythie méridionale, du côté de l'Asie mineure, sur les bords de la mer Noire. La fondation d‟Éphèse leur est parfois attribuée, ainsi que le temple d‟Artémis qui s‟y trouve.

Les Amazones sont célèbres pour leur nature guerrière ; elles sont, selon la légende, les premières à avoir utilisé la cavalerie. Souvent en guerre avec la Grèce, elles se battent également contre d'autres peuples. Elles interviennent également dans plusieurs récits concernant les grands héros grecs. Ainsi Héraclès, pour le neuvième de ses douze travaux, doit rapporter la ceinture d‟Hippolyte, reine des Amazones. Celle-ci est prête à la lui offrir, mais Héra déclenche un affrontement entre les guerriers d‟Héraclès et les farouches guerrières, au cours duquel Hippolyte est tuée par le demi-dieu. Au cours de cette même expédition, on raconte que Thésée, qui accompagne Héraclès, enlève l'Amazone

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

Antiopé, sœur de la reine. Celle-ci lui donne bientôt un fils, baptisé du nom de sa tante, Hippolyte, qui connaîtra un destin tragique. L'histoire des Amazones est également marquée par leur défaite contre Bellérophon, pourfendeur du monstre Chimère.

Le peuple de guerrières joue également un rôle pendant la guerre de Troie, après la mort d'Hector, quand elles viennent en aide à Priam et aux Troyens. C'est au cours de cet épisode que leur reine Penthésilée est tuée par Achille qui, à peine l'a-t-il frappée de façon mortelle, tombe sous son charme.

Dans la société grecque antique dominée par les hommes, le mythe des Amazones traduit la crainte de voir l'ordre social ébranlé par les femmes, ce qui explique que de nombreux récits les montrent mises en déroute par de valeureux héros grecs (Héraclès, Bellérophon, Achille), ainsi que par le peuple d'Athènes. Sauvages, étrangères (Barbares), ces guerrières ont une personnalité paradoxale : par leur mode de vie, elles se hissent au niveau des hommes et sont, à la fois, « anti-hommes ». Elles sont aussi, dans un sens plus sensuel, des « mangeuses d'hommes », comme on le voit dans les récits où, une fois par an, elles organisent des raids contre les peuples voisins pour y trouver des géniteurs".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفى " Encyclopedia of World Mythology and Legend":

"Amazons (without breast). In Greek mythology: tribe of female warriors who lived in Cappadocia in Asia Minor. They had only one breast, one having been removed in youth so that they could more freely shoot their bows. No men were allowed in the tribe. Mating took place at certain seasons with men of another race, and only girl babies were kept. If boys were born, they were killed, maimed, or given to their fathers. The Amazons appear in myths relating to Bellerophon, Heracles, Perseus, and Theseus, all of whom fought against them. Theseus kidnapped the Amazon queen Hippolyte (Antiope). Another Amazon queen, Penthesilea, aided the Trojans and was killed by Achilles during the Trojan War. In Greek art the Amazons are portrayed as manly women with two breasts. Usually they are portrayed on horseback, sometimes in Scythian dress—a tight fur tunic with a cloak and a kind of Phrygian cap—though sometimes they are portrayed wearing a Dorian tunic tucked up, the right shoulder bare. The most famous statues of Amazons were by Phidias, Polyclitus, and Cresilas. The Greeks often cited

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

the conquest of the Amazons as a triumph of civilization over barbarism. When the Spanish came to the New World, they reported that there was a race of Amazons in Brazil. One Spanish clergyman described them as "very tall, robust, fair, with long hair twisted over their heads, skins around their loins and bows and arrows in their hands, with which they killed seven or eight Spaniards." Amazons are mentioned or cited in Vergil's *Aeneid* (book5), Apollodorus's *Bibliotheca* (Library, book 2), Herodotus's *Histories* (book 4), and Pausanias's *Description of Greece* (book 7)".

وختاما أود أن أقتبس الفقرات التالية من تقرير مؤسسة "راند" الأمريكية المذكور آنفا، وعنوانه: الإسلام الديمقراطى المدنى: الموارد والشركاء والإستراتيجيات"، آملا أن توضح هذه الفقرات شيئا مما نحن بصدده، إذ هى خاصة بالإستراتيجية التى تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية بغية تشجيع الليبراليين والحداثيين فى العالم الإسلامى. وتتكون هذه الإستراتيجية من العناصر التالية حسبما جاء بالنص فى التقرير المذكور:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"– دعم الحداثيين أولا وتغليب رؤيتهم للإسلام على رؤية التقليديين من خلال منبر كبير يعبر عن أفكارهم وينشرها . فهؤلاء لا التقليديون هم الذين ينبغى ثقيفهم وتقديمهم للجماهير كواجهة للإسلام المعاصر .

– دعم العلمانيين فردا فردا .

– دعم المؤسسات والبرامج المدنية والثقافية العلمانية.

– دعم التقليديين بما يكفي لاستمرارهم فى منافسة الأصوليين (متى وحيثما كانوا من اختيارنا) ومنع قيام أي تحالف وثيق بين الفريقين. وأما داخل التقليديين فينبغي أن نشجع بانتقائيةٍ أولئك الذين يتناسبون مع المجتمع المدني الحديث تناسبا أفضل من سواهم. وعلى سبيل المثال فإن بعض مدارس الفقه الإسلامي قابلة للتعديل وفق رؤيتنا للعدالة وحقوق الإنسان أكثر من غيرها .

– وأخيرا معارضة الأصوليين بقوة بضرب نقاط الضعف فى مواقفهم الإسلامية والأيديولوجية، وذلك بعرض الأشياء التي لا يمكن أن يتقبلها لا المثاليون الشبان من الجمهور الذي يعملون على كسبه ولا التقليديون الأتقياء،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مثل فسادهم ووحشيتهم وجهلهم والأخطاء التي يقعون فيها لدن تطبيق الإسلام وعجزهم عن القيادة والحكم.

وسوف نحتاج إلى بعض الأنشطة المباشرة والإضافية لدعم هذا الاتجاه الإجمالي كالآتي:

- المساعدة فى إنهاء احتكار الأصوليين والتقليديين للإسلام تعريفًا وشرحًا وتفسيرًا.

- تحديد العلماء الحداثيين المناسبين لإدارة موقع إلكتروني يجيب على الأسئلة المتعلقة بالسلوك اليومي وتقديم الآراء الإسلامية الحداثية.

- تشجيع العلماء الحداثيين على تأليف الكتب التعليمية وتطوير المقررات.

- نشر الكتب الأولية بأسعار مدعومة بحيث تكون متاحة كالكتيبات التي ينشرها المؤلفون الأصوليون.

- استخدام وسائل الإعلام العامة المحلية كالمذياع لتقديم أفكار المسلمين الحداثيين وممارساتهم من أجل نشر الرؤية العالمية لما يعنيه الإسلام وما يمكن أن يعنيه على نطاق و اسع".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحق

تقرير صحفي في موقع "دويتشه فيله" عن كتاب بارلس

إعادة تفسير القرآن على الطريقة النسائية: طوال 14 قرناً اقتصر تفسير القرآن على الرجال، ومؤخرًا ظهرت الكاتبة الباكستانية أسما بارلس لتحاول إعادة تفسيره من منظور نسائي. محاولة لاقت انتقادات كثيرة من قبل النساء قبل الرجال، ومن بينهن الكاتبة السعودية ثريا العريض.

ارتفعت أصوات بعض المفكرين الإسلاميين المطالبة بإعادة قراءة تفاسير القرآن والأحاديث بما يتفق مع العصر الذي كتبت فيه وسط انتقادات شديدة من معظم رجال الدين. وهناك فكرة راسخة في قطاعات واسعة في العالم الغربي تعتبر أن الإسلام دين يرفض التطور. لكن هناك الكثير من المسلمين الذين يسعون إلى فهم الدين بطريقة حديثة، والنظر للتفاسير والأحاديث المختلفة في إطار العصر الذي ذُكِرَتْ فيه. هذه الأصوات تخرج من البلدان الإسلامية، ولكن اللافت للنظر انها تخرج أكثر من بلدان المهجر. ومنذ وقت طويل توجد محاولات بين المهاجرين للقيام بتغييرات متعددة فيما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يخص تطبيق الدين والشريعة. ويرتفع الجدل حول ظهور "الإسلام الأوروبي"، وحول أعمال العديد من المسلمين المهاجرين في البلدان الأوروبية المختلفة، التي يعتبرها كثيرون تشويها لصورة الدين الصحيح. في الولايات المتحدة الأمريكية ظهرت مبادرات نسائية بشكل خاص مثل ما قامت به أمينة ودود، التي قامت بإمامة الصلاة في مسجد في نيويورك، مؤكدة أنه لا يوجد في الدين ما يحرم هذا الأمر وسط انتقادات شديدة في العالم الإسلامي كله.

التفسير "الذكوري" للقرآن يظلم المرأة:

الأصل الدكتورة أسما بارلس Asma Barlas، فهي تجد أن القرآن هو طريق التحرير الحقيقي للمرأة، لكنها تجد أن مشكلة النساء المسلمات تكمن فقط في تفسير القرآن، الذي طالما اقتصر على الرجال. هؤلاء قاموا بتفسيره بطريقة ذكورية لا تحترم المرأة. أسما بارلس، الأستاذة بجامعة إيثاكا في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، أصدرت كتابًا بعنوان "النساء المؤمنات في الإسلام- إعادة قراءة التفسير الذكوري للقرآن" طرحت فيه تفسيرًا جديدًا للقرآن، مؤكدة إيمانها بأن الإسلام يسمح لكل مسلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بتفسير القرآن. وتتساءل الباحثة عن السبب الذي دفع الكتاب طويلا لتفسير القرآن بطريقة المجتمع الأبوي، وأعطت تصورًا آخر لتفسير القرآن قائلة: "معاني النصوص القرآنية لا يمكن فهمها بدون تفسير، وطوال 1400 عام تم تفسيرها فقط من قبل الرجال في مجتمع ذكوري".

الدفاع عن حقوق المرأة دور المرأة نفسها:

لا تعتبر الكاتبة نفسها كاتبة نسوية، لكنها تجد أن كل امرأة مسلمة يجب أن تكون واعية وواثقة من نفسها وتدافع عن حقوقها بنفسها. فهي لن تحصل على حقوقها كهدية من الآخرين. وبدأت الباحثة منذ عدة سنوات في التفكير في هذا الأمر بعد أن انفصلت عن زوجها. وتشير أيضا إلى أن ظروف الطلاق وحرمانها من حقوقها هو ما دفعها إلى التفكير في أن شيئًا ما يساء تفسيره: "عندما طُلِّقْتُ، وجدت أنه ليست لدي أية حقوق. ولم يكن الأمر مقتصرًا عليَّ شخصيًا، ولكني وجدت كل النساء حولي يعانين من مشاكل مشابهة. معظم النساء المسلمات اللاتي يعانين من مشاكل زوجية يُطَلَّقْن، ويمكن أن يؤخذ منهن أبناؤهن ببساطة". هناك سلسلة من الانتهاكات والإجراءات الظالمة التي تواجهها المرأة في العالم الإسلامي. وفي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رأي أسما بارلس يجب إعادة تفسير القرآن في الإطار التاريخي الذي كُتِب فيه، وذلك الخوض في القرآن في رأي الكاتبة المسلمة المؤمنة لا يؤثر على قداسة نص القرآن ولا يشكك فيه. "على النساء المسلمات أن يتعمقن في الشئون الدينية، وأن يأخذن الفرصة بشكل أكبر لإعطاء تفسير آخر للقرآن"، وهي تجد في كتابها مبادرة ومحاولة في هذا المجال.

النساء أول المعارضات لرأي الكاتبة:

أما الكاتبة والمفكرة السعودية الدكتورة ثريا العريض، وإن كانت تتفق في الرأي مع الكاتبة الباكستانية في أن كل امرأة عليها أن تدافع عن حقوقها، إلا أنها تختلف معها تمامًا فيما يخص تفسير القرآن. فهي ترى أن التفسير القرآني غير مفتوح لكل من أراد. كما أنها لا ترى المشكلة في التفسير الذكوري للقرآن بل في تسييس القرآن والدين حيث أصبح الكثير من المفسرين أداة في أيدي الحكام وأصحاب المصالح، وبالتالي شوهوا صورة الدين. ترفض ثريا العريض تمامًا فكرة حق كل مسلم في تفسير القرآن بطريقته كما قالت في حديث لموقعنا: "إن هذا الأمر سيفتح الباب لكل شخص لتفسير القرآن بما يتوافق مع مصالحه الشخصية، وهذا لا يمكن قبوله أبدًا". الكاتبة السعودية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تجد أن التفسيرات الصحيحة هي تفسيرات محدودة ومعروفة، وهي التي يجب اتباعها . تلك التفسيرات التي قام بها رجال الدين في العصر الذهبي للإسلام يجب عدم المساس بها أو التشكيك فيها، وإن كان من المهم في رأيها النظر لتلك التفسيرات في ضوء التغير الحضاري الذي مرت به الإنسانية. فقد مر أكثر من 1400 عام، وبالتالي يجب أن يعاد فهم تلك التفسيرات. أما عن مشكلة الظلم الذي تتعرض إليه المرأة في المجتمعات الإسلامية المختلفة فهو في رأيها ليس بسبب المشكلة في تفسير الدين، ولكن بسبب عدم تنفيذ الشريعة بمعناها العميق، وسوء الممارسات من قبل القائمين على تنفيذ الأحكام.

الصورة الحقيقية عن الإسلام في الغرب:

الكاتبة الباكستانية التي تعيش في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1983 تجد هناك فرصة للعمل والحياة بشكل حر. ومن خلال عملها كأستاذة جامعية وجدت من احتكاكها بالطلبة أن معظم الأمريكيين لا يعرفون أي شيء عن سياسة الشرق الأوسط أو عن الدين الإسلامي. فكان هذا هو الدافع الأول لها للتعمق في العلوم الإسلامية، وفي الكتابة في هذا المجال، وإن كانت تؤكد أنها ليست عالمة دين إسلامي متخصصة: "أود أن أؤكد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنني مجرد طالبة في مجال علوم الدين الإسلامي. دراستي لا تسمح لي بادعاء العلم في هذا المجال، فأنا لم أدرس العلوم الإسلامية بشكل أكاديمي. لكني أدرس الإسلام كمسلمة". بالمقابل ترى ثريا العريض أن الكاتبة التي عاشت بالخارج تأثرت بصورة النساء في الغرب. الكاتبة السعودية لا تدعي أن المرأة العربية أو السعودية تحيا في مجتمع وردي يكفل لها حقوقها، إلا أنها تجد أن طريقة التفكير الإسلامية تختلف كثيرًا عن الطريقة الغربية غير المرتبطة بالدين: "لن أقول إننا نعيش في أفضل حال، لكن بالتأكيد الكاتبة تأثرت بالحياة الغربية". هذا الانتقاد هو واحد من بين انتقادات عدة تواجهها الباحثة الباكستانية، والتي تأتيها من النساء قبل الرجال. أما أغرب ما في الأمر فهو أن أقصى الانتقادات جاءتها من موقع إنترنت أمريكي مسيحي. لكن أسما لن تتوقف عن الكتابة في المجال الديني، فهي تخطط أن يكون كتابها القادم عن سماحة الدين الإسلامي وتعامله مع الأديان الأخرى. وفي هذا الأمر أيضًا تجد الكاتبة "المتمردة" القرآن غنيًّا بالمعاني وقدوة لكل من يسعى إلى حوار حقيقي مع الأديان. في كتابها القادم تريد أن تؤكد لكل منتقدي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلام من الغربيين الذين يضفون عليه صفة الإرهاب أن الإسلام الحقيقي عكس ذلك تمامًا .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحق

تقرير صحفي منشور في موقع "العربية.نت" عن ترجمة لآلاء بختيار للقرآن الكريم

(في [illegible] مارس [illegible]م)

أثارت كاتبة أمريكية من أصل إيراني ضجة واسعة في الاعلام الأمريكي ليتردد صداها لاحقا في ردود أفعال علماء مسلمين رغم أنها لم تكن بارزة خارج الوسط الأكاديمي، وذلك بعد أن أعلنت عن ترجمتها للقرآن إلى اللغة الإنجليزية بأسلوب لغوي يقترح معاني جديدة لآية متعلقة بضرب النساء، فضلا عن حذفها لكلمات أخرى مثل "المسلم والإسلام والكفر".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والكاتبة هي لالاه بختيار . ابنة أم مسيحية أمريكية وأب إيراني، ونشأت في مدارس كاثوليكية أمريكية قبل أن تسافر إلى إيران في سن الـ 24 لتدرس الآداب في جامعة طهران. لم تكن تعرف عن الاسلام شيئًا في ذلك الوقت عندما التقت الأستاذ الجامعي سيد حسين نصر، الذي بدأ بتدريسها بعض القضايا الاسلامية . ومن ذاك الوقت بدأت رحلتها في ترجمة الكتب الاسلامية. وفي إيران ارتدت الحجاب لأكثر من 20 سنة، ولكن في وقت متقدم من عمرها خلعته معتقدة أنها صارت في سنّ يسمح لها بذلك حسب تعبيرها .

وقالت لالاه بختيار لـ"العربية.نت"، في أول حديث لها لوسيلة إعلام عربية، إنها نشأت في مدارس كاثوليكية أمريكية ، إلا أنها مسلمة تسعى لإيصال رسالة التسامح في القرآن إلى الأمريكيين عبر ترجمة جديدة له، نافية بشدة أن تكون من ناشطات الحركة النسائية الغربية، ومشددة على أنها ترفض استهداف الإسلام أو انشقاقه ، وتسعى لتقريب المذاهب وفق رؤية الشيخ محمود شلتوت (شيخ الأزهر 1958 – 1963).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورغم أن بختيار تربت على الصوفية التي تضم وجهات نظر سنية وشيعية فإنها تنفي أن تكون "متصوفة الآن". وبعدما أمضت 9 سنوات من حياتها بين الشيعة في ايران تعيش الآن بين الجالية السنية في شيكاغو. وهي أستاذة علم النفس في جامعة شيكاغو. وأثار تأويل بختيار للقرآن الكريم باللغة الانجليزية جدلا حادا بين علماء الازهر، ففي الوقت الذي أيد البعض ما ذهبت اليه من أن ترجمة كلمة "اضربوهن" في الاية القرآنية قد تعني "امض بعيدا" رفض آخرون ذلك وقالوا إنها تعني الضرب الجسدي.

حذف الكفر والإسلام:

وقالت الكاتبة الأمريكية من أصل إيراني، لالاه بختيار، لـ"العربية.نت" إنها حذفت كلمات "مسلم والاسلام والكفر" من ترجمتها للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، واستبدلتها بكلمات أخرى تعطي صورا ومعاني أكثر وضوحا للقارئ الغربي، "الذي يجب أن نخاطبه بلغته" على حد تعبيرها. وذكرت لالاه بختيار أن الترجمات السابقة للقرآن نقلت معنى كلمة "كافر للإنجليزية" على أنه الشخص غير المؤمن أو الشخص الملحد، وذلك عبر كلمتي "disbeliever وinfidel"، وهذا تعبير سلبي. وأنا كمتخصصة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفسية أعرف المعني السلبي لهذه الكلمات لدى الناس حيث تقلل من أهمية شخص ونبعده بها عن حياتنا، بينما الله وحده يعرف من يؤمن به ومن لايؤمن.

وأضافت: "استخدمت كلمة أخرى وهي "ungrateful: العَقُوق أو الجاحد". ولأن القرآن عالمي ولكل إنسان اخترت استخدام كلمة تقرّب الناس إلى الاسلام ولا تبعدهم عنه. وهذه ترجمة مختلفة تماما عن كل الترجمات، فهذه كلمة مفهومة لجميع الناس من كل الأديان".

وشددتْ على أن ترجمتها لكلمة "الكفر" بهذه الطريقة "موثوقة وصحيحة"، وقالت: "إذا نظرنا في أي قاموس سنجد كلمة "ungrateful" كمعنى من معاني هذه الكلمة. والقرآن يوصينا أن نتحدث إلى الناس بلغتهم. وإذا أردت من الناس أن يفهموا الاسلام يجب أن تحدثهم بلغتهم. لذلك تعبير "ungrateful" يحتوي الناس جميعا، ولا يقصي أحدا".

حذف كلمة "دين":

وفي جانب آخر من حوارنا معها ذكرت لالاه بختيار أنها لم تستخدم كلمتي مسلم والإسلام "Muslim and Islam" أبدا في ترجمتها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنجليزية للقرآن، وإنما استخدمت كلمة أخرى بديلا عنهما وهي "submission". وأوضحتْ: عندما نستخدم كلمتي "مسلم وإسلام" بالإنجليزية يجب أن نحدد قبل ذلك إن كانتا بحرف كبير أو صغير، وعندما نستخدم حرفا صغيرا لسنا بالضرورة نشير إلى الطريقة التي نؤدي فيها الفروض وتعبد، وإنما نشير إلى معنى آخر هو " submission: طاعة إرادة الله والخضوع لها". فإذا خضع شخص لإرادة الله فإنه يتبع نهج طاعة الله، وهنا يكون المسلم هو الشخص لذي يطيع ربه. وتابعت: "إذا نظرنا إلى القرآن بكونه أبديا ودائما لكل الناس ولكل الأزمان، بالتالي فهو يشمل كل شخص قبل النبي وبعده. وبناء عليه، وحسب استخدامي لكلمة "الطاعة" بدلا من "المسلم"، فهي كلمة تشمل كل شخص يخضع لإرادة الله و يتبع القرآن والنبي، وهي كلمة تفتح الباب أمام جميع البشر ولا تبعدهم عن ديننا".

كما حذفت لالاه بختيار كلمة دين "religion" من ترجمتها، واستبدلتها بتعبير آخر وهو "way of life: طريقة العيش والحياة" قائلة: "إن تعبيرها واسع وشامل أكثر من كلمة دين، فهي تشمل علاقات الزوج بالزوجة وتربية الأبناء وكل تفاصيل اتباع الشريعة".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نظرة نسائية للقرآن:

وكتبت لالاه بختيار أيضا في مقدمة ترجمتها للقرآن تتساءل عن سبب اختيار المعنى الظاهري لكلمة "الضرب" ، بينما يمكن أيضا أن تعني "امض بعيدا" . وكانت بختيار تشير الى كلمة "واضربوهن" في الآية من القرآن التي تقول: "واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا" . وتقترح بختيار تفسيرا يقول: "ينبغي للأزواج الذين يصلون إلى تلك المرحلة الخضوع لله وترك الأمر له. . . امضوا بعيدا عنهن ودعوا الله ينفذ مشيئته بدلا من أن يصيب انسان انسانا آخر بألم باسم الله " . وفي حديثها لـ"العربية.نت"، أوضحت بختيار أن اهتمامها بكلمات أخرى لم يقلّ عن اهتمامها بكلمة "اضرب" . وقالت: القرآن صحيح ، والكلمة كما وردت بالعربية صحيحة ، ولا أنكر ذلك . ولكن عندما نريد ترجمة وتأويل ذلك بعد قرون نجد أن النساء يتعرضن للأذى بسبب التأويل الخاطئ للكلمة، وليس بسبب الكلمة نفسها . وإذا نظرنا إلى حياة الرسول وأحاديثه نرى كيف كان يحترم المرأة ولم يَدْعُ أبدا لضربها، وجاء فعل الأمر "اضرب" في القرآن بينما الرسول لم يضرب امرأة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إذن الرسول اختار ألا يفعل ذلك، فلماذا على المسلم أن يفعل شيئًا لم يفعله الرسول، وهو متبع أصلا لسنة الرسول؟

وأضافت: "كلمة "ضرب" لها معان عديدة ، فلماذا نأخذ معنى واحدا ضد المبادئ الاخلاقية الواردة في القرآن أصلا وضد سنة النبي ؟".

وتابعتْ: "أيضا هناك آيات تشير إلى أنه إذا أراد الشخص أن يطلّق زوجته يجب أن يفعل ذلك دون إيقاع اي أذى بها أودون ضربها . لذلك قلت لنفسي: كيف يمكن أن يدعو القرآن للتعامل الحسن مع المرأة وهي مطلقة ، بينما يدعو لضربها وهي زوجة ؟ فوجدت تناقضا بين الفكرتين، وهذا التناقض ليس بالقرآن، وإنما بتأويلنا للقرآن . لذلك ليس معنى "ضرب" هنا الأذى أو الجلد، وإنما ما فعله الرسول عندما تكون لديه مشاكل مع زوجته، وهو أن يرحل أو يهجرها ويتركها لربها يفعل بها ما يشاء".

أخطاء ترجمات سابقة للقرآن:

وفي سياق الحديث عن ترجمتها للقرآن قالت بختيار إنها استغرقت 7 سنوات فيها، و"بعد أن عملت بدار نشر أمريكية متخصصة بالكتب الإسلامية لأكثر من 15 عاما ورأيت حوالي 17 ترجمة مختلفة للقرآن إلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنجليزية، وكلها تحتوي على أخطاء ومشاكل رغم الجهد المبذول فيها".

وتضيف: "نحن في الترجمة لا نغيّر كلام الله، وإنما أتحدث هنا عن تأويل وترجمة هذا الكلام إلى الإنجليزية". وأوضحت: "من المشاكل التي برزت في الترجمات السابقة عدم استخدام كلمات إنجليزية للقارئ الغربي غير المسلم، فبدلا من استخدام أسماء الأنبياء كما هي في الإنجليزية مثل "Jesus: المسيح" يتركون الاسم كما هو بالعربية مثل " Issa: عيسى". والقارئ الأمريكي لن يعرف من يكون هذا الشخص". وأضافت: "المشكلة الأخرى في ترجمات سابقة أنها لم تكن عالمية، فيما القرآن أبدي ولكل شخص، ولكن عندما نترجمه بشكل محدد ومخصص للمسلمين بالتالي نحن لا نقدمه لبقية الناس حول العالم".

أعرف قواعد العربية:

وردا على انتقادات وُجِّهَتْ لها بأنها لا تتحدث العربية، وبالتالي ترجمتها لن تكون دقيقة، تقول بختيار: أعرف القواعد العربية الكلاسيكية، وأعرف اللغة الفارسية حيث 70 % منها هو أصلا من اللغة العربية، ودرست القرآن لسنوات عديدة باللغة العربية. لا أستطيع تحدث العربية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحديثة، لكن درست القواعد العربية الكلاسيكية . وعندما تعرف قواعد لغة يمكن أن تترجمها، وليس من الضروي أن تتكلمها .

ونفت لالاه بختيار أن يكون تأويلها لفعل الضرب في القرآن، والذي جاء كما يرغب مؤيدو المساواة بين الرجل والمرأة بنفي معنى العنف عن الضرب، أن يكون "لأنها تدعم الحركة النسائية " . وقالت: لستُ ناشطة نسائية ، وترجمتي ليس ترجمة نسائية للقرآن، وإنما أردت من هذه الترجمة أن يعرف الناس أن هذه سنة النبي، وهذه مبادئ القرآن، الذي لا يدعو لأذية المرأة.

أتبع الشيخ شلتوت:

وكانت صحف أمريكية أشارت إلى أن لالاه بختيار من أم مسيحية وأب شيعي إيراني. إلا أنها في حديثها لـ"العربية.نت" رفضت تصنيفها سنية أو شيعية، وقالت : "صحيح أنني نشأت في مدارس كاثوليكية بأمريكا ودرست في إيران، إلا أنني مسلمة فقط، وأؤمن بالتقريب بين المذاهب وفق رؤية الشيخ محمود شلتوت" .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشيخ محمود شلتوت هو شيخ الأزهر بمصر 1958 – 1963.

نادى بتكوين مكتب علمى للرد على مفتريات أعداء الإسلام وتنقية كتب الدين من البدع والضلالات، وسعى جاهدا للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

كما لفتت إلى أنها ارتدت الحجاب لعشرين سنة ، إلا أنها خلعته بعد تقدمها بالسن، وهي الآن في الـ 68 من عمرها . وقالت: "خلعتُ الحجاب لأني، كما فهمتُ من القرآن، لا داعي لوضعه بعد تجاوز سن الإنجاب حيث لن تكون هناك فرصة للزواج مرة أخرى. والآن أنا متحررة أكثر في اللباس، لكن محتشمة.

ألفت لالاه بختيار أكثر من20 كتابا عن الاسلام، وترجمت أكثر من 25 كتابا . وأما ترجمتها للقرآن فستنشر في شهر نيسان/ إبريل القادم في 5 آلاف نسخة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نبذة عن المؤلف

- إبراهيم عوض
- من مواليد قرية كتامة الغابة- غربية فى 6/ 1/ 1948م
- تخرج من آداب القاهرة عام 1970م
- حصل على الدكتورية من جامعة أوكسفورد عام 1982م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- أستاذ النقد الأدبى بجامعة عين شمس

- البريد الضوئى: Ibrahim_awad9@yahoo.com

- المؤلفات:

معركة الشعر الجاهلي بين الرافعى وطه حسين

المتنبي- دراسة جديدة لحياته وشخصيته

لغة المتنبي- دراسة تحليلية

المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام (مترجم عن الفرنسية مع تعليقات ودراسة)

المستشرقون والقرآن

ماذا بعد إعلان سلمان رشدي توبته؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية

الترجمة من الإنجليزية- منهج جديد

عنترة بن شداد- قضايا إنسانية وفنية

النابغة الجعدي وشعره

من ذخائر المكتبة العربية

السجع في القرآن (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)

جمال الدين الأفغاني- مراسلات ووثائق لم تنشر من قبل (مترجم عن الفرنسية)

فصول من النقد القصصي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة طه- دراسة لغوية وأسلوبية مقارنة

أصول الشعر العربي (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)

افتراءات الكاتبة البنجلاديشية تسليمة نسرين على الإسلام والمسلمين – دراسة نقدية لرواية "العار"

مصدر القرآن- دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي

نقد القصة في مصر من بداياته حتى 1980م

د. محمد حسين هيكل أديبا وناقدا ومفكرا إسلاميا

ثورة الإسلام- أستاذ جامعي يزعم أن محمدا لم يكن إلا تاجرا (ترجمة وتفنيد)

مع الجاحظ في رسالة "الرد على النصارى"

كاتب من جيل العمالقة: محمد لطفي جمعة- قراءة في فكره الإسلامي

إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية- خطاب مفتوح إلى الدكتور محمود على مراد في الدفاع عن سيرة ابن إسحاق

سورة يوسف- دراسة أسلوبية فنية مقارنة

سورة المائدة- دراسة أسلوبية فقهية مقارنة

المرايا المشوّهة- دراسة حول الشعر العربي في ضوء الاتجاهات النقدية الجديدة

القصاص محمود طاهر لاشين- حياته وفنه

في الشعر الجاهلي- تحليل وتذوق

في الشعر الإسلامي والأموي- تحليل وتذوق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الشعر العباسي- تحليل وتذوق

في الشعر العربي الحديث- تحليل وتذوق

موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم

أدباء سعوديون

شعر عبد الله الفيصل- دراسة فنية تحليلية

دراسات في المسرح

دراسات دينية مترجمة عن الإنجليزية

د. محمد مندور بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة

دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية- أضاليل وأباطيل

شعراء عباسيون

من الطبري إلى سيد قطب- دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه

القرآن والحديث- مقارنة أسلوبية

اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة

محمد لطفي جمعة وجيمس جويس

"وليمة لأعشاب البحر" بين قيم الإسلام وحرية الإبداع- قراءة نقدية

لكن محمدا لا بواكي له- الرسول يهان في مصر ونحن نائمون

مناهج النقد العربي الحديث

دفاع عن النحو والفصحى- الدعوة إلى العامية تطل برأسها من جديد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين

الفرقان الحق: فضيحة العصر

لتحيا اللغة العربية يعيش سيبويه

التذوق الأدبي

الروض البهيج في دراسة "لامية الخليج"

سهل بن هارون وقصة النمر والثعلب- فصول مترجمة ومؤلفة

في الأدب المقارن- مباحث واجتهادات

مختارات إنجليزية استشراقية عن الإسلام

نظرة على فن الكتابة عند العرب في القرن الثالث الهجري (مترجم عن الفرنسية)

فصول في ثقافة العرب قبل الإسلام

بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001- ماذا يقولون عن الإسلام؟ (نصوص وردود)

دراسات في النثر العربي الحديث

"مدخل إلى الأدب العربي" لهاملتون جب- قراءة نقدية (مع النص الإنجليزي)

مسير التفسير- الضوابط والمناهج والاتجاهات

"تاريخ الأدب العربي" للدكتور خورشيد أحمد فارق: عرض وتحليل ومناقشة (مع النص الإنجليزي)

الأسلوب هو الرجل- شخصية زكي مبارك من خلال أسلوبه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فنون الأدب في لغة العرب

فصول في الأدب المقارن والترجمة

رسالة ابن غرسية الشعوبية والرسائل التي ردت عليها- دراسة مضمونية أسلوبية

محاضرات في الأدب المقارن

الرد على ضلالات زكريا بطرس- حقائق الإسلام الدامغة وشهبات خصومه الفارغة

"الأدب العربي- نظرة عامة" لبيير كاكيا: عرض ومناقشة (مع النص الإنجليزي)

بشار بن بُرْد- الشخصية والفن

الحضارة الإسلامية- نصوص من القرآن والحديث ولمحات من التاريخ

في التصوف وأدب المتصوفة

النساء في الإسلام- نَسْخ التفسير البطياركي للقرآن (النص الإنجليزي مع دراسة موازية)

الإسلام الديمقراطي المدني- الشركاء والموارد والإستراتيجيات (ترجمة تقرير مؤسسة راند الأمريكية لعام 2003م عن الإسلام والمسلمين في أرجاء العالم)

من قضايا الدراسة الأدبية المقارنة

علاوة على مثل هذا العدد من الدراسات والكتب المنشورة في المواقع المشباكية المختلفة، وعلى رأسها موقعه الشخصي.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفهرست

كلمة تقديم: 5

أسما بارلس: 8

النسوية: 11

دراسة كتاب بارلس: 16

تقرير صحفى فى موقع "دويتشه فيله" عن كتاب بارلس: 178

تقرير صحفى منشور فى موقع "العربية.نت" عن ترجمة لالاه بختيار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للقرآن الكريم (فى مارس 2007م): 183

نبذة عن المؤلف: 190